

247

رسم الانتفاضة من عمل الفقير فيصل لعيبي
28.02.1992 مساءً



الثقافة الجديدة

مجلة شهرية يصدرها الحزب الشيوعي العراقي

247

العدد 9 السنة 39 تموز 1992

فهرست

■ نحو المؤتمر الخامس لحزبنا ـ آراء ومناقشات

■ أدب وفن

■ وثائق

لوحتا الغلاف للفنان فيصل لعيبي

درس من ١٤ تموز

يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ غمر العراق فرح لم يُسبق له مثيل، ولم يحسب مئات الالوف من الناس المحتشدين في شوارع المدن وساحاتها، احتفاءً بنصر دوّخ الغرب، أن الاعراس ستتحول، بين ليلة وضحاها، الى عذابات واحزان. فما ان اطيح بالحكم الملكي المقيت حتى تخلخل ثم انهار التحالف الوطني العريض الذي انجب ذلك النصر التاريخي. وهكذا حل الخصام ثم الاحتراب بينها محل الوفاق والتعاون،وبذلك فتحت الباب على مصراعيه لتغلب النزعة الدكتاتورية بكل ما يرافقها من شرور وكوارث بلغت الاوج في العهد الحالي.

ان في التمهيد لتلك الثورة، وفي مسارها الوعر، اثمن الدروس لمن ينشد خلاص الوطن من محنته الحالية، وقبل كل شيء لمن يريد له مستقبلاً بلا حروب وتنكيل وتمييز وهي دروس تؤكدها الاحداث العاصفة التي يشهدها العالم.

كان من اهداف الثورة الاساسية تحرير الوطن من التبعية، والشعب من القهر السياسي، والاكثرية الفلاحية من ظلم الاقطاع. فهي، بهذا المعنى، ثورة ديمقراطية الجوهر حقاً. والتجربة المريرة تدعونا الى القول ان الاحزاب التي تعاونت على توليد الثورة كان عليها ان تتعاون لرعايتها، ولاسيما بايجاد المؤسسات والآلية اللازمة لادامة ذلك الجوهر، وبلورته تدريجياً في نظام يصون الحريات العامة والخاصة، فيكرس التعددية السياسية والفكرية، على اساس دولة القانون، وفصل السلطات، وتداول الحكم من خلال انتخابات دورية حرة، الخ.ولا يمكن ان تستوي الممارسة الديمقراطية في بلد متعدد القوميات بدون حق تقرير المصير للشعب الكردي وضمان الحقوق الثقافية والادارية

للاقليات، كما لا تستوي مع اشكال التمييز بين المواطنين على اساس الانتماء الطائفي، والديني، والقومي.

من اجل بلورة مثل هذه الآلية الديمقراطية، كان على الاحزاب ان تعمل على تربية الجماهير بروح الديمقراطية بعد ان انخرطت في النشاط السياسي الحر دونما خبرة في ممارسة الحرية. ولا يمكن للاحزاب ان تقوم بهذا الدور التربوي ما لم تتعلم، هي قبل غيرها، ممارسة الديمقراطية في حياتها، وبالتالي في العلاقات بينها ومع الجمهور غير الحزبي. لكن عند التمعن في الواقع السياسي بعد الثورة نلاحظ درجات من القصور في ادراك الاحزاب لاهمية الديمقراطية السياسية باعتبارها وسيلة وغاية في آن واحد.

لقد اثبتت التجربة العالمية ان الديمقراطية اقل من غيرها كلفةً انسانية. وحتى لو استطاع أي شكل من اشكال الحكم الدكتاتوري توفير الرفاه المادي للمواطن، فان في حرمانه من الحريات ومن المشاركة في انتخاب الحكام ومساءلتهم انتقاصاً لسعادته، فضلاً عما تسبب الدكتاتورية من اهدار للموارد وتفشٍ للفساد في اجهزتها. وماذا نرى في تجربتنا غير هذا؟

مما يبرر تكرار البديهيات السالفة في ذكرى ١٤ تموز ان جسم المعارضة العراقية مازال يعاني من العلل التي اودت بالثورة، وادامت الدكتاتورية حتى وصلت البلاد الى هذا الدرك مما رأينا وما نرى من الموت والخراب والجوع وانتقاص السيادة. فلم يلتئم شمل احزابنا على برنامج معقول نسبياً إلا بعد ان جرّت الدكتاتورية العراق الى كارثة ثانية باحتلال الكويت. وعندما بدا انهيار الدكتاتورية قريب المنال اثناء الانتفاضة، برزت بقوة نزعة الاستئثار وطغت المصالح الفئوية عند البعض: وهي نفس النزعة التي عرقلت الاتفاق على صيغة فعالة للمؤتمر العام الثاني، ودفعت بعض الاطراف الى عقد مؤتمر لها في فيينا مؤخراً، وأدت، قبل ذلك، الى التزوير المحزن للانتخابات في كردستان. وهذه النزعة الوبيلة تكمن ايضاً وراء الحملة التي يشنها علينا بعض «الاسلاميين» سواء من الذين اضروا بالانتفاضة بشعاراتهم الطائفية، أم الذين اضروا بوحدة جهد المعارضة من خلال مؤتمر فيينا.

لا ريب ان للمصالح والتدخلات الخارجية دوراً كبيراً فيما حصل ويحصل في العراق، وعلى ساحة المعارضة في الخارج والداخل. وهذا عامل موضوعي لا يمكن التحكم به بل يمكن تلافي آثاره السلبية، أو تقليصها بمقدار معالجة العلل الداخلية التي تعاني منها معارضة اليوم وسلطة الغد. فهل تتضافر مع قوى الخارج لنكبة العراق بدكتاتورية جديدة؟

العلة عضال. والشفاء عسير. لكنه غير مستحيل على الذين لا يرون غيره طريقاً الى عراق متحرر من سفك الدماء والجوع والدكتاتورية..

حوار حول الديمقراطية

هوشنك الوزيري

تأخـذ المحاور الثلاثة المطروحة للنقاش ابعاداً متعددة كالمد الاسلامي/ حاضر اليسار/ أزمة المعارضة العراقية/ الديمقراطية/ الدكتاتورية. . . الخ.

انطلاقاً من هذه المجالات نتحاور مع الاستاذ عبد الرزاق الصافي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي محاورة حرة.

- ١ -

■ **يقال ان عصرنا بالرغم من كل امراضه السياسية يبلغ الآن مرحلة الديمقراطية، وهناك شعوب بدأت ـ بعد ان هدّمت القلعة على رأس امبراطورها ـ تخطو نحو الديمقراطية وان كانت بخطوات بطيئة. وهناك حركات اصلاحية أو حركات ديمقراطية في الكثير من الدول تهدف فيما تهدف الى اعادة ترتيب البيت على المستويين الداخلي والخارجي. وحدث هذا كله خلال وبعد مرحلة البيروسترويكا السوفييتية. . . هذا في بقعة ما من العالم.**

ولكن هنا في الشرق الاوسط، وفي البيت العربي على الوجه الخصوص يمر التاريخ بمرحلة حرجة، ويتعثر بمد اسلامي جارف يحاول التهام المنطقة من مغربها الى مشرقها. فنحن رأينا ان نتائج الانتخابات التي اجريت مؤخراً في

الجزائر كانت لصالح جبهة الانقاذ الاسلامية. وبالقرب من الجزائر، هناك حركة النهضة الاسلامية في تونس. وايران والسودان. ثم حركة اسلامية نشطة في مصر وان تعمل بشكل خفي في كثير من الاحيان وهي معرضة للقمع المتواصل، واخيراً وليس آخراً اليمن ونداء رؤساء العشائر والشخصيات الاسلامية الى الحكومة بتطبيق الشريعة الاسلامية. ومقابل كل هذه الحركات هناك حركات يسارية ضعيفة وماضية في التفكك بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

هذا يعني ان المنطقة العربية ملغومة بالاسلاميين، في كل زاوية من الشارع العربي تجد اسلامياً يصرخ لا بد من الرجوع الى حكم الخلافة أو شيعياً يقول إما الحكم الجعفري وإما لا لكل حكم آخر.

ترى ماذا يعني كل هذا في ضوء التغيرات الكثيرة التي طرأت على الخرائط السياسية العالمية، وتهشيمات لبعض مفاهيم كانت مهمة لميزان القوى في العالم قبل هذه اللحظة السياسية؟

ونتوقف عند العراق المنطقة الشديدة الخطورة والارض الاكثر خصوبة لبروز ونمو الاسلاميين بحكم موقعه الجغرافي اولاً وتركيبة مجتمعه ثانياً. ترى ماذا يعني هذا المد الجارف؟ وهل هناك حقاً امبراطورية اسلامية قادمة ستنهض على انقاض الانظمة شبه التوتاليتارية التي تحكم الوطن العربي؟ وهل سنعود لنؤمن الآن فقط بما كان يقول المفكرون السلفيون الاوائل قبل قرن من انه لا مفر من العودة الى الدولة الاسلامية الاولى وامتزاج الدين بالدولة؟

عبد الرزاق الصافي / ـ عند التطرق الى موضوع الحركة الاسلامية أو ما يسمى بالمد الاسلامي، قبل كل شيء ينبغي التفريق بين «أسلام» و«اسلام». حقاً يوجد الآن التقاء واسع نسبياً بين الحركات الاسلامية ولكن هناك اختلافات ايضاً وخصوصاً اذا اخذنا الحركة الاسلامية في العراق بالمقارنة مع الحركات الاسلامية في سائر بلدان الوطن العربي. فنجد ان «الاسلاميين» في غالبية البلدان العربية انساقوا مع صدام في عدوانه على الكويت وفي قبولهم ادعاءاته بانه يريد حماية الاسلام أو استعادته للخطاب الديني بشكل مزيف وواضح الافتعال. قبل الحرب العراقية ـ الايرانية كان صدام يستخدم الخطاب القومي العروبي بشكل متخلف وليس بشكله التقدمي أو فلنقل انه استخدم هذا الخطاب بشكل عفلقي. ولم يكن مخلصاً فيه كما اثبت الواقع. واصطدم بالثورة الاسلامية، وكانت الثورة في بداياتها مداً صاعداً وتمتلك قوة جذب باعتبارها ثورة شعبية اطاحت بنظام رجعي موالي للامبريالية، لكنها لم تكشف عن كل منطلقاتها في البداية وفشلت في تطبيق الديمقراطية من منطلق المبادىء الاسلامية. ذلك ان الاسلام لا يتنافى والديمقراطية وان كان بعض

الاخـوة الاسـلاميين في العراق ـ مع الاسف ـ يتمسكون بالقول بان الديمقراطية مفهوم غربي ولا ينسجم مع مباديء الشريعة الاسلامية. ولكن من الممكن بمفهوم اسلامي ان تكون هناك ديمقراطية. كيف؟ بمعنى ان الديمقراطية آلية تستند اساساً على ارادة الشعب، أي استخـدام «الشـورى» بمعنى عصري، وإن كان مفهوم «الشورى» لا يستوعب كل آليات الـديمقراطية كما نفهمها اليوم. أي على «الشورى» ان تتطور مع تطورات الواقع الاجتماعي والحضاري.

اقـول بهـذا الصدد ان المد الاسلامي الموجود في الوطن العربي الآن نجم عن عاملين: ١ ـ شدة الاضطهاد ضد القوى الديمقراطية وتضييق الخناق عليها مما ادى الى افساح المجال للقوى الاسلامية التي هي ليست متشكلة كأحزاب أو تشكيلات سياسية. وانما يلجأون الى المواقع الدينية كالجامع وهناك لا احد يتعرض لهم. في باديء الامر تحدثوا عن المباديء الدينية الاسلامية الى ان استطاعوا ان يكسبوا الكثير من الجماهير ومن ثم استغلوا ليس ضعف القوى الديمقراطية فحسب بل فشل الحكومات التي حكمت تحت شعـارات قومية وباسم الفكر القومي وهذا هو العامل الثاني. هذه الحكومات لم تحترم حريات الناس الديمقراطية. وضعت مشاريع للنهوض بمستوى المعيشة لتأمين احتياجات الجماهير ورفع مستوى المجتمع ثقافياً، وخلق حالة من الازدهار الاقتصادي، لكنها فشلت في تحقيق ذلك سواء في الجزائر مثلاً أو غيرها. الآن نرى الجزائر مثلاً بارزاً.

ماذا حصل في الجزائر؟ جبهة التحرير الوطني حزب قاد ثورة مليون شهيد واستطاع ان يأخـذ الحكم. استـطاع في البـداية ان يحقق بعض المنجزات ولكن بسبب غياب المشـروع الـديمقراطي وعدم اشراك الناس في العملية السياسية بدأت هذه المنجزات تنتكس. توقف الاعتماد على الشعب وجرى احتكار العمل السياسي والثقافي لدرجة ان منظمات ديمقراطية ونقابات مهنية اصبح لا يجوز ان يترأسها أو يمثلها شخص لا ينتمي للحزب الحاكم. هذا من جهة، ومن جهة اخرى ان نظام من هذا النوع لا بد وان يصل الى البيروقراطية. بدأت البيروقراطية تتفاقم جداً ويرافقها فساد اداري واقتصادي ورشاوى. هذه المشكـلات دفعت الجماهير لترفض جبهة التحرير كحزب حاكم وفي نفس الوقت كانت القـوى الـديمقراطية مشتتة ومضروبة وضعيفة. الجماهير في الجزائر حقاً اعطت اصـواتهـا «للجبهة الاسلامية» ولكن دون ان يكون للاسلاميين برنامج واضح: يكتفون بالقول بانهم يريدون حكم الاسلام. وفي الحقيقة دُعموا من قوى رجعية في الخارج وفي الداخل وحدث ما حدث في الجزائر.

في السودان حدث شيء مشابه ايضاً، نظام نميري ضرب القوى الديمقراطية في البلد الى حد الفظاعة. الاسلاميون تعاونوا مع نميري ـ الذي هو في كل سلوكه ضد

مباديء الاسلام بالرغم من زعمه بانه يريد تطبيق النظام الاسلامي - نميري هو الذي أتى بالفلاشة الى اسرائيل.الاسلاميون بعد الاطاحة بالنميري حين لاحظوا بان الجماهير ليست معهم.لجأوا الى انقلاب عسكري وبات واضحاً بان اغلبية الشعب السوداني ترفضه.

■ انك حصرت بروز هذا المد بعاملين اولاً: تضييق الخناق على الحركات الديمقراطية وتشتتها وضعفها في المنطقة. وثانياً: فشل الانظمة العربية . .

العامل الثاني وهو مهم، فشل الانظمة والحكومات في تطبيق الديمقراطية وابعاد الجماهير عن العمل السياسي وعدم اعطائها حرياتها. وهكذا اصبحت بالتدريج توتاليتارية أو شبه توتاليتارية كما تقول انت.

■ ولكن ألا ترى بان هناك عوامل اخرى لها دور في بروز الاسلاميين منها العامل التاريخي، على سبيل المثال في الجزائر، كان هناك من يرفع الهوية الاسلامية قبل استلام السلطة، قبل الثورة الجزائرية، ثم عامل آخر وهو مهم جداً في رأيي. ان هذا المد الاسلامي جاء كرد فعل للاختراق الغربي للمجتمعات العربية على الكثير من الاصعدة، منها الايديولوجي مثلاً أو السلوكي. . .

نحن نتحدث عن مجتمعات للايديولوجية الاسلامية فيها نفوذ كبير، وهي مجتمعات اسلامية في الاساس. نحن شاهدنا في العراق جمهرة واسعة جداً من المتدينين، يحترمون الدين ويقيمون الفرائض وحتى يؤمنون بالغيبية ولكن في الصراع الاجتماعي انحازوا الى قوى اليسار. للعامل التاريخي تأثيرات، طبعاً، لان الحركة الاسلامية ناشئة في مجتمع اسلامي وليس مسيحي، ولكن العوامل التي تحدثت عنها هي التي تحدد الانحسار أو البروز، تنحسر عندما تشيع نسبة كبيرة من الديمقراطية في المجتمعات. لو عدنا الى التاريخ، مصر مثلاً بعد ثورة (٥٢) ايام عبد الناصر، بالرغم من ان الديمقراطية لم تكن بخير ولكن المنجزات، مثل الاصلاح الزراعي، التصنيع، الكفاح ضد الامبريالية، هذه كلها سحبت الجماهير نحو قيادة جمال عبد الناصر، لكن التجربة بدأت تتعثر حين طالبت الجماهير مواصلة مسيرة هذه الانجازات، وتطالب بالديمقراطية اكثر، وتريد ان تزيل ما تفرزه الانظمة شبه التوتاليتارية من بيروقراطية وفساد اداري، والنظام لا يستجيب لهذه المتطلبات. من هنا ينفتح المجال للقوى الاسلامية والتي من الصعب احتواؤها، بوجود مواقع دينية للتجمعات. هناك حوالي عشرات الالوف من الجوامع في الجزائر، وكل هذه الجوامع تحت سيطرة هؤلاء «الاسلاميين». وكما قلت تفرّق القوى الديمقراطية هو الذي ادى الى ان يأخذ الاسلاميون زمام الامور.

أما بخصوص استمرارية هذا المد، أو هل انه قدر، وهل هناك امبراطورية اسلامية

قادمة؟ سيكون للاسلاميين دور في رسم مستقبل المنطقة بقدر أو بآخر، وهذا يختلف من مكـان لآخر. الاسلاميون في السودان قوة رجعية ظلامية تعيق تقدم المجتمع السوداني وتـطوره، في مصـر هم في جناح اليمين وليسو تقدميين ايضاً، في الجزائر الآن، اخذ الصراع هذه المديات الواسعة ونحن بعيدون نسبياً عن تفاصيل ودقائق هذه التجربة، ولكن اذا استطاعت القوى الديمقراطية في الجزائر توحيد قواها وامكانياتها فهي تستطيع ان تعدل المسار. نحن لا نعتقد ان الاجراء الذي حصل في الجزائر سيحول دون زيادة نفوذ القوى الاسـلامية. يقولون هنا في العراق، ان الاسلاميين كقوة مناهضة للدكتاتورية، يلعبون دوراً ايجابياً في تبنيهم الشعارات الديمقراطية في (لعم)، بهذا المقدار دورهم ايجابي كيف سيكون الامـر لاحقـاً؟ هذا رهن بميزان قوى الحـركات السياسية، القوى الديمقراطية/ القوى القومية، كيف ستلعب هذه القوى دورها مستقبلاً في كسب الجماهير، في تعبئتها وذلك لتنفيذ ما وضع الاسلاميون توقيعهم عليه. نحن لدينا ثقة بان الحركة الديمقراطية في العراق حركـة عميقـة الجذور وواسعة، والحركة القومية الكردية (بكل اطرافها) هي ذات طابع ديمقراطي باعتبارها تناضل من اجل حقوق قومية للشعب الكردي، وهي جزء من الحقوق الديمقراطية العامة. والتيار القومي العربي له ثقل كبير ايضاً، وهناك تيارات اخرى تناضل من اجل المستقبل الديمقراطي منها التيارات الاسلامية المتنورة وقوى اخرى، تؤمن وتعلن عن تبنيهـا للمشـروع الـديمقـراطي. اذا احسنت هذه القـوى العمل ووحدت صفوفها واسـتـطاعت ان تنفـذ المـواثيق، وبالاساس ميثاق (لعم) وقرارات مؤتمر بيروت في آذار ١٩٩١ كل هذه بامكانها ان تبني مستقبل العراق على اسس ديمقراطية، وليس اقامة دولة دينية. وفي المحصلة النهائية نحن نؤمن بالرجوع الى ارادة الشعب.

■ **فلنتطرق لظاهرة القمع والعنف، وهي ظاهرة متفشية بين (الاسلاميين) والانظمة الحاكمة. يُستخدم الارهاب من قبل (الاسلاميين) والقمع من قبل السلطة، هذه الـظاهـرة باتت واضحة في الجزائر، وفي بلدان اخرى ايضاً، ألا ترى بان هذه الظاهرة ستربي العنف وتنميه، وتساهم في الاجهاز على الديمقراطية، أو تدفع بالكثير من الانظمة حتى لو كانت شبه ديمقراطية ان تصبح بالضرورة قمعية استبدادية.**

العنف يغذي العنف سواء كان من جانب الانظمة أو من جانب الحركات «الاخوان المسلمين» في سوريا لجأوا الى العنف والارهاب بأشد الاشكال مثل التفجيرات وذلك لخـدمـة اغـراض معـادية لمصالح الشعب السوري وجوبهوا بعنف شديد لازاحتهم من الساحة السياسية. نحن ندعو الى الاساليب الديمقراطية في عموم الساحة. هناك مركز

عالمي لحركات «اسلامية» يضم الاخوان المسلمين في فصائل منها اجنحة موجودة في السودان وسوريا وفي مصر، وفي تونس وغيرها. الحزب الشيوعي السوداني كشف مسائل كثيرة بهذا الخصوص. بقرار من هذا المركز العالمي الذي يقال انه لديه ارتباطات بدوائر غربية امريكية، نُفذ الانقلاب السوداني حتى يكون نقطة وثوب للحركات الاسلامية في البلدان العربية الاخرى. ففي السودان الآن الكثير من الاخوان المسلمين الذين يشاطرون الترابي وزمرته وجهات نظرهم، يتدربون على السلاح ويتلقون المساعدات.

هناك من يتحدث عن ازالة العنف من حياة المجتمع. ولكن مادام هناك صراع طبقي يظل هناك عنف، العنف من قبل السلطة الحاكمة ضد الجمهرة التي تناضل من اجل الخلاص من هذا الاستغلال. ومسألة ازالة العنف من حياة المجتمع تتم حسب معايير معينة وليس بالمطلق. العنف واضح وبارز في اساليب الانظمة الدكتاتورية ويُمارس يومياً وبأقسى اشكاله. البشرية تسير الآن نحو تغليب عنصر الحوار والديمقراطية في حل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

الآن نحن في العراق نعاني من مسألة «العنف»، لاننا لم نشهد حياة ديمقراطية حقيقية، في العهد البائد كانت هناك ديمقراطية مزيفة. عنف السلطة الملكية العميلة للامبريالية كان واضحاً، وان كان اقل من عنف الدكتاتور القائم، هذا العنف الذي قل نظيره في العالم. نحن الآن في العراق كقوى معارضة مدعوون للجلوس والتحاور من اجل انجاز برنامج العمل المشترك للخلاص من الدكتاتورية واقامة حياة ديمقراطية تستبعد العنف، وتغلب الحوار والتنافس السلمي والمباراة لكسب تأييد الجماهير من خلال البطاقات الانتخابية وليس المدافع والدبابات، أو السكاكين والهراوات! وان التقاء قوى بهذا التنوع وهذه السعة من اقصى اليمين الى اقصى اليسار مُنجز لم يتحقق في أي بلد آخر غير العراق. يتوجب علينا صيانته وتطويره باتجاه جعله قاعدة راسخة للديمقراطية والحوار والتعددية السياسية، ودولة القانون... الخ.

■السؤال الاخير في هذا المحور، الآفاق المستقبلية للحركات اليسارية في المنطقة وفي العراق بشكل خاص؟

واضح ان الحركات اليسارية تعاني من ازمة شديدة في البلدان العربية عموماً وهذه الازمة تتفاوت من بلد لآخر بسبب ما عانته من مصاعب كثيرة وحرمانها من الحريات الديمقراطية وما مارسته من قصور في بعض المواقف والسياسات التي تحتاج الى مراجعة نقدية حادة أو بسبب ارتباط الحركة الشيوعية بالتجربة التي انهارت في الاتحاد السوفييتي. ولا بد من الاشارة هنا الى ان ما انهار ليس هو الفكر الاشتراكي أو الاشتراكية كما تريد ان

تروج له الدوائر الامبريالية والرجعية وبعض القوى «الاسلامية» . ذلك ان ما انهار هو نموذج معين لم يراع ما يقتضيه المنهج الماركسي من موضوعية وعلمية في المعالجات الاقتصادية والسياسية للواقع الملموس، في حركته وتطوره . .

■كثيراً ما نسمع الآن بانهيار «النموذج الاشتراكي» أو انهيار نموذج معين للاشتراكية ولكن دون التطرق الى مسألة الدكتاتورية . ما اريد ان اقوله بان هذا الانهيار لم يكن حتى في نموذج اشتراكي معين بقدر ما كان انهياراً لنظام الحزب الواحد وسلطة الفزد الواحد . .

هذا صحيح ، ان من اهم نواقص هذه التجربة والذي ادى الى هلاكها هو فقدان الديمقراطية ، كان هناك حزب واحد. صحيح ان الحزب البلشفي انتزع السلطة بعد ان اصبح اغلبية في السوفييتات ، يعني بشكل ديمقراطي بمعنى ما. ولا احد يستطيع ان ينكر بان شعوب روسيا القيصرية قد انضمت الى البلاشفة وبشكل طوعي وقاتلت قتالاً عنيفاً من اجل ان تحمي هذه السلطة. ولكن شيئاً فشيئاً فقدت السلطة قاعدتها الجماهيرية . في ايام لينين كانت هناك انتخابات حقيقية ومؤتمرات حزبية تُعقد كل سنة لكن فيما بعد في المرحلة الستالينية تغلب القمع . الجماهير أُهملت وباتت الانتخابات «عيداً احتفالياً» وليست عملية ديمقراطية وأصواتاً جقيقية.

ارتباط الحركات اليسارية وخصوصاً الشيوعية بهذه التجربة وانهيارها سبب حرجاً شديداً للاحزاب المرتبطة بها بهذا الشكل أو ذاك ولا يمكن ان تتخلص من هذا الحرج إلا بتصحيح المسار، والالتصاق بواقعها والتعبير عنه بشكل اكثر دقة واكثر موضوعية . وستنجح في الاحتفاظ بجماهيرها بمقدار نجاحها في هذه العملية ـ عملية المراجعة النقدية والالتصاق بالواقع والتعبير الموضوعي عنه ، وفقاً لظروف بلدانها المتباينة . وان هي ستظل تجمعها اهداف مشتركة في النضال من اجل حماية السلم العالمي ، وصيانة الحياة على كوكبنا والسير نحو بناء عالم جديد خال من العنف والاستغلال والاضطهاد من أي نوع كان .

■ في معرض حديثك نستشف ان هناك اهتماماً كبيراً من جانبكم كحركة يسارية بما يجري في الاتحاد السوفييتي سابقاً. ألا يمكن ان نتحدث عن اليسار والحركة الشيوعية بمعزل عما يجري هناك؟

وحدة العالم تفرض علينا هذا، ان انهيار تجربة تؤثر على التجارب الاخرى، نحن الآن فعلاً مستقلون تمام الاستقلال في برامجنا وسياستنا . كانت الناس تأمل بان تنتقل هذه التجربة ـ السوفييتية ـ الينا كما كانوا يتصورونها لا كما كانت موجودة، ولكن حين تنهار فانها

تؤثـر على هؤلاء النـاس. يبقى علينا نحن بعملنا الدؤوب المتواصل ان نبصّر جماهيرنا واعضاءنا لانهم هم ايضاً اصابتهم هزة وهذا ليس سراً. ونحن فخورون بان هذه الهزة لم تؤثر تأثيراً كبيراً لاننا نجد في العراق التفافاً واسعاً نسبياً حول الحزب الشيوعي وفي الظواهر البارزة في كردستان مثلاً حين تقوم منظمات «يسارية» جديدة تتبنى شعارات هي على يسار الحزب وليس على يمينه وبالتسمية الشيوعية، عندنا يقين بان المستقبلههو للديمقراطية عالمياً وليس للانظمة الدكتاتورية وبالتالي على الحركات اليسارية والشيوعية ان تناضل لتحقيق هذا المنجـز الانسـاني ـ الـديمقراطية ـ ومن اجل بناء مجتمع انساني بأسلوب ديمقراطي. وبالتأكيد ان الديمقراطية ليست نتيجة الرأسمالية بل هي مكسب انساني حققته الشعوب بنضالها الطويل.

مستقبلاً اذا كرر الشيوعيون الاخطاء السابقة فانهم يحصلون على النتائج نفسها. ولكن نأمل غير ذلك،فالتجربة الغنية التي حققتها ثورة اكتوبر بمنجزاتها وسلبياتها اتاحت الفـرصـة لاغناء التجربة الثورية العالمية. كومونة باريس فشلت بعد سبعين يوماً ولكنها طورت الفكر الثوري. ثورة اكتوبر بكل منجزاتها الكبرى استمرت سبعين سنة واستطاعت ان تؤثـر على كل العـالم، بحيث تبقى هي الحـدث الثـوري الاكبر للقرن، فليس من المعقول ان تذهب هباءاً. بالعكس ستكون ذخيرة للمستقبل لان البشرية ستظل مشدودة لطموحها في بناء عالم يخلو من الاستغلال والاضطهاد الطبقي والقومي والديني،وهذا لا يتحقق إلا في ظل الاشتراكية. هناك من يتصور بان هذا غير ممكن. لا، انه ممكن وهو ليس مطامح طوبوية بل موضوعة علمية، اكدها ماركس وتتسع اليوم دائرة المفكرين الذين يقولون بانه اذا استمرت البشرية في ظل النظام الرأسمالي فانها تتجه نحو الكارثة، لان الـرأسمـالية مقتـرنـة بمصـالح فئوية ضيقة على حساب مصالح المجتمع كله. بامكان المجتمع في خضم نضاله ان يبني النظام الجديد لالغاء استغلال الانسان للانسان وتعبئة الطاقات البشرية في سبيل حل المشاكل العامة، هناك الآن قضايا لا يمكن حلها إلا بتعاون البشرية كلها بدءاً من ثقب الاوزون وتلوث البيئة و. . و. . الخ.

- ٢ -

المعارضة العراقية، اين تكمن حقيقة الازمة؟

■ ننتقل الى محور المعارضة العراقية، بدءاً نقول بان هناك اتكالية صارخة على (الخـارج) للوصـول الى الهـدف، كثيراً ما تنطلق المعارضة من (خارج) ذاتها للبحث عن حل أو خلاص نهائي من السلطة الدكتاتورية القائمة في الداخل، وخطابها

السياسي يتجه هو الآخر باستمرار نحو الخارج، أي ان ما يميز المعارضة في هذه المرحلة هو «بنيتها الاتكالية». . لنبدأ بتساؤل يحاول رصد بعض مظاهر الازمة التي تجتاح فعلية أو عملية المعارضة: لماذا هذه السكونية شبه التامة في نشاطات واعمال المعارضة على الصعيد الداخلي؟؟ ولا بد من القول بان مصطلح الداخل هنا يتفرع الى داخلين: ١ - داخل العراق. ٢ - داخل المعارضة نفسها / الاحزاب/ فبعد مرور سنة على حرب شلت الكثير من قدرات العراق العسكرية وهجمات سياسية واعلامية قضت على ترسانة صدام السياسية وجعلته معزولاً كلياً عن العالم وهو الذي كان الابن المدلل للكثير من الدول الكبرى. . وبعد مرور سنة على انتفاضات بعثرت جُثث الجنرالات في الشوارع وعلى الارصفة ودمرت جزءاً كبيراً من المؤسسات والاجهزة القمعية الصدامية، بل واستطاعت ان تهز قلعة الدكتاتور وتعزله كلياً عن خارج مخبئه السري. . بعد كل هذا وذاك. . بعد ان كان صدام يحتضر على سرير الانهيار لازالت المعارضة العراقية بكل حركاتها وفصائلها بل منذ ذلك الوقت والى اللحظة تصرح وتصرخ بانها لم تزل تبحث امكانيات الاطاحة بالامبراطور الذي بدأ في انتقاله من مرحلة الاحتضار الى مرحلة الاستشفاء. ففي اوج الانتفاضة الشعبية في الربيع لم تستطع المعارضة ان تتوصل الى الهدف الذي اجتمعت من اجله في بيروت ولم تتوصل اليه حتى الآن وهو تشكيل حكومة بديلة. اذن هناك معارضة متفككة الاوصال ومتباعدة الاهداف. أين تكمن علامات الشلل الصارخة؟ والخطاب السياسي يتجه نحو الخارج وهناك تبدأ تستكشف القدرات والامكانيات لاسقاط النظام. بل وصل الحد بهذا الخطاب ان يدعو الخارج الى ان لا يتخلى عن اسقاط صدام. . ما نود طرحه في ضوء كل ما تقدم هو السؤال الاخطر:

هل استقالت المعارضة العراقية من هدفها الجوهري وعهدت به الى «الخارج» الذي باتت تتكل عليه المعارضة بشكل علني وصارخ؟

بصيغة اخرى،اين تكمن حقيقة الازمة؟

بدءاً لا بد من القول بان صيغة «المعارضة» بشكل مطلق غير دقيقة، لان هناك معارضة ومعارضة. هناك معارضة تمثل قوى حقيقية على الساحة وتناضل وتقدم تضحيات ويلتفُّ حولها جمهور واسع. وهناك معارضة موجودة برموز وتشكيلات بعيدة الى هذا الحد أو ذاك عن الساحة العراقية الفعلية. ولكن هي ايضاً تلعب دورها بهذا المقدار أو ذاك في فضح النظام وتعريته وفي الدعوة الى اسقاطه، في تعبئة الرأي العام الخارجي. لا استطيع مشاركتك القول بان هناك في المعارضة حالة سكونية لان هذه الحالة ليس فقط غير موجودة

فحسب بل لا يمكن ان تكون. باستمرار يوجد عمل ربما ليس بالمستوى المطلوب. ولكن هو حصيلة العوامل الموجودة الداخلية والخارجية ونتيجة عوامل بالنسبة للنظام مكنته من ان يُبقي على الكثير من قوته القمعية وحتى التضليلية الديماغوجية لمواصلة الحكم. هنا صيغ المحور المطروح كما لو ان المعارضة مشدودة الى الخارج أو متكئة عليه فقط وهذا الاطلاق غير صحيح، لان الكثير من فصائل المعارضة ومن بينها حزبنا الشيوعي، تناضل في قلب المعركة ليس فقط في كردستان وانما في عموم العراق. رفاقنا واصدقاؤنا تصلهم توجيهاتنا وادبياتنا ويعبئون الناس في تنظيمات واعمال. والمعارضة العراقية ايضاً تقوم بأعمال جريئة وبالتالي لا توجد حالة سكونية، ولا يوجد اعتماد كلي على الخارج. هنا نحن بحاجة الى بعض التدقيق. نحن ضد الاعتماد على الخارج في تقرير امر يخص بلدنا. ولكن هناك ظاهرة يمكن ان يلحظها المتابع السياسي وهي ازدياد الدور الخارجي في تقرير شؤون العراق، عامل الخارج بتقديرنا باستمرار كان عاملاً مساعداً وليس اساسياً أو حاسماً، ولكنه صار اقرب الى ان يكون عاملاً حاسماً. ماذا يتطلب هذا من المعارضة العراقية؟ يجب ان تأخذ العامل الخارجي بنظر الاعتبار وتعتني بخطابها السياسي بالنسبة لمستقبل العراق. نحن نريد ان يقوم نظام معين في محيط معين وفي ظرف معين، وبالتالي على المعارضة العراقية ان تتمسك باستقلالية القرار العراقي وبالسيادة العراقية على ارض العراق وفيما عدا ذلك من الممكن ان تتحرك بمرونة عالية انطلاقاً من مصالح الشعب العراقي ومصالح المنطقة ككل.

■ **التصور المطروح للحالة السكونية للمعارضة العراقية يكمن كما تبدو لي في وضعها كمتفرج على الضغوطات التي يفرضها الخارج على النظام، وانتظارها ان تكثر هذه الضغوطات كي تصل الى نتيجة معينة.**

تقف موقف متفرج؟ أنا لست مع هذا. كيف تقف موقف المتفرج؟

■ **على سبيل المثال في قمة الانتفاضة في آذار الماضي كان بيان المعارضة العراقية هو ضرورة الاطاحة بصدام حسين في حين كان كل العالم ينادي بهذه الضرورة.**

أنت في طرحك للمحور تقول بان المعارضة العراقية فشلت في مؤتمر بيروت لانها لم تستطع تشكيل حكومة بديلة، في البداية اقول بان مؤتمر بيروت لم يأخذ على عاتقه هذه المهمة حتى يفشل فيها، مؤتمر بيروت عقد بعد مرور شهرين ونصف فقط على اعلان تشكيل (لعم)، شُكلت اللجنة في ١٢/٢٧ واقيم المؤتمر في ١١ ـ ٣/١٣ وكان الهدف منه ابراز مشروع المعارضة العراقية بمجمل فصائلها للرأي العام العراقي والعربي والعالمي. هذا كان هدف المؤتمر. حين كنا نحضّر للمؤتمر قامت الانتفاضة، مما جعلنا

نعجّل بعقده في ١١ آذار. وقامت الانتفاضة الشعبية في بداية آذار، بمعزل عن الاحزاب. لا اقصد بمعزل عن شعارات وتضحيات ونضال وتأثير الاحزاب. أي انها لم تكن من تدبير حزب معين.

■ وكان لهذا الغياب، غياب التوجيه السياسي تأثير سلبي كبير.

بالتـأكيد التأثيرات السلبية كثيرة وجعلت الانتفاضة تفقد عنصر التنسيق بين مكان وآخـر، بين جهة واخرى، ورافقتها اخطاء في محاولة اضفاء صفة معينة على الانتفاضة مثلما حصل بالنسبة لبعض الاخوة الاسلاميين بقولهم الانتفاضة هي انتفاضة اسلامية، وبات الاعلام الغربي يقول ويكرر: الشيعة في الجنوب والاكراد في الشمال.

■ والمعارضة العراقية شاطرت رأي الاعلام الغربي بشأن تقسيم الانتفاضة الى شيعية وكردية.

لا،هذا غير صحيح. ليست كل المعارضة العراقية قالت بهذا، نحن في اول يوم في الحزب الشيوعي وفي التيار الديمقراطي شجبنا وانتقدنا بشدة التصريحات التي حاولت ان تصـور الانتفـاضة على انها طائفية أو قومية. وكان لما قمنا به نحن والاخوان في التيار القومي - العربي والكردي في انتقاد هذه الظاهرة دور، وجرت مبادرات جدية بهذا الصدد وإن كانت متأخرة لان الانتفاضة استغرقت فترة قصيرة.والفعل السلبي للتصريحات اخذ دوره ومـداه.وبعد هذا جرت محاولات لتدارك الاثر السيء للتصريحات ذات الطابع الفئوي بالقول ان الانتفاضة ليست شيعية وليست كردية، بل هي انتفاضة الشعب العراقي بعربه وكرده بسنييه وشيعييه. تعميم النقد على المعارضة هو شيء غير دقيق بل علينا ان نضع مسؤولية كل طرف وكل مجموعة بحدودها المحددة. ان المعارضة العراقية لا تستقيل من هدفها الستراتيجي ولا تعهد به الى الخارج. القوى الاساسية في المعارضة لازالت مشدودة لواجبها الوطني وعملها من اجل العراق.وهي بكل فصائلها الديمقراطية والقومية والكردية والاسلامية تناضل من اجل خلاص الشعب من الدكتاتورية.

■ اذن انت تقول انه ليس هناك خطاب سياسي موحد للمعارضة العراقية، وهناك معارضة ومعارضة، ولكن كل فصائل المعارضة يوحدهم هدف ستراتيجي ألا وهو اسقاط النظام القائم. ولهذا انا من هذا المنطلق اقول (المعارضة العراقية)، ونحن لا نرى أفعالاً اسـاسية أو خطوات هامة تجاه هذا الهدف، نعم هناك تحركات واجتمـاعـات واجتمـاعـات. ما اريد ان اقوله هو هل ان الدخول الى المرحلة السياسية والكفاح السياسي من اهم مراحل المعارضة الآن

بطبيعة الحال ان المعارضة العراقية مشغولة الآن في ايجاد الصيغة الانسب لعملها

المشترك وللتوجه للشعب العراقي من اجل ازاحة نظام صدام. هذه القضية فيها صعوبات كثيرة. نعم، هناك في داخلها صراعات. صحيح ان المعارضة موحدة في هدفها الاساسي في اسقاط النظام ولكنها ليست موحدة في الامور الاخرى وبالتالي هذا يتيح فرصة لتداخلات وتدخلات عديدة. الآن هناك مساعي واضحة لحرف مسار المعارضة العراقية ولابعاد قوى اساسية عن ان تلعب دورها في رسم عراق المستقبل وفرض قوى لا تتمتع بالتأييد من الداخل ولا تمثل الشرائح والفئات الاساسية في الشعب العراقي، لتدبير حكومة جديدة. هذه هي اهم المسائل التي تجسد الصراع الموجود، وهو صراع على مستقبل العراق.

احد العوامل الذي ادى الى انتكاسة الانتفاضة هو ان هناك قوى عربية ودولية لم تكن تريد ان يسقط نظام صدام بانتفاضة شعبية. جنرال فرنسي صرح في مونتكارلو بوضوح وقال ان الشيء الذي حال دون نجاح الانتفاضة هو طلب من السعودية لامريكا ان توقف المساعي التي تؤدي الى اسقاط نظام صدام حسين وقت ذاك. وهذه قضية واضحة. الآن نحن نريد لقوى المعارضة العراقية ان تتوحد بخطاب عراقي لبناء مستقبل العراق وفقاً لما هو متفق عليه. لم يكن هناك لقاء اوسع من مؤتمر بيروت الذي ضم (لعم) وكل القوى السياسية تقريباً باستثناء فئات محدودة جداً لم تحضر المؤتمر. كل اطراف المعارضة على سعتها اقرت في المؤتمر حاجة العراق الماسة الى اسقاط النظام واقامة حكومة بديلة ائتلافية تضم القوى الاساسية في المجتمع العراقي واجراء انتخابات حرة للشعب مستقبلاً. هذا هو المسار الذي تسعى من اجله اغلبية قوى المعارضة العراقية.

■ **اذن بماذا تفسر بقاء النظام الصدامي، رغم كل المحاولات والانتفاضات ورغم كل الضغوطات الخارجية. رغم كل ما حدث لازال صدام في السلطة وهو مستمر في بناء قوته العسكرية التي تمكنه من قمع الداخل.. نعم هناك عوامل خارجية ساعدته على البقاء ولكن ألا ترى ان الضعف الكبير الذي تعانيه المعارضة يشكل عاملاً مساعداً لبقائه؟**

ان الحالة التي تعيشها المعارضة العراقية وتشتتها النسبي وعدم توحيد مواقفها تجاه ما ينبغي القيام به، عوامل اساسية في بقاء صدام حسين. نحن في الحزب الشيوعي نعتقد بضرورة توحيد المعارضة العراقية بكل قواها العربية والكردية، الاسلامية والعلمانية.ولديها الآن فرصة تاريخية كي تتخذ من الارض العراقية من كردستان المحررة نقطة انطلاق لتشديد النضال لازاحة صدام وخصوصاً بعد العزلة الشديدة التي يعانيها لدرجة انه لا يستطيع الاعتماد إلا على افراد عائلته فقط وبعد هذا الانحسار الذي سببته الحروب والكوارث والانتفاضة المجيدة لقوى كانت مع صدام، لكن الآن تريد الخلاص منه، مثلاً

عشائر الجبور والعبيد والمشاكل التي حدثت لهم مع رموز النظام، وهذا الغلاء الفاحش، والازمة المعيشية الطاحنة للجماهير، كل هذه عوامل تتيح فرصة لتصعيد النضال وتوجيه الضربة داخل بغداد.

■ **هناك آراء كثيرة تقول بانه في لحظة من اللحظات باتت المعارضة العراقية عقبة في طريق اسقاط صدام..**

أنا لا استطيع ان افهم ذلك،كيف تكون المعارضة عقبة؟ طيب لو نفترض انها غير موجودة.. هل ستكون مهمة اسقاط النظام اسهل؟ ولكن انا استطيع ان اعدل في طرحك قليلاً. فأقول ان هناك قوى داخل المعارضة العراقية باتت، بما تطرحه من امور ومن اشكاليات ومن عقبات، باتت تعيق العمل الجدي للقوى الاساسية في المعارضة العراقية لتوحيد جهودها من اجل ازاحة النظام.

-٣-

المجتمع وانتاج ظاهرة الدكتاتورية / لماذا؟

■ **انها لظاهرة غريبة ان يتخلى الفرد عن حريته وان يكف الانسان عن ان يكون انساناً له حقوقه المشروعة أو بالاحرى ان يختار الكائن الانساني ان يكون كائناً حراً ويقبل خاضعاً راضياً ان يسوقه شخص مريض كيفما يشاء.. ربما حدث هذا لاول في فجر التاريخ مع خلق «الطوطم» فـ «الوثن» ثم «الرب» وكأن الفرد الانساني بابتكارته هذه يحاول حماية نفسه من شرور الطبيعة أو شر عظيم لا يعرف مصدره، وحدث ايضاً ـ ربما ـ مع نشأة جهاز «الدولة» كسلطة قمعية قبل ان تكون سلطة تنظيمية.. ما يهمنا هنا هو ان نحصر حديثنا في ظاهرة الدكتاتورية ـ الفرد الدكتاتور ـ ونتيجة مباشرة الى صدام ونتساءل عن العوامل الاساسية في تكوين دكتاتوريته؟ من المؤكد هناك عوامل كثيرة واهمها ـ الدولية ـ والنفسية، ولكن أليس للتركيبة المجتمعية للشعب العراقي دور كبير في بروز صدام كمؤسسات قمعية ارهابية؟ فنحن لا نلمس ولا نشهد في التاريخ القريب للشعب العراقي الممتد من حكم صدام الى هذه المرحلة أي مواقف تمردية كبيرة أو اشارات رفضوية تذكر تجاه ممارسات اجهزة صدام سواء كانت هذه الممارسات على المستوى الداخلي أو الخارجي.. وكأن الشعب العراقي أودع حريته وحقوقه في احشاء الدكتاتورية واحتمى بسقفها الى قيام الانتفاضة التي كانت بمثابة اختراق احشاء الدكتاتور ومحاولة استرداد ما سُلب من الحقوق. وهنا نتساءل هل استطاع**

صدام ان يسرب السلطة القمعية من الاجهزة والمؤسسات الادارية الفوقية الى البنى الاجتماعية ومؤسساتها؟

في البداية اقول ان الاطلاق في قضايا من هذا النوع لا يمكن ان يكون صحيحاً. فليس هناك انسان كنوع، اقصد الجماهير، الناس، عندهم استعداد لان يتخلوا عن حريتهم وان يكفوا عن ان يكونوا اناساً لهم حقوقهم المشروعة. الانسان لا يتخلى عن هذه الامور عن طريق الاجبار والقمع. الانظمة الدكتاتورية هي التي تصادر حريات وحقوق الانسان. وتفلح هذه الانظمة في بعض المجالات في تشويه طبيعة بعض الافراد وليس الشعب ككل، وليس الجمهرة الغالبة، هنا. ان الشعب العراقي لم يسلم امره الى الدكتاتور حتى يوم الانتفاضة، لا الانتفاضة لم تهبط من السماء بل كانت عبارة عن ذروة نضال طويل للشعب العراقي وللطلائع الثورية في الشعب العراقي والتي كانت تناضل بأشكال كثيرة. وكانت هناك الصفحة المجيدة لنضال الـ (بيشمه ركه) على مدى حوالي ١٥ سنة ضد السلطة واجهزتها. هذه كلها عوامل تشكل اعراباً واضحاً وحقيقياً عن ان الشعب العراقي لا يريد بل ولا يمكن ان يسلم زمام اموره طائعاً الى سلطة دكتاتورية. قبل الانتفاضة، كان هناك كثيرون في الخارج حين يشاهدون المظاهرات والمسيرات التي كان النظام ينظمها في ساحة العرضات في المناسبات يستغربون كيف ان الشعب العراقي «يُعرب عن تأييده» للنظام ولا يثور ضده. نحن كنا نجد صعوبة في افهامهم بان هذه المسيرات والمظاهرات منظمة بالارهاب، ولكن حقيقة الشعب هي ضد النظام. كان صعباً علينا ان نقنع أي شخص بهذا الى ان جاءت الانتفاضة وشهد العالم كله حقيقة الشعب العراقي وجوهره بانه ضد الدكتاتورية. فالهجرة المليونية للاكراد كانت تصويتاً واضحاً بانهم لا يريدون صدام. والدماء التي اريقت في الحلة وكربلاء والنجف والعمارة والبصرة والديوانية والكوت والناصرية وغيرها هي تصويت بالدم ضد النظام. فالانسان العراقي لم يتخل ولن يتخلى عن حريته طائعاً وانما كان يُقمع..

■ **استاذ عبد الرزاق انا اتساءل عن التركيبة المجتمعية للشعب العراقي ودورها في تكوين مؤسسات صدّامية. فمثلاً استطاع صدام ان يكون مؤسسات ارهابية متعددة لقمع الانسان لاخيه داخل المجتمع العراقي.**

هذا صحيح ولكنها ليست قضية فريدة في التاريخ.

■ **ولكن صدام ابدع فيها بشكل قَلَّ مثيله.**

هناك بعض الاخوة يصل الامر بهم الى شتم الشعب العراقي لانه «يخضع» لنظام صدام! الشعب لا يقبل بهذا النظام. شعب عظيم مثل الشعب الالماني خرج منه هتلر،

حطم المؤسسات الديمقراطية وخلق اجهزة قمعية وزج الشعب الالماني في حرب كبدته الخسائر الفادحة، فهل الشعب الالماني «ملوم» لان هتلر كان منه؟ هناك عوامل اخرى فبالاضافة الى العامل الذاتي، توجد اخطاء للقوى الثورية سمحت لهتلر بالمجيء الى السلطة. والتركيبة المجتمعية للشعب الالماني ووجود الاحتكارات الكبرى والتاريخ العسكري الالماني والهزيمة في الحرب العالمية الاولى. كما فرضت على المانيا شروط قاسية تجرح المشاعر القومية الالمانية،وكل هذه وغيرها من العوامل خلقت النظام النازي. نأتي الى النظام العراقي. ماذا هناك؟ فقدان كامل للديمقراطية على طول الخط، وهناك صراعات حادة. الفئات المنتفعة لا تستطيع ان تحكم بأساليب ديمقراطية. حتى بعد ثورة تموز لم تكن للطبقة البرجوازية قاعدة اجتماعية وسياسية واسعة بحيث تستطيع ان تحكم كما يحكم نهرو في الهند مثلاً، ولذلك قامت الدكتاتورية في شخص عبد الكريم قاسم، وهو القائد الوطني المرموق والذي ارتكب اخطاء جسيمة ايضاً وفي مقدمتها اهدار حرية الناس وفرض الدكتاتورية عليهم وابعادهم عن امتلاك مصيرهم بأيديهم. ثم جاءت دكتاتورية الاخوين عارف وكان هناك نضال واسع ضدها، وفي ٦٨ كان يبدو ان القوى الديمقراطية تبرز وتتصدر النضالات الجماهيرية وعندها امكانية ان تزيح نظام عارف. وهنا صارت الاتفاقية بين عدد من ضباط الجيش وزمرة البكر ـ صدام لتسليمهم الحكم. وهؤلاء ايضاً لعبوا لعبتهم لحين تشديد قبضتهم على الحكم. ان وراء دكتاتورية صدام زمرة ضئيلة من البرجوازية البيروقراطية المنتفعة من سلوك صدام. السؤال هل للتركيبة المجتمعية والصراعات الموجودة وفقدان الديمقراطية دور في قيام الدكتاتورية؟ بالتأكيد لها دور ولكن هذا ليس بقدر ولن يستمر الى ما لا نهاية. الآن المشاعر الموجودة عند اغلبية الشعب العراقي بعد التجربة المريرة، خصوصاً في السنوات الـ (١٣) الاخيرة، الحربين الكارثيتين ضد ايران وضد التحالف الدولي والحرب البشعة التي وصلت حد استخدام السلاح الكيمياوي ضد الاكراد.هذه العوامل كلها، بالاضافة الى العوامل العالمية تعمق وترسخ لدى الفرد العراقي الشعور بأهمية الديمقراطية التي لن تقوم في العراق بسهولة لانها تحتاج الى نضال طويل شديد لتثبيت قيمها وآليتها في الحياة السياسية عندنا.

■ لنحاول الاقتراب، استاذ عبد الرزاق، من الاجتماعيات وعلومها. الكثير من المنظرين للديمقراطية و«الديمقراطيون» يتجاهلون دور العلاقات الاجتماعية وبنية التركيبة المجتمعية في فرض نوع سلطة الحكم أو شكل نظان الحكم. انني اتصور ان الديمقراطية تنبع من تحت كي تصل الى المؤسسة الفوقية. على سبيل المثال لو نأخذ مؤسسة «الاسرة» في الشرق عموماً أو في العراق نرى ان هناك سلطة ابوية بطرياركية تؤدي الى تربية قبول العنف لدى افراد الأسرة والخضوع

ايضاً. اذن يبدو لي ان على الديمقراطية الانطلاق من اصغر مؤسسة اجتماعية ألا وهي العائلة كي تصل الى اكبر مؤسسة سياسية وهي السلطة الحاكمة. لهذا انا اقـول بان للتـركيبة الاجتماعية دوراً كبيراً. هناك مثلاً في العراق مؤسسة وظيفة افرادها هي الاعتداء على الآخرين فقط. الفرد الذي يقبل بهذه الوظيفة إما تعرَّض الى عمليات تشويهية كبيرة من قبل السلطة أو ان تركيبته النفسية والمجتمعية تقبل بهذا الدور أو الاثنين معاً. .

التكوين التاريخي والاجتماعي لمجتمع بمعين والمفاهيم السائدة هي عوامل تلعب دوراً في اتاحة الفرصة لاقامة حكم دكتاتوري أو عدم اقامته، ان يقوم أو يسقط. وبالتالي ما ذكرت عوامل ينبغي اخذها بنظر الاعتبار من وجهة نظر العلوم الاجتماعية ومن وجهة الواقع الاجتماعي ايضاً. ولكن، بالاساس يفتقد العراق المجتمع المدني المتكامل. من هذه المنـطلقـات كلهـا نقول ان مهمتنا المستقبلية هي مهمة صعبة، اقصد مهمة خلق مجتمـع ديمقـراطي، مجتمـع مدني بمؤسسـاتـه، واشاعة الديمقراطية في كل مفاصل المجتمع سواء في العائلة أو في المدرسة أو في المعامل واساساً في مؤسسات الدولة كلها. من الصعب علينـا ان نقـول يجب البدء من العائلة اذا لم يكن هناك نظام عام سياسي ديمقـراطي، وحـرية الآراء، واستعـداد الفـرد للاستماع للرأي الآخر، ومناقشته. نعم، التخلف في العراق قد يتيح فرصة اقامة حكم دكتاتوري ويستطيع الدكتاتور عبر اجهزة معينة ان يشوه وعي الناس ويضللهم بالاضافة الى الارهاب ايضاً. ولكن بالنتيجة، حين نريد تغيير هذا الوضع، ينبغي علينا ان نبدأ بتغيير النظام السياسي ككل. الآن في ظل المجتمع البـرجـوازي توجد دكتاتوريات بشعة، وتوجد في مجتمعات اخرى حريات ديمقراطية، وممـارسـة الحـرية. لذا علينـا التركيز اولاً على الخلاص من الدكتاتورية وبناء مجتمع ديمقـراطي، هذه مهمـة صعبـة.ولكن البـداية هي بنـاء نظام سياسي ديمقراطي تعددي وانتخابات حرة ومجلس تأسيسي ودستور دائم ودولة قانون. ويجب ان تكون هناك منظمات نقـابية ديمقراطية للشباب والطلاب، نقابات واسعة تشمل كل الجماهير. هذه المسائل تعكس تأثيراتهـا على المجتمـع وحتى على العائلة. فالعائلة في المجتمع الديمقراطي تخف فيها السيطرة الابوية البطرياركية ولا تكون بدرجة كبيرة مثلما هي موجودة في مجتمع عشائري متخلف.

■ لقـد تحدثت عن هتلر. هناك فروقات هائلة بين البيئة والمجتمع الذي خلق فيهمـا هتلر وبين البيئـة والمجتمعـات الشـرقيـة. في الشـرق كثيـراً ما تبحث المجتمعـات عن منقذ غيبي أو فرد قوي سلطوي. وربما يكون هذا راجعاً الى المسألة الدينية وجذورها أو الاصح مسألة «المطلق»،ولهذا نرى ان الديمقراطية

في الشرق غائبة، وهذا ما يؤدي الى بروز دكتاتوريات أو عدم استمرارية الانظمة التي تخطو نحو الديمقراطية. في العراق على سبيل المثال لا الحصر عبد الكريم قاسم كان قائداً جيداً ولكن لم يدم حكمه طويلاً. لم يكن دكتاتورياً

ما هو الدكتاتور اذن؟ كان ينفرد بالقرارات.وما يقرره يجب ان ينفذ.

■ طيب كان افضل من صدام مليون مرة.

لا شك في هذا.

■ اذن لنتساءل لماذا تستمر سلطة صدام اكثر من ١٢ سنة، بينما حكم قاسم لم يدم سوى سنوات قلائل، بغض النظر عن الوسائل القمعية والارهابية التي يستخدمها صدام.

هنا تدخل عوامل اخرى، انا ذكرت هتلر كمثال ليس للمطابقة، وانما كمثال للعوامل التي تخلق الدكتاتوريات. وفي الشرق،الديمقراطية ضعيفة، لكن الديمقراطية هي حصيلة التاريخ، الديمقراطية ازدهرت بنضال الشعوب حين برزت البرجوازية وقضت على الاقطاعية وهشمت مؤسساتها وبنت مؤسسات جديدة، انت تقول انهم في الشرق يبحثون باستمرار عن منقذ، قائد، امام. ولكن هذا في الغرب ايضاً موجود في الفكر الديني.

■ نعم هناك المسيح المنتظر على صعيد الفكر الديني ولكن لا يمزجونه بالسياسة.

اذن لا اعرف كيف نفسر الايمان بعودة المسيح الذي يملأ الارض عدلاً وخيراً وليس للتبشير فقط. على اية حال هذا الموضوع فعلاً يتطلب دراسة وبحث عميقين.ولكن العوامل التاريخية والاقتصادية لها دورها،والتركيبة الاجتماعية لها دورها ايضاً. الآن الديمقراطية في الهند مثلاً اوسع مما هي موجودة في بعض البلدان الاخرى وهذا بسبب عوامل عديدة. الاستعمار في العديد من الدول يعيق نمو الديمقراطية ولكن سعة الحركة الديمقراطية في الهند والنضال ضد الامبريالية وقوة البرجوازية الهندية، وحزب المؤتمر حكم بأسلوب جذب الجماهير نحوه، كل هذه خلقت مؤسسات ديمقراطية. لقد ابتعدنا عن الموضوع ولكن كان هذا للمثال فقط. بعض التحليلات تخلق حالة قريبة من الاحباط من اننا لا نستطيع اقامة حكم ديمقراطي،وهذا غير صحيح. هذا رهن بوعي القوى الاجتماعية والسياسية وقدراتها وفعل العوامل الداخلية في بناء الانظمة السياسية مستقبلاً. في المرحلة الراهنة الوضع مهيأ من حيث قناعات الناس ومطامحهم واستعداداتهم للعمل. يبقى على القوى السياسية ادراك هذه المسألة جيداً، والتفاعل معها والاستفادة منها لخلق النظام الديمقراطي

اواخر شباط / ١٩٩٢



اسم الحزب الشيوعي ودلالته

د. سعاد خيري

يدور النقاش داخل الاحزاب الشيوعية، ومنها حزبنا، حول تسمية احزابهم. فهو نقاش عالمي اثارته التطورات العالمية العاصفة وجاء رد فعل لها وليس رد فعل لحادثة تاريخية عابرة كما حدث لحزبنا عام ١٩٦٠ عندما لجأ الحزب الى تغيير اسمه مع التمسك بجميع الاسس التي يقوم عليها من نظرية ماركسية ونهج مادي ديالكتيكي وبرنامجه ونظامه الداخلي*.. الخ ليقطع الطريق على مناورة عبد الكريم قاسم لتغطية عدائه للشيوعية بمنح اجازة بنفس الاسم الى جهة اخرى، ومع ذلك فان قاسم لم يكافح اسم الحزب الشيوعي وانما الاسس التي يقوم عليها. فلم يجز حزب «اتحاد الشعب» رغم التزامه بكل الشروط القانونية المعلنة. وعاد الحزب الشيوعي الى اسمه المنسجم مع اهدافه.. فالنقاش الحالي حول اسم الحزب ليس مسألة شكلية تتعلق بتغيير اسم الحزب دون تغيير الاسس التي يقوم عليها. وتفضح ذلك المبررات التي يطرحها بعض الشيوعيين العراقيين الداعين الى تغيير اسم الحزب، وجاءت في بحوثهم المنشورة في الثقافة الجديدة والتي جمع بعضها مشكوراً د. عبد الرؤوف حسين علوان تحت عنوان وجهات نظر (في العدد ٢٤٥) ومنها ضرورة ربط اسم الحزب عضوياً بمهمات الحزب الآنية وتطلعاته الواقعية.. والتخلي عن النظرية الماركسية التي وضعت لعصر يسبق عصرنا.. والبحث عن استراتيجية وطنية خاصة تستند على اولوية حل القضايا الوطنية. واذا رفض الحزب اليوم اتخاذ مثل هذه المبادرة المهمة فالحياة كفيلة بفرضها علينا غداً..

ويستند المدافعون عن اسم الحزب الشيوعي العراقي الى تاريخ الحزب الشيوعي العراقي وامجاده ودور الشيوعيين واخلاقيتهم وجماهيرية الحزب وقلة اخطائه. . ! ويلتقي الجانبان في التحليل الفلسفي لقضية تغيير الاسم في مقولة الشكل والمحتوى وكأنما يمكن فصل الشكل عن المحتوى في أي ظاهرة اجتماعية أو طبيعية، أو يمكن احداث تغيير نوعي بالشكل دون ان يتبعه تغيير نوعي بالمحتوى وبالعكس. . فيؤكد الطرفان على اهمية المحتوى وطرح تغيير الشكل على المؤتمر. . انه تبسيط للعلاقة الديالكتيكية بين الشكل والمحتوى التي تقضي باستحالة الفصل بينهما وايقاف التفاعل والصراع بينهما. .

ان المتتبع للاحداث العالمية العاصفة بمنهجية ماركسية يدرك أنها مظاهر للثورة العالمية الناجمة عن التناقض بين تطور القوى المنتجة الذي احدثته الثورة العلمية التكنولوجية وبين علاقات الانتاج السائدة في العالم والتي تتراوح بين العلاقات ما قبل الرأسمالية والرأسمالية والاشتراكية المشوهة. . ان هذا التناقض يفرض، وفقاً للنهج الماركسي والنظرية الماركسية، ثورة اجتماعية تنقل علاقات الانتاج وجميع البنى الفوقية الى مرحلة نوعية جديدة. . واذ عجزت الحركة الشيوعية عن التنبؤ بالثورة ومسارها وبقوانينها وتفاصيل احداثها بسبب جمود النظرية وانشغال ارقى العقول البشرية بالثورة العلمية التكنولوجية واهمال بل ومحاربة التعمق الفكري في المجالات الفلسفية والعلوم الاجتماعية، فقد وقف الجميع مشدوهاً امام هذه الاحداث التي تسير بشكل عفوي عاصف ومدمر لا يمكن التحكم به إلا بالكشف عن قوانين الثورة الجديدة من خلال تطوير المنهج والنظرية الماركسية وتجديد الحركة الشيوعية وتحشيد قوى الانسانية من اجل تشذيب سير الثورة العالمية والتقليل من فعلها العفوي وانقاذ البشرية من مخاطر المخاض والتخفيف من آلامه.

واذ يقف الفكر عاجزاً عن تحليل هذه الاحداث العاصفة التي لا تنسجم مع نسق التفكير السائد المبسط لسير التاريخ وللحتمية التاريخية، يثور البعض على كل المفاهيم والافكار السابقة بشكل مبسط ايضاً. فيتخلى عن النظرية الماركسية بكل ما فيها من حيوي واساسي للانطلاق الى تطويرها رغم احتوائها على ما تجاوزته الحياة. ويتخلى عن التجربة بكل ما فيها من ايجابيات وما قدمته للبشرية من خدمات رغم الاخطاء الجسيمة التي رافقتها. ويتخلى عن الاممية لانه اساء استعمالها، رغم حيويتها، باعتبارها احد الاسس التي تقوم عليها الاحزاب الشيوعية، حيث تعمل على الربط الديالكتيكي بين الاهداف الوطنية والقومية وبين الاهداف العالمية الشاملة للانسانية، ولا تضع احدهما في تناقض مع الآخر ولا احدهما في مقدمة الآخر بشكل جامد ودائم. . ويدل اتعاب النفس وشحذ الفكر في تحليل عموم التجربة لتحديد مواقع الخطأ ودراسة النظرية بعمق للعمل على

تطويرها والكشف عن قوانين الثورة الجارية يشطب على كل التجربة ويقطع كل صلة بها بما فيها تغيير اسم الحزب. وإذ يتمسك العديد منهم بالحزب لارتباطه بأعز مراحل الشبيبة واحلامها، والبعض الآخر بدافع القصور الذاتي وضعف الهمة، فانهم يعملون على تفصيله على مقاس امكاناتهم. . وكل ذلك بعيد عن التجديد الذي تفرضه المرحلة الانتقالية الراهنة وهو عملية موضوعية علمية تستند الى التجربة التاريخية ومنجزات الفكر الانساني عبر التاريخ وتتفاعل مع الواقع المتطور بمنهجية علمية. .

لم تأت تسمية الاحزاب الشيوعية بناء على رغبة شخصية أو استجابة لاهداف مرحلية أو تيمناً بنضالات سابقة، وإنما جاءت في البداية استجابة لاحلام البشرية عبر العصور في مجتمع خال من الطبقات وجميع اشكال التمييز والاغتراب. . فقد ظهرت هذه التسمية على حركات جنينية طوباوية للاحزاب الشيوعية المعاصرة، وقبل نشوء الظروف الموضوعية والذاتية لنشوء الاحزاب الاخيرة، وفي مقدمتها تطور العلاقات الرأسمالية وتبلور الطبقات الاجتماعية في العديد من البلدان التي حتمت في مسارها تطور العلوم الاجتماعية والفلسفة فضلاً عن العلوم الطبيعية، واستطاع ماركس وانجلس ان يطوراها في نهج ونظرية شاملة لتحرير البشرية وبناء المجتمع الشيوعي الذي طالما حلمت ولاتزال تحلم به. . ولم يدعيا انهما وضعا كتباً مقدسة وقوالب نظرية للحركات التي تأخذ على عاتقها مسؤولية تحقيق هذه الاهداف العظيمة بل انهما وضعا الاسس الفكرية والنظرية لانطلاقها وتطورها وفقاً لتطور الاساس المادي للحياة الاجتماعية.

واذ حتمت العلاقات الرأسمالية وجود الاحزاب الشيوعية المعاصرة كضرورة لتحرير المجتمع، فلا يمكن ان تزول هذه الضرورة إلا بزوال العلاقات الرأسمالية، وإذ تمر الشعوب الآن في مراحل مختلفة من تطورها وتباين اهداف هذه المراحل في بعدها وقربها من الشيوعية، فان اسم الشيوعية الذي تتميز به هذه الاحزاب يؤكد على ترابط هذه المراحل وعلى اتجاه التطور وآفاقه. وقد فصلت النظرية الماركسية هذه المراحل واجتهدت في صياغة اهدافها والترابط بل والتداخل بين هذه الاهداف، على تخوم المراحل، وابقت الهدف الشيوعي واضحاً كمؤشر للاتجاه وكمحصلة لكل هذه المراحل والاهداف.

وفي جميع المجتمعات المعاصرة وفي كل مرحلة من مراحل تطورها تنشأ احزاب قبل وبعد نشوء الاحزاب الشيوعية، ويزول بعضها بزوال هذه المراحل وتحقيق اهدافها، وتبقى الاحزاب الشيوعية عبر المراحل هذه تتطور من اجل انجاز مهمتها الاساسية التي لا تقتصر على تحرير بلدها وشعبها وإنما تحرير البشرية عموماً، لارتباط المهمتين ارتباطاً عضوياً ولا يمكن تحقيق احداهما بدون الاخرى. ولذلك فهي تتميز عن الاحزاب الوطنية الاخرى التي تقصر هدافها على اهداف وطنية أو قومية. ورغم ظهور حركات جماهيرية

عالمية مثل حركات حماية البيئة، وحركات السلام ونزع السلاح، واطباء بلا حدود، وحركة هلسنكي المدنية وغيرها، التي يدعمها الشيوعيون لانها وسائل فعالة لتعبئة البشرية في النضال في ميدان أو أكثر من ميادين النضال التي تقرب البشرية من اهدافها وتحميها من المخاطر المحدقة في هذه المرحلة الانتقالية، فانها لا يمكن ان تعوض عن الاحزاب الشيوعية التي تربط في نضالها جميع هذه الميادين والاهداف.

لا يمكن فرض اسم الحزب الشيوعي والاسس التي تقوم عليها هذه التسمية على احد. فمن يريد ربط اسم الحزب بالمرحلة واهدافها التي تمر بها اليلاد فلينشيء حزباً لهذه المرحلة. ومن يريد ان يحدد استراتيجية الحزب الشيوعي من منطلق وطني فحسب، لينشيء هذا الحزب.وستحظى جميع هذه الاحزاب بتأييد وتشجيع الحزب الشيوعي العراقي الذي يتمسك باسمه ليس من منطلق التعصب والجمود وإنما من منطلق هذه المميزات جميعها التي لا يمكن ان تلمّ بها تسمية مثل الشيوعية. وانطلاقاً من الانسجام بين الشكل والمحتوى الذي فرضته العلاقات الرأسمالية السائدة والمهام المطروحة امام البشرية وعندما تزول هذه العلاقات وتنجز هذه المهام سيزول هذا الشكل والمحتوى بشكل تدريجي معها. وانها لفرصة سانحة حقاً لكي يمارس كل مناضل حقه في اختيار اسلوب وشكل كفاحه وفقاً لامكانياته ومنطلقاته وليس بالضرورة في الحزب الشيوعي العراقي. ويتطلب من الجميع النضال بلا هوادة من أجل الديمقراطية والتعددية لكي تجد كل هذه الطاقات مجالاً للنضال والعمل والابداع وتفسح في المجال للشيوعيين للنضال الاوسع والاشمل ولا تضطر للنضال داخل الحزب الشيوعي لتغيير اسمه من منطلقات لا تنسجم مع الاسس التي تقوم عليها الاحزاب الشيوعية وتعمل بوعي أو بغير وعي على تغيير محتوى الحزب الشيوعي،اذ لم تبقِ من الاسس التي يقوم عليها الحزب الشيوعي سوى الاعتراف بالاشتراكية كهدف بعيد. وهذا لوحده لا يجعل من أي حزب حزباً شيوعياً. فقد تبنت الكثير من الاحزاب الوطنية هدف الاشتراكية دون ان تصبح شيوعية.

ان تغيير اسم الحزب الشيوعي دون تغيير الاسس التي يقوم عليها، لا تقي الحزب الشيوعي من غضب اعداء الشيوعية، كما يظن البعض. فان اعداء الشيوعية اعمق وعياً لمصالحهم الطبقية من ان يكفوا عن محاربة أي تنظيم يقوم على نفس الاسس أو حتى بعضها مهما تباينت الاسماء،ولنا من التجارب العالمية المعاصرة الكثير من الامثلة. فقد بقيت اجهزة الاعلام التي تسيطر عليها الرأسمالية على النطاق العالمي تضيف الى اسماء الاحزاب الشيوعية التي غيرت اسمها، عبارة «الاحزاب الشيوعية سابقاً». وبقيت وسائل الدعاية والتحريض تحاربها بعنف. ولنا من تجارب حزبنا القديمة والمعاصرة ادلة مفحمة. فنوري السعيد لم يحارب الحزب الشيوعي فقط وإنما جميع المنظمات الديمقراطية وحركة

السلام بنفس القانون الذي يحارب الشيوعية باضافة «وما شاكل ذلك» الى القانون. وعبد الكريم قاسم لم يجز الحزب الشيوعي العراقي رغم تغيير اسمه الى حزب «اتحاد الشعب». وبعض الاحزاب الاسلامية في المعارضة العراقية تعتبر التجمع الديمقراطي واجهة للحزب الشيوعي العراقي.. فاعداء الشيوعية لا يعجزون عن اختلاق المبررات لمحاربة الشيوعية حماية لنظام الاستغلال. واخطاء الاحزاب الشيوعية ولاسيما في البلدان الاشتراكية سابقاً لا تبرر معاداة الشيوعية وابادة الشيوعيين. وان التصدي لذلك بتغيير اسم الحزب الشيوعي واسسه يقدم اكبر الخدمات لهم.

ان تجديد الاحزاب الشيوعية وتطوير النظرية الماركسية ضرورات تفرضها مسيرة البشرية نحو تحقيق اهدافها في مجتمع انساني حق خالٍ من الطبقات ومن جميع اشكال التمييز بين البشر. المجتمع الشيوعي حلم البشرية، ولا تعني تغييب الهدف بعد ان اصبح قريباً بفضل الثورة العلمية التكنولوجية، ولا تعني فقدان الثقة به، وبامكانية تحقيقه وطرحه خارج احلام الاجيال الحالية واهدافها. ان البشرية التي تقاسي الاستغلال والتمييز المتنوع والتغريب القسري والتضليل الاعلامي الشامل هي في امس الحاجة الى الحركة الشيوعية المتجددة، في امس الحاجة الى وضوح الهدف والثقة بالمستقبل والى وسائل واساليب الكفاح الدائب والشامل وتعبئة القوى وتجميعها والاستعداد للتضحية لتحقيق اهدافها العظيمة.

وشعبنا الذي عانى من الدكتاتوريات المختلفة، ولاسيما الدكتاتورية الحالية وحروبها المدمرة، بأمس الحاجة الى الحزب الشيوعي العراقي الذي يتميز عن جميع الاحزاب الوطنية والقومية بانه يجسد اهداف ومطامح جميع القوميات، ويربط بين الاهداف الوطنية الآنية والاهداف العالمية في حماية البشرية. فهو اذ يعمل للتضامن مع نضال جميع الشعوب والحركات الجماهيرية العالمية، يسعى من اجل تصعيد تضامنها جميعاً مع شعبنا. واذ يناضل من اجل حقوق الجماهير الكادحة الآنية يربط نضاله هذا بأهدافها المستقبلية. كما يجسد مصالح جميع فئات الشعب بنضاله من اجل الديمقراطية التي لا تحدها مصالح طبقية أو قومية أو طائفية. انه يناضل من اجل التطور العلمي والتكنولوجي والثقافي والفني والانفتاح على الثقافات العالمية دون انغلاق قومي أو طائفي أو ايديولوجي، من خلال اطلاق حرية الفرد الابداعية بدون أي تمييز، ويستفيد في نضاله من تجارب جميع الشعوب. ويناضل بانسجام مع الاحزاب الشيوعية والحركات الديمقراطية العالمية والمحلية من اجل حل المشاكل العالمية كنزع السلاح وحماية البيئة واقامة علاقات اقتصادية عالمية عادلة ومن اجل التطور المتناظر لجميع اجزاء العالم ليبقى شعبنا في قلب الاحداث العالمية يتفاعل معها ويتأثر ويؤثر فيها. ان شعبنا بأمس الحاجة للحزب

الشيوعي الذي يضع في مقدمة اهدافه الآنية توحيد جميع القوى الوطنية من اجل اسقاط الدكتاتورية واقامة البديل الديمقراطي .

١٦/٦/١٩٩٢

تعقيب*

لم يغير الحزب الشيوعي العراقي اسمه كلياً بل كل ما هنالك هو انه اضاف عبارة (اتحاد الشعب) بين هلالين الى اسم الحزب الشيوعي العراقي، تمييزاً له عن اسم الحزب المجاز من حكومة عبد الكريم قاسم باسم حزبنا، الذي انتحله المرحوم داوود الصائغ، لاحباط اجازة حزبنا عام ١٩٦٠ .

زكي خيري
(احد الموقعين
على طلب اجازة الحزب
الشيوعي العراقي) .

هوامش على البرنامج

هادي العلوي

من الصين القصية ارسل الصديق الباحث هادي العلوي هذه الـ «هوامش» مساهمة منه في الحوار الدائر حول مشروع البرنامج الجديد الذي سيطرح في المؤتمر الوطني الخامس لحزبنا. ومن يتابع ما ينشر كاتبها في التراث والفلسفة والسياسة لن تفاجئه طروحات الهوامش التي وصفها في رسالة الى رئيس التحرير بالقول انها «حصيلة تفكير طويل مرير وممارسة مضنية، كما تعلم، من هذا العمر الذي ارتبط بالحركة الشيوعية دون ان يغيب فيها، وعاش بين الكتب ماضيها وحاضرها فصار من «الحالمين» على قول البعض. ولا بأس من ان تتسع صدوركم لاحلام هذا الحالم. وتعرف جيداً ان المخترعات العلمية مسبوقة دائماً بالخيال العلمي. فلتكن هوامشي هذه من هذا الباب. . .».

تتحمل الحركة الشيوعية في عالمنا العربي، بل وفي عموم الشرق الاوسط، مسؤولية تزيد على كونها حركة تسيرها ايديولوجيا معنية وترتبط بشعارات محددة لانها تمس جوهر المصير الكامل للبلدان التي تنشط فيها هذه الحركة من جهة عناصر الصراع الوطني، والاجتماعي، والحضاري بالجملة. وفيما يخص العراق فان التجارب بينت ان القوى المؤهلة لتحمل هكذا مسؤولية منذ انحسار مد ثورة العشرين هي قوى اليسار الديمقراطي بزعامة كامل الجادرجي، والحركة الشيوعية المنظمة في الحزب الشيوعي كما اسسه يوسف سلمان. ومع رحيل الجادرجي، بوصفه الزعيم الوطني الاصدق من خارج الحركة

الشيوعية، انفرد الحزب الشيوعي بالمسؤولية لان الجادرجي فشل في تنظيم حركة تستهدي بسياسته وافكاره الوطنية النبيلة، فشلاً ذريعاً جعل حاله في الحركة الديمقراطية العراقية مثل حال المتنبي في ارض نخلة.

والشيوعية ليست ايديولوجيا بل موقف اجتماعي، وطني، حضاري. ونحن لم نعرف الشيوعية هذا اليوم، وبعد ان ترجمت الينا من بعض اللغات الغربية. ان شيوعيتنا عمرها يزيد على الالفين سنة. واذا لم نوغل ابعد في التاريخ فان ارضنا احتضنت حركات منظمة لم تكن اقل وعياً شيوعياً من هؤلاء الذين ارادوا ان يعلمونا الشيوعية فعلمونا البيروقراطية والدوغما والشعارات الميتة. ان تاريخنا قد تبلور بأربع حركات مشاعية كبرى لا نظير لها في اوربا هي:

- حركة يسوع، التي حولها الاوربيون الى دين.
- الحركة المزدكية في ايران والعراق.
- حركة ابو ذر الغفاري التي استوعبت الجانب المشاعي من الاسلام، على النقيض من اسلام قريش.
- الحركة القرمطية، لاسيما في العراق والشام.

وحياتنا في جملتها محكومة بتقاليد هذه الحركات الكبرى لان تطورنا الاجتصادي تبلور فيما سماه كارل ماركس غياب الملكية الخاصة للاراضي، ذلك الغياب الذي منع من تطور ملكية الانتفاع الى ملكية اقطاع.

وكان يمكن للماركسية بعد وصولها الينا ان تحول هذا الوعي القائم في تاريخنا وواقعنا الى حركة عصرية منظمة بمبادىء الاقتصاد العلمي لو انها، أي الماركسية، وصلت الينا رأساً كما تبلورت على يد ماركس وانجلز وبليخانوف ولينين، ولم تصل الينا بالواسطة لتأخذ شكل الوسيط وصورته ومقاسه ومعاييره الخاصة به.

لا ابغي الاسهاب في هذه المسألة فلها مقام آخر غير هذا. وإنما اردت التأكيد على السبب الذي يجعلني اتمسك ببقاء الحزب الشيوعي رغم انه لايزال يدور في دوامة الوسيط، كما كشف عن ذلك برنامجه المطروح على المؤتمر الخامس. واني لآمل ان يعاد النظر في هذا البرنامج في ضوء المسؤولية التاريخية التي يتحملها الشيوعيون العراقيون سواء كانوا حزبيين أم خارج الحزب. والمبدأ الذي اتمسك به في تأييدي للحزب انه مؤسسة شيوعية؛ والمؤسسة الشيوعية لا تتأثر بأخطاء في البرنامج أو انحرافات في سياسة بعض القادة، في لحظة ما من حركة الصراع، لان جوهر الشيوعية لا يصدأ كما تصدأ سائر النظريات والايديولوجيات والحركات المنظمة في مرحلة معينة. وهذا كما قلت لان الشيوعية ليست من الايديولوجيا بل من الموقف الاجتماعي والوطني والحضاري. وهذا

مرهون لمصدرين هما: تراثنا المشاعي، ونظريتنا الماركسية. ولن يكون مطلب عسير ان يتعلمن تراثنا المشاعي بالفكر الماركسي اللينيني، أو ان تتعمد الماركسية بتراثنا المشاعي. ولقد قلت دائماً ان كارل ماركس يتمتع بخصال حكيم شرقي اكثر منه فيلسوف غربي من تلك السلسلة الطويلة التي قدمت الكثير من الفكر العلمي والقليل من الحس الانساني. ان كارل ماركس اقرب الى الحلاج ولاوتسه منه الى هيغل وفيخته..

هوامشي التي اقدمها الآن لا تتعارض مع البرنامج المطروح من حيث كونه برنامج مؤسسة شيوعية بل مع فقرات منه جاءت بنتيجة تأثير الوسيط على هذه المؤسسة. ومن هنا مثلاً لم اجد ما اضيفه الى خطة البرنامج فيما يخص المسألة الكردية. فهي انضج خطة ممكنة حتى الآن. ويستحيل على غير الشيوعيين ان يتقدموا بحل كهذا لمسألة معقدة كهذه. ولكي يكون البرنامج كله على هذا الانموذج اقدم هوامشي التالية:

في نظام الحكم

١ ـ يخصص راتب لرئيس الدولة ورئيس الوزراء والوزراء يضمن لهم معيشة طبيعية معتدلة بدون تقشف أو بذخ، مع عدم شمولهم بأي امتياز لقاء قيامهم بواجبهم.

٢ ـ يمنع اغداق الالقاب على رئيس الدولة ورئيس الوزراء والوزراء. وتمنع اذاعة اخبار جولاتهم المحلية واستقبالاتهم في وسائل الاعلام.

٣ ـ لا تعلق صور رئيس الدولة في المؤسسات الرسمية والعامة ويوضع بدلها شعار الدولة.

في الاقتصاد

١ ـ يدشن الحكم الجديد عهده بشن حملة لانتاج المواد الغذائية لمعالجة عواقب الحصار الغذائي المفروض من قبل ما يسمى مجلس الامن الدولي. تكون الحملة شاملة لجميع العراقيين لاستزراع جميع المساحات المتوفرة بما فيها الحدائق المنزلية والارصفة والعقارات الغير مبنية والفضوات داخل المدن. وهي الطريقة التي اتبعتها الصين في بداية الحكم الشيوعي.

٢ ـ الثروات المادية في العراق ملك للمجتمع. ويندرج فيها الاراضي والعقارات والمعادن والغابات. وملكية الافراد لها حيازة أي ملكية انتفاع الارَقَبة.

٣ ـ القطاع العام هو الحاكم على النشاط الاقتصادي في البلاد.

٤ ـ تكون الزراعة عماد الاقتصاد الوطني والتنمية الاجتماعية وتستثمر الاراضي بطريقتين:

أ ـ طريقة العائلة أو مجموعة العوائل. وتكون بتخصيص مساحات تستثمرها العائلة الواحدة أو العوائل المجتمعة لحسابها الخاص. ويجب ان يشمل الاستثمار الزرع والدجانة. على ان تباع منتجات الاستثمارة الى القطاع العام. ويسمح بالبيع المباشر للمستهلك بالمفرد دون الجملة.

ب ـ مزارع الدولة.. وتنشأ لزرع الحبوب والغلال الصناعية. وتدار بالاشتراك بين الفلاحين والدولة، على ان تكون ادارتها في نفس الموقع. وتُلغى المؤسسات الزراعية في العاصمة والمدن عدا الوزارات المختصة. ويكون مدير المزرعة ومعاونوه من المزارعين ذوي الخبرة ولا يتولاها موظف حكومي أو خريج جامعة.

ج ـ تشكل منظمة أو مؤسسة مختصة بالبستنة من الخبراء الحكوميين والمحليين تتولى تخطيط وتنفيذ انشاء واستثمار بساتين الفاكهة والنخيل. وتعطى البساتين لافراد ذوي خبرة يستثمرونها لحسابهم الشخصي، بشرط ان يعملوا فيها بأنفسهم. ويجوز لهم الاستعانة بكادحين أجراء لاداء اعمال معينة، على ان تحدد اجورهم على اساس رواتب الخبراء العاملين في المؤسسات الانتاجية، ويكون سقفها اعلى من سقف رواتب الخدمة المدنية. ويمنع الاستثمار بالمحاصصة كما يمنع تأجير البساتين. ويعطى الكادحون المتخصصون في البستنة والذين اعتادوا على العمل بالمحاصصة أو تأجير البساتين مساحات لانشاء بساتين عليها يستثمرونها لحسابهم الخاص.

د ـ التسويق الزراعي من مسؤولية الدولة. ويمنع التجار من التوسط بين الفلاح والمستهلك. وتتشكل لجنة لاستلام المحاصيل وتقدير اثمانها من موظفي القطاع العام ومندوبين عن الفلاحين في كل قرية. وتبقى البقالة حرة، على ان يتسلم البقال بضاعته من لجان التسويق لا من الفلاح رأساً. ويمكن للفلاح بيع محاصيله مباشرة للمستهلك وبيع المفرد لا الجملة.

هـ ـ الري مسؤولية الدولة. ويدار في موقعه من جانب الخبراء الحكوميين والفلاحين المحليين. مثلاً: مشروع المسيب الكبير تتولاه لجنة من موظفي الري وفلاحي المشروع، ولا يترك لدوائر الري المركزية ان تتصرف فيه من بعيد. اما مشروعات الري الاساسية، كالسدود والخزانات، فتبقى من مسؤولية وزارتي التخطيط والري.

و ـ توجيه المواطنين للاستفادة من الحدائق المنزلية باستزراعها بالاشجار المثمرة والخضروات ومكافحة النزوع المرضي الى الزراعة الترَفية.

ز ـ يستهدف الانتاج الزراعي توفير الامن الغذائي للعراق والبلدان العربية الفقيرة زراعياً ويتواصل تطويره ليكون عماد تجارة الصادرات العراقية.

ح ـ تشكل منظمات وجمعيات فلاحية في القرى والبلدات تتولى:

١ ـ تنظيم حياة الفلاحين وفق التقاليد الجماعية والمشاعية السائدة في البيئة والتراث بعد تهذيبها وتجاوز المتخلف والفاسد منها.

٢ ـ تأمين بناء مساكن ملائمة لهم تتوفر فيها الشروط الصحية الكافية.

٣ ـ معالجة مشكلات القذارة المزمنة في الريف وترتيب حلول عملية لمعافاة البيئة.

٤ ـ مساعدة الفلاحين وتوجيههم للتزود بالوسائل الصحية المناسبة في اوقات العمل ومنها احتذاء الجزمات المطاطية للوقاية من التلوث والطفيليات عند العمل في التربة الموحلة ومناقع الشلب وغيرها.

٥ ـ تقليل الاعتماد على النفط، والتدرج لتحويله الى مصدر ثانوي يستهدف انتاجه تلبية الاستهلاك المحلي واستهلاك البلدان العربية الفقيرة نفطياً. ويباع ما فضل عنه الى بلدان العالم الثالث بأسعار مخفضة لتشجيع هذه البلدان على الافلات من قبضة النظام الاقتصادي العالمي للرأسمالية.

يُقطع خط الانابيب المار عبر تركيا ويفتح خط انابيب بانياس عبر سورية. ويتخذ هذا الاجراء ضمن وسائل الضغط على تركيا بخصوص مياه دجلة والفرات.

٦ ـ تكون الصناعة الخفيفة اساس التصنيع في العراق، على ان تدخل فيها صناعة الادوات الاحتياطية للمصنوعات المستوردة. ويأخذ القطاع الصناعي الاوضاع التالية:

أ ـ مجمعات صناعية كبيرة تابعة للقطاع العام تشتغل وفق قانون العرض والطلب (الفعليين) وتدار على اساس الحوافز المادية للعاملين فيها بحيث تتفاوت الاجور تبعاً للكفاءة وصنف العمل وانتاجية الشغيل واخلاصه. وتكون ادارتها مشتركة بين القطاع العام ونقابات العمال والنقابات المهنية ذات العلاقة بعمل المجمّع.

ب ـ السماح للقطاع الخاص باقامة مشاريع صناعية صغيرة ومتوسطة على ان تشترك نقابات العمال في ادارتها. وتتولى النقابات شؤون العمال في هذه المشاريع من حيث توفير مستلزمات السلامة الصناعية والظروف الصحية وصيانة كرامة الشغيل تجاه المديرين مع محاربة النزوع الى الكسل واللامبالاة في صفوف العمال ومحاسبتهم على ذلك.

٧ ـ الانفكاك عن نظام النقد الدولي. ويترتب على ذلك:

أ ـ تحديد الاسعار بالاستناد الى واقع الانتاج المحلي دون الخضوع لتقلبات السوق الرأسمالية.

ب ـ تفضيل التعامل مع الخارج بالمقايضة أو الذهب على التعامل بالعملات الرأسمالية المسماة عملات صعبة.

ج ـ قطع العلاقة مع صندوق النقد الدولي ومصرف الاعمار الدولي وغيرها من مؤسسات النقد الرأسمالية الغربية.

٨ ـ منـع الاستثمارات الاجنبية مطلقاً وقبول استثمار رؤوس اموال قطاع عام من الدول العربية وما تبقى من دول اشتراكية وما سيقوم منها في المستقبل.

٩ ـ إلغاء جميع الديون التي ترتبت على نظام صدام حسين من عربية واجنبية.

١٠ ـ تطوير الصناعة الحرفية على النحو الآتي :

أ ـ الصناعـات الترفية ذات الطابع الفني مع الحفاظ على اصولها الفنية وعدم تشويهها بالحداثة المفتعلة أو المكننة المبالغ فيها.

ب ـ الصناعات الانتاجية كالسجاد والنحاسيات والجلديات وغيرها /بالنهوض بها الى مستوى الانتاج الحديث وذلك بتوظيف وتطوير المهارات المتوارثة للصناع الشعبيين.

١١ ـ احياء النقل النهري بين بغداد والبصرة عبر دجلة استناداً الى تراث الاساطيل العباسية التي كانت تمخر عباب النهر ما بين المدينتين.

١٢ ـ ضمـان حق الاضراب للعمال والفلاحين والعمال الزراعيين والموظفين في المؤسسات الحكومية والاهلية.

عن الجيش

١ ـ إلغاء التجنيد الاجباري.

٢ ـ تشكيل الجيش من المتطوعين فقط بعد تحويله الى مؤسسة ديمقراطية انسانية في نظامها الداخلي وايجاد محفزات للشباب على الانخراط فيه.

٣ ـ اتباع مبدأ التدريب العام لجميع فئات الشباب في اوقات العُطَل.

٤ ـ عدم ارسال الجيش العراقي في أي مهمة خارج العراق فيما عدا الحالات التي تستدعيها حماية دجلة والفرات وشط العرب. وتقدم المساعدات اللازمة لحركات التحرر في البلدان العربية وفي المقدمة منها ثورة الشعب الفلسطيني بوسائل اخرى تستند الى مبدأ «العبء يحمله اهله»، وهـو المبدأ الذي نادى به مؤسس الجمهورية عبد الكريم قاسم ونفذه بتأسيس نواة جيش التحرير الفلسطيني من الشباب الفلسطينيين في العراق. ويترك للشبـاب العـراقيين خيار الانضمـام الى المقاومة الفلسطينية تبعاً لاحساسهم الخاص بالمسؤولية الوطنية تجاه اشقائهم المضطهدين.

٥ ـ عدم السماح بالمظاهر العسكرية داخل المدن. وتمنع السيارات العسكرية من دخول مراكز المدن إلا في احوال استثنائية. كما يمنع ارتداء الملابس العسكرية خارج المعسكرات.

في المجتمع

١ ـ تشكل لجان محلية على مستوى الاحياء والمحلات من الاهالي انفسهم تتولى :

أ ـ معالجة المشكلات الاجتماعية والعائلية لاهل الحي.

ب ـ الدفاع عنهم ضد الاجهزة العسكرية والمدنية وضد الاقوياء والمستزلمين فيهم.

ج ـ المساهمة مع الجهات الرسمية المختصة في الحفاظ على امن المنازل والافراد.

د ـ المساهمة مع المؤسسات الصحية والبلدية في نظافة بيئة الحي.

هـ ـ تكون اللجان مسؤولة امام مؤتمر سنوي لاهل الحي.

و ـ تشجيع الاحزاب على القيام بنشاط اجتماعي على هذا المستوى من خلال الاشتراك في اللجان أو عن طريق منظماتها الفرعية في الاحياء.

٢ ـ تعزيز نظام العائلة وفق الاصول التالية:

أ ـ التمسك بالتقاليد الحميدة في مجتمعنا.

ب ـ مكافحة عناصر الانحلال المتسربة الى العائلة من المجتمع الاوربي والامريكي.

ج ـ اعتبار الاولاد مسؤولين عن حياة وكرامة الابوين.

د ـ والاخوان والاخوات متضامنين متكاملين في السراء والضراء.

هـ ـ منع تعدد الزوجات بقانون.

و ـ اعتبار معيار تحرر المرأة هو مساهمتها الكاملة في ادارة المجتمع والانتاج وليس في الجنس على الطريقة الغربية. وتدرس لهذا الغرض تجربة تحرر المرأة في الدول الاشتراكية، لاسيما صين ماو.

ز ـ استشراع مبادىء يتم بموجبها توفير «حق الزواج» لكل فتاة: واضافة هذا الحق الى قائمة حقوق الانسان كما نحددها نحن بعيداً عن التبعية والتقليد. وتستلهم في ذلك تجارب البابليين والمسلمين التي ضمنت هذا الحق عملياً في العصرين البابلي والاسلامي.

٣ ـ ضمان الشيخوخة والعجز والتعويق والبطالة بمخصصات تكفي لتوفير المسكن والملبس والمأكل والعلاج. وتستلهم في ذلك تجربة «دار الرزق» في صدر الاسلام وافكار التصدق القطباني الداعية الى ضمان «راحة الخَلْق». وتتولى هذه المهمة مؤسسات اجتماعية مختصة تديرها الدولة مع الاحزاب ويعمل فيها موظفون بسطاء ينحدرون من منشأ فقير.

٤ ـ تشريع قانون خاص يمنع التعذيب بشتى اشكاله وشتى اغراضه وضد أي انسان، مع تثبيت عقوبات صارمة رادعة ضد الجلادين تكون ذات اثر رجعي لا يسقط بالتقادم، على ان ينفذ القانون بعد الانتهاء من محاكمة زمرة صدام.

٥ ـ معالجة نزعة الاستزلام لدى الفرد العزاقي والسعي لبناء شخصية حرة تتصف بالشجاعة والانصاف وحب العدل. وتوظف لهذا الغرض القيم الانسانية في تراث الاسلام والمسيحية الشرقية.

في الثقافة والتعليم والاعلام

١ ـ التأكيد على التعليم المهني والبدء به من المرحلة الابتدائية حيث يصار الى استكشاف المهارات والميول الفطرية لدى التلاميذ وتوجيه تعليمهم على هذا الاساس. ويستهدف التعليم المهني تأهيل كوادر فنية للانتاج الزراعي والصناعي والحرفي.

٢ ـ وضـع منـاهـج التعليم الابتدائي والثانوي من قبل لجان تشكل على اساس الاتجاهـات الحـاكمـة في المجتمـع العـراقي والممثلة عملياً في الاحـزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية للطوائف والقوميات وذلك لمنع انفراد السلطة بصياغة وعي الشعب على هواها.

٣ ـ ايقاف البعثات في العلوم الانسانية الى الغرب.

٤ ـ التعـاقـد مع مفكـرين وعلمـاء غربيين احـرار، انسـانيين، غير مصابين بداء الاورومـركزي، ومنخرطين في سلك الفكر المعارض، للتدريس والمحاضرة في فروع الانسانيات في الجامعات والمعاهد العراقية.

٥ ـ توجيه اعمال النشر والترجمة من جانب المؤسسات الحكومية والاهلية والجامعية ضمن ثلاث محاور:

أ ـ مؤلفات الكتاب والباحثين العراقيين والعرب في شتى حقول المعرفة والادب.

ب ـ كتب التراث.

ج ـ ترجمة الاعمال العلمية والادبية ذات النزعة الانسانية والديمقراطية من بلدان الشرق والغرب.

٦ ـ تنظيم اذاعة بغداد بأسلوب الاذاعات الغربية الراقية. وتتخذ الاذاعة البريطانية (بي. بي. سي) معيار لذلك. مع تحاشي الدس الامبريالي والعنصري الذي تخصصت به هذه الاذاعات.

٧ ـ اخراج التلفزة من عهدة الراقصين والمطربين وتخليصها، مع الاذاعة الصوتية، مما سماه عزيز علي «الاغنية الماخورية» السائدة حالياً في جميع الاذاعات الرسمية في العالم العربي. وتحويل التلفزة الى اداة تربوية شريفة وتسلية مشروعة.

٨ ـ عدم اصدار صحف حكومية. وترك الصحافة للاحزاب والافراد.

٩ ـ منع الكتاب والشعراء والصحفيين العراقيين الذين خدموا نظام صدام حسين من

العمل في الصحافة. ويمنع نشر مؤلفاتهم في العراق. ومن احتاج منهم لكسب الرزق يشتغل في اعمال مهنية لا علاقة لها بالثقافة.

١٠ ـ تمنع من التداول في العراق مؤلفات الكتاب العرب الذين قبضوا الجوائز والرشاوي من صدام حسين حتى يعيدوا مقبوضاتهم الى الخزينة العراقية.

١١ ـ احياء مشروع جامعة الكوفة بعد تعديله ليكون مشروع وطني وابعاد العناصر الماسونية والطائفية التي ارادت استغلاله لاغراضها.

١٢ ـ بعث امجاد الثقافة السريانية في متضامّات السريان شمال العراق وكردستان. ويشمل ذلك.

أ ـ تأسيس جامعة سريانية تكون اللغة السريانية اساس التعليم فيها.

ب ـ دعم مجمع اللغة السريانية وتوجيهه لتحقيق الاغتناء المتبادل بين اللغتين السريانية والعربية بوصفهما اقرب اللغات السامية الى بعضهما.

ج ـ اقامة مهرجانات ومواسم ثقافية لدراسة التراث السرياني واحياء ذكرى الفلاسفة والعلماء والادباء السريان امثال يعقوب الرهاوي وديصان وجيقاري ويوحنا الدمشقي وآل يَخْتَّشوع، وتسمية الشوارع والميادين العامة بأسمائهم..

متفرقات

١ ـ ازالة تمثال الملك فيصل الاول واقامة تمثال في محله للشيخ مهدي الخالصي قائد ثورة العشرين والمؤسس الفعلي للدولة العراقية.

٢ ـ اقامة تمثال للزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم بوصفه مؤسس الجمهورية العراقية دون ان يعفيه ذلك من النقد لاخطائه وخطاياه لاسيما حملته الظالمة على الشعب الكردي.

بيجينغ ٢٧ ايار ١٩٩٢
٢٦ ذو القعدة ١٤١٢

الى الاصدقاء الشيوعيين

من عامر
فرنسا

واذ اخاطبكم الآن ـ ولم افعلها سابقاً ـ آمل بان تأخذ آرائي المدونة ادناه طريقها للنشر في مجلتكم ليس لعبقرية تميزني أو لملاحظات جهبذية اسوقها بل لاني لم اقرأ في مجلتكم وكذلك في «طريق الشعب» آراءً لاناس «غير مصنفين». وهكذا فانا اخاطبكم واحداً من اغلبية كبيرة صامتة؛ ولكنني اعدكم ـ مبشراً ـ انها لن تبقى هكذا. وايضاً لميزة اخرى: انني احمل للحزب الشيوعي جزيل الاحترام والتقدير لدوره المشرف في تاريخ العراق الحديث. كما كبر هذا التقدير مع اتخاذ الحزب لمواقفه المدروسة والمتوازنة وللنظرة المستقبلية تجاه الكوارث التي مرت على العراقيين خاصة في حرب الخليج بجزئيها؛ رغم ادراكي الظروف الدقيقة كثيرة الصعوبة التي مر بها الحزب.

وهكذا يدفعني حرصي الكبير على تاريخ وحاضر الحزب الشيوعي العراقي على تدوين ملاحظاتي هنا على مشروعي الوثيقة البرنامجية والنظام الداخلي للحزب.

ويدفعني ـ كما الكثرة التي انا منها ـ بحث مستمر نقوم / اقوم به منذ فترة، بحثاً عن صيغ لحل مصائبنا ـ مصائب الشعب العراقي في طروحات جميع الحركات والاحزاب العراقية،ورغم انني لا اعتقد بان آرائي هنا ـ ستأخذ فعلاً حظاً في النشر ـ والاسباب عديدة ـ فاني اكتب مرسلاً. فقد وعدتكم بعدم الصمت.

«علّنا نشفي غليلنا»

مع ادراكي ان مشروع الوثيقة البرنامجية يفترض به ان يقدم افكاراً ـ مشاريع ، فانني اسجل ان ملاحظتي الرئيسية ـ قبل الدخول بالتفاصيل ـ هي : ان افكار المشروع شديدة العمومية الى حد انها تعطي الاحساس، احياناً، ان صاحبها لا يحمل اكثر من صفة مراقب خارجي يحاول الالمام بكوارث الشعب العراقي مورداً صيغاً خطابية بصيغة حلول. صحيح اننا هنا بصدد «مشروع» ولكني اقول ما هكذا تورد الابل.

فالتمني وطرح احلامنا الانسانية وصياغة مطالب الناس بأفكار واطر قياسية ليس هو ما نحتاجه؟ على العكس نحتاج ان نتعامل مع الواقع بحذافيره الدقيقة والصغيرة. على من يطرح افكاراً أو حلولاً لتفاصيل مأزق، ومشاكل الشعب العراقي ان يرفقها بطروحات تفصيلية بلغة الواقع والارقام ،وصولاً حتى لمشاكل محتملة الحدوث، ولو اضطر لكتابة آلاف الاوراق.

نحن نتحدث عن كارثة ـ بل كوارث ـ تمر على العراقيين ولا نقدم إلا افكاراً عامة فقط، ونـردف ان الـدراسـات التفصيلية جاهزة وعلينا انجاز المهمة الاولى وهي اسقاط النظام. وارجو ان يكون ما اوردته اعلاه رداً جاهزاً على سوءة هذا القول.

ربما بعد ذلك سيأتي من يقول ان الدراسات المتخصصة موجودة بالفعل وبآلاف الاوراق. اقول هنا ان ما حصل ايام ثورة آذار وكيف نهض العراقيون رائعين وجرجرت المعارضة، بكل احزابها وفئاتها، خيبتها لهاثاً وراء اندفاع الناس. ولكن لمرة جديدة حصل ما هو طبيعي لهكذا معارضة وهكذا برامج ودراسات: اندحار شديد وسقوط امام الواقع وتفاصيل الحياة. وانا اقول لكم،ولنفسي، نريد احترام الناس وتأييدهم. اذن علينا الذهاب الى عندهم. ونتحدث عن ادق تفاصيل حياتهم في برامجنا. هكذا فقط نثبت لهم اننا اهل لاحترامهم وتأييدهم.

فما نحن بصدد الحديث عنه هو برنامج الحزب الشيوعي العراقي. والعراقي الذي يقرأ هذا البرنامج ـ شيوعياً كان أم لم يكن ـ سيبحث به، كما في غيره، «عما يُشفي به غليله» فدعونا نقدم له ذلك ولا نقدم له «ما يفش به غله».

الصيغ الجاهزة

الشيوعيون دائمـاً كانـوا متهمين بانهم يقدمون «صيغاً جاهزة» ويحاولون «فرضها» وتطبيقها على الواقع. وللاسف هنا يقدم «مشروع الوثيقة البرنامجية» الحجة والدليل على صدق هذا القول بل ان بعض هذه الصيغ والصياغات تجد لها ـ أو ستجد في المستقبل

القريب ـ واقعاً متناقضاً ستصدم به حتماً. ولاورد بعض الامثلة.

اولاً:

أ ـ «. . . وبين التزاماته القومية ازاء حركة التحرر الوطني والديمقراطي والاجتماعي للشعوب العربية والتزاماته ازاء الحركة التحررية الكردية ومسؤوليته تجاه حركة التقدم والديمقراطية والاشتراكية في العالم» (مقدمة الوثيقة البرنامجية).

ب «ـ تأكيد حق تقرير المصير للشعب الكردي في كل اجزاء وطنه. . .» (الوثيقة البرنامجية ـ عاشراً).

واعتقد لا يحتاج الامر تعليقاً على أ ـ ولكن اذا كان لا بد من هذه الديباجة اقترح دائماً ذكر ان اهميتها تأتي بعد المساهمة في، وانجاز المهام الوطنية.

وعن ب ـ وأنا انظر للمستقبل / الامنية لا استطيع إلا ان اطرح تساؤلاً: ـ كيف يكون الحزب ملتزماً، ازاء، الحركة التحررية الكردية ومؤكداً على حق تقرير المصير في كل اجزاء وطنه، بعد انجاز تحرير الوطن من النظام المجرم واقامة البديل التعددي والجمهورية الفدرالية والحكم الذاتي في كردستان؟ ويكون الحزب الشيوعي ـ هكذا الامنية ـ احد الاطراف المشاركة في قيادة الشعب العراقي المستقبلية (وهذا امر ليس بعيد الحدوث) هل سيكون هذا الالتزام بدعم حق تقرير المصير للاكراد في كل اجزاء وطنهم، بدعم الاكراد في كردستان ايران وكردستان تركيا بغض النظر عن النتائج المتوقعة من الجارتين ايران وتركيا؟

ثانياً:

أ ـ « ـ إلغاء جميع القوانين. . . الخ». (الوثيقة البرنامجية ـ اولاً).

ب ـ « ـ معالجة التشوهات. . . الخ». (الوثيقة البرنامجية ـ ثانياً).

ج ـ « ـ تصفية مظاهر. . . الخ». (الوثيقة البرنامجية ـ ثانياً).

مرة اخرى اجد نفسي مضطراً الى التذكير بان ما جاء اعلاه من حديث عن مصائب العراقيين يحتاج جدية اكثر في البحث والطرح المتخصص. وبالتأكيد لن يكون ذلك في اصدار قرارات الالغاء (الغاء ـ معالجة ـ تصفية).

وإلا أصبحت قراراتنا مثل قرار صدام بالغاء الطبقة العاملة العراقية..

ثالثاً:

أ ـ «. . . فهو زاخر بالتناقضات والصراعات. . . على اساس الاستغلال والاستقطاب الطبقي». (الوثيقة البرنامجية ـ الخاتمة).

ب «. . . وتسفيد من التطور في بلدان . . . . من التجارب الاشتراكية السابقة». (الوثيقة البرنامجية ـ الخاتمة).

هكذا افكار حادة ومجردة ما عاد لا الزمان ولا الناس يتقبلونها كما هي - فهي عدا كونهـا تتنـاقض مع الـواقع (ناهيك عن استفادة الرأسمالية العالمية كثيراً من التنظيمات الاقتصادية الماركسية) الذي يطرح عدة تجارب غربية ناجحة رأسمالية قد افادت شعوبها كثيراً وهي تتطور ولم تقف عند نجاحها الآني.

عدا ذلك فهذه الافكار اصبحت تتناقض مع واقع الشعوب التي تبنت - أو فرضت عليها - تجارب اشتراكية سابقة. فقد سقطت التجارب الاشتراكية بخيار الشعوب (وأرجو صادقاً ألا يكون هناك تعليق بان هذه الشعوب مخطئة أو ان علينا انتظار نتائج تجربة الصين وكوبا).

فعندما نريد ان نستفيد من «التطور في بلدان العالم» و«الدروس المستخلصة من التجارب الاشتراكية السابقة»، يجب ان نبدأ بالتفكير بأن التجارب الاشتراكية قد اصبحت سابقة حقاً.

التعويضات ولقمة العيش

انتقل الى جانب آخر اكثر خطورة وهو المعالجات الاقتصادية الاجتماعية والجوانب المالية فقد ورد:

أ - « - اصدار عفو عام . . . . . واعادة الاعتبار والحقوق لهم وتعويضهم . . . الخ» . (الوثيقة البرنامجية - اولاً).

ب - « - . . . . . وارجـاع الفلاحين الى اراضيهم وتعويضهم . . . الخ» . (الوثيقة البرنامجية - رابعاً).

ج - « - . . . . اعـادة الفـلاحين الى اراضيهم وتعويضهم . . . الخ» . (الوثيقة البرنامجية - عاشراً).

د - « - . . . . . . وضمان فرص العمل . . . الخ» . (الوثيقة البرنامجية - ثاني عشر).

يلاحظ استخدام الصيغ العمومية في الحديث عن موضوع التعويضات. ومع انني لا انـاقش احقية النـاس الحتمية في التعويضات ولكنني اركز كثيراً على خطورة الصيغ اعلاه. فالحديث عن التعويضات يجب ان يكون دقيقاً جداً. فهي حالة سائدة - للاسف - ان تأخذ العاطفة والحلول المثالية طريقها سريعاً الى برامج وخطط المعارضة وهي خارج السلطة . . . وخـارج الوطن؟ ولكن عندما تأتي لحظة الحقيقة وتتسلم المعارضة السلطة (هكذا الامنية) أو جزءاً منها وتحاسب على مشاريعها التي لم تطبقها تتسلح دائماً - كما كل من هو في السلطة - بالظروف الموضوعية والحلول الواقعية جواباً على سؤال الناس عن التعويضات (كما باقي المشاريع) فدعونا نخرج من هـذه الدورة الشيطانية ودعونا نطرح

حلولاً منطقية وواقعية منذ البداية مدعمة بارقام وحسابات تتحرى الدقة ـ قدر الامكان ففي العراق ـ كما اتصور ـ اكبر عدد من المتضررين قياساً الى كل شعوب العالم (حسب نسبة العـدد). ولا يقـل خطورة موضـوع «ضمان فرص العمل واعادة الفلاحين» عن خطورة التعويضات فهو مرتبط عضوياً بالبرامج الاقتصادية المستقبلية لعراقنا الجديد. بل ان له حساسية خاصة من حيث ارتباطه بمشاعر الناس وامور يومهم الحياتية، بل اهم امر منها: ـ تحصيل القوت ولقمة العيش.فرفقاً بالناس.

مشروع النظام الداخلي

واذ تتداخل افكار مقدمة مشروع النظام الداخلي مع مشروع الوثيقة البرنامجية اجد محتمـاً علي الاشـارة الى وجود فقرات تحتاج اعادة بحث وصياغة فهي تدخل في باب «الصيغ الجاهزة» التي تحدثت عنها مسبقاً: «. . . يناضل الحزب الشيوعي العراقي من اجل التحالف السياسي بين الاحزاب والمنظمات والقوى السياسية والاجتماعية المناضلة ضد الامبريالية والرجعية والصهيونية. . .» وايضاً «. . . ويقيم الروابط الكفاحية والتضامنية مع الاحزاب الشيوعية والاشتراكية والعمالية ومع الاحزاب والمنظمات والحركات التحررية والديمقراطية والاشتراكية الديمقراطية واليسارية في العالم. . .». ولا بد ان نتواجه بأسئلة على هكـذا صيغ. مثـلاً: هل الـرجعية المقصـودة هنـا هي من ضمن القوى السياسية المشـاركة في الجبهة القادمة في عراق المستقبل؟ أو هي بعضاً من الحكومات العربية المحيطة بالعـراق؟ واسـأل كذلـك:هل اقـامة الروابط الكفاحية مع الاحزاب والحركات المذكورة اعلاه تشمل الحزب «الاشتراكي» الفرنسي، حليف صدام السابق وعدوه ـ كما يدعي ظاهراً الآن؟ أو هي تشمل الحزب الشيوعي الفلسطيني والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (مثالاً لا حصراً فالقائمة طويلة جداً) حيث ان قيادات هذه الاخيرة كان لها مواقف واضحة من نضال الشعب العراقي ومأساته خاصة ايام احتلال الكويت وثورة آذار. واذا كنت هنا اسجل رأيي متسائلاً، فلكم ان تنتظروا ما هو اكثر من الشعب العراقي الصامت لحد الانفجـار (والشعـوب كما تعلمنا لا تنسى). وانا هنا لا اتمنى على الحزب الشيوعي أو الشعب العراقي ان ينتظر ـ من كل في دوره ـ «ورقة براءة» أو «تقدير نقد ذاتي» لكي نحدد علاقتنا بهم؟ كما لا احمل الشعب الفلسطيني جريرة قرارات هذه القيادات. انا بكل بساطة اسجـل ان الشعب العراقي لن ينسى مواقف الجميع. وهكذا مقابل أي موقف للحزب الشيوعي العراقي تجاه هذه الحركات سيكون للعراقيين رد فعل تتراوح شدته واتجاهه حسب مواقف هؤلاء السابقة.

ديمقراطية؟

أ ـ «. . . وتتألف بطريقة ديمقراطية. . .» (النظام الداخلي ـ الباب الاول ـ المادة ١).

ب ـ «. . . على الاسس الديمقراطية. . .» (النظام الداخلي ـ الباب الاول ـ المادة ١).

ج ـ «حق الاقلية في مناقشة. . .» (النظام الداخلي ـ الباب الاول ـ المادة ١).

د ـ «حق المنظمات الحزبية السفلى. . .» (النظام الداخلي ـ الباب الاول ـ المادة ١). وغير ذلك الكثير.

لا اجد مبرراً لتكرار الكثير من الحديث عن مبدأ المركزية الديمقراطية وطرق تطبيقه واهمية الديمقراطية في مسيرة حزب يطالب بالديمقراطية.

ولكنني لم اجد في جميع ما جاء اعلاه وغيره ما يضمن وجود الديمقراطية واستمرارها وحق استخدامها؟ فكل هذه الحقوق موجودة للشيوعيين منذ ١٩٣٤ الى الآن. ولكن كل هذه الحقوق المسجلة «والتأكيد على الديمقراطية» لم تسمح للكثيرين بطرح آرائهم بشكل ديمقراطي. بل ما تمت ممارسته هو البيروقراطية طيلة هذه السنوات. وهكذا فاقتراحي هو وضع ضمانات من قبل متخصصين لممارسة الديمقراطية داخل تنظيمات الحزب السفلى

واورد ملاحظات على ابواب ومواد اخرى.

ـ «يضم الحزب الشيوعي. . . . والحرفيين وصغار التجار والكسبة، . . . . ويعملون باعتبارها قضيتهم بالذات. ان هؤلاء هم طليعة الطبقة العاملة ومفخرة شعبنا النبيل». (النظام الداخلي ـ الباب الثاني ـ المادة ٢ ـ).

اقترح ان تعاد صياغتها لتصبح منطقية اكثر فكلما اعدت قراءتها تساءلت: هل اذا تقدم احد كبار التجار للانضمام للحزب الشيوعي العراقي سوف يرفض استناداً الى هذه المادة؟ وهل ان انضمام أي من صغار التجار والطلبة للحزب الشيوعي ويعمل «باعتبار قضية الطبقة العاملة قضيته بالذات» يصبح «طليعة للطبقة العاملة» بالضرورة.

ـ «كل مواطن (أو مواطنة) حسن السيرة، . . .» (النظام الداخلي ـ الباب الثاني ـ المادة ٣). وتعليقي هنا ما هو «حُسن السيرة» المطلوب هنا بالضبط؟. واذا تقدم شخص ما ـ حسن السيرة ـ للانضمام للحزب الشيوعي لا يحق له قبل الدخول للحزب وبعد الدخول عدم الاقتناع والاسترشاد ببرنامج الحزب ونظامه الداخلي (استناداً الى نفس المادة ١ ـ).

كما اقترح ان تعدل المادة ٩ (١ ـ) الباب الثالث «. . . ويعقد كل اربع

سنوات. . .». الى «تعقد كل سنتين» وتعدل المادة ١٦ (٢ ـ) الباب الرابع «. . . يعقد كل عامين. . .» الى «. . يعقد كل عام. .».

وذلك لغرض منح القواعد المزيد من الرقابة على القيادة مع فرص تكريس الديمقراطية عدا عن تجديد الروح والدماء في كل من اللجنة المركزية والكونفرنسات المحلية. تلاحظون اصدقائي بانني صغت الكثير من ملاحظاتي بشكل تساؤلات ـ ليس إلا ـ ولم اتقدم باقتراحات كثيرة. وذلك لاقتناعي بانني ـ مع اني اطرح نفسي صديقاً مخلصاً ـ متخصصاً ولا خبيراً. انا واحد من كثرة نبحث عن خطاب سياسي يحمل الكثير من الواقعية والاقتراب من لمس مآسينا. ولا اشك بان الحزب الشيوعي العراقي مع تاريخه المشرف هو المهيأ اكثر من غيره لهكذا دور.

وبعد. . فانتهاءً يهمني جداً ان اؤكد انني اذا بدت كلماتي حادة احياناً. فاني اقدم صراحتي عربون احترام واعتزاز لدور الحزب الشيوعي العراقي القادم مدركاً اننا ـ العراقيون ـ نترافق في النضال من اجل الديمقراطية، كل بدوره، وعلينا ان نمارسها مع انفسنا قبلاً.

٣/٢٣

المصادر

١ ـ القانون الدولي، الدكتور عبد الحسين القطيفي مطبعة بغداد، سنة الاصدار ١٩٧٠.

٢ ـ القانون الدستوري، الدكتور محمد علي آل ياسين مطبعة جامعة بغداد، سنة الاصدار ١٩٦٧.

٣ ـ نظرية الدولة في القانون العام والخاص، الدكتور مجيد سالم عظم / بيروت، سنة الاصدار ١٩٧٧.

٤ ـ موسوعة حقوق الانسان الصادرة من الامم المتحدة.

٥ ـ القانون الاداري، د. صفاء الحافظ ـ ملازم محاضرات طبعت في كلية الحقوق سنة ١٩٧٠.

٦ ـ مجلة القضاء العدد الثالث السنة ١٩٧٤ الصادرة عن نقابة المحامين العربية.

تنظيم الملكية الزراعية في كردستان

المحامي محمد صالح ئاميدي

ان مشكلة الاصلاح الزراعي في العراق، بشكل عام وفي كردستان بشكل خاص، لازالت قائمة، رغم صدور عشرات التشريعات الزراعية منذ انبثاق ثورة ١٤ تموز المجيدة[1]. لقد صدر قانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥ الخاص بتنظيم الملكية الزراعية في كردستان، بشكل استثنائي من احكام قانون الاصلاح الزراعي المرقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ وتعديلاته، الذي يسري على العراق عموماً. وهكذا اعترفت بان مشكلة الاصلاح الزراعي في كردستان ذات طابع محلي وخصوصية اجتماعية وعلاقات زراعية معينة. هذا من جانب، اما من الجانب السياسي فقد اصدرت القانون الجديد حسب المنهج الديماغوغي الذي اتبعته السلطة بعد انهيار الحركة المسلحة الكردية، نتيجة اتفاقية الجزائر سيئة الصيت وسيطرة السلطة على كردستان وتنفيذ نهجها الشوفيني ضد الشعب الكردي. كانت تحاول كسب ثقة الفلاحين الكردستانيين وامتصاص النقمة الشعبية نتيجة مؤامرة الجزائر، والادعاء بحماية مصالحهم وتأمين الاراضي الزراعية لهم وضرب مصالح الاقطاع والملاكين.

إلا ان السلطة سرعان ما تراجعت عن تطبيق احكامه، والغاء عقود الأصلاح الزراعي التي ابرمت مع الفلاحين، والغاء سندات التمليك، ثم اجرت للموالين لها الاراضي

الزراعية بمساحات خيالية وببدلات ايجار زهيدة، وخاصة بعد الترحيل والاسكان قسراً الى «المجمعات»[1]. فبقيت مشكلة الاصلاح الزراعي قائمة من كافة الجوانب، وخاصة بعد عودة المهجرين الى قراهم.

هناك مشاكل وقضايا مزمنة تحتاج الى حل جذري وقانوني وتتعلق بأصناف الاراضي في العراق (اميرية مفوضة بالطابو/ أميرية ممنوحة باللزمة وقف غير صحيح ـ الوقف الذري ـ والاميرية الصرفة. . . الخ) ومشاكل جنس الاراضي (زراعي، عقاري، بستان) بحكم السند أو بواقع الحال، وطرق السقي والارواء (ديمي، سيحي، ري بالواسطة) والاراضي الواقعة جنوب خط الامطار وشماله، العلاقات الزراعية وعقود المغارسة والفلاحة، مشكلة تفتيت الاراضي الزراعية، بحكم الارث، اضافة الى الملكية (العائدية) التي تتباين من صنف الى آخر ومساحة الى اخرى باعتبارها اراضٍ مملوكة للدولة بالاساس «الرقبة للدولة» وحق التصرف «الاستغلال، الانتفاع، الاستعمال» لاصحاب حق التصرف. وهناك ايضاً حق العقر في الاراضي والبساتين الموقوفة، كما توجد اراضٍ وبساتين غير مسجلة في سجلات التسجيل العقاري (الطابو سابقاً) لعدم اكتساب قرارات تسويتها الدرجة القطعية بموجب قانون تسوية حقوق الاراضي في العراق المرقم ٢٩ لسنة ١٩٣٧ الذي الغي بموجب قانون الاصلاح الزراعي المرقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠، وخاصة في كردستان (ميركه سور، جومان، زيبار، العمادية، رانيه، حلبجه، جوارته). ثم انه لا يوجد تشريع ينظم المراعي والباوانات وحافات الجبال والوديان واستغلال الموارد الزراعية الطبيعية (المحاصيل البرية مثل العفص وحبة الخضراء والسّي وغيرها) فضلاً عن ضمان حقوق الفلاحين والمتصرفين بها.

ان المواضيع اعلاه تحتاج الى دراسة اقتصادية وزراعية وقانونية وتستوجب تنظيمها بتشريع متكامل يأخذ بنظر الاعتبار الحلول الجذرية لمشكلة الاراضي الزراعية في كردستان، والوضع الاجتماعي الخاص فيها مع مراعاة تأمين الاراضي الزراعية للفلاحين المستحقين (الذين لا أرض لهم) وضمان حقوق اصحاب الاراضي وتعويضهم تعويضاً عادلاً عن الاطفاء والاستملاك والاستيلاء بعيداً عن تجريد اصحابها من املاكهم تعسفاً وبدواعي الثورية ومحاربة الاقطاع. ان مشكلة الاصلاح الزراعي في العراق لها أسس ايجابية من الناحية القانونية كون الدولة واصحاب الأراضي شركاء فيها. فللدولة رقبة الارض وللملاكين حق التصرف، علماً ان جميع التشريعات الزراعية قد جاءت ناقصة وتطرح الحلول السطحية غير الجذرية، تنفذها اجهزة ادارية غير مؤهلة من الناحية القانونية والزراعية بغياب الرقابة القضائية على احكام وقرارات التنفيذ، ناهيك عن وجود قوى معارضة وضاغطة ومستفيدة كانت ولاتزال تعمل من اجل عدم وضع الحلول الجذرية لمشكلة

الاراضي في العراق، وبالاخص في كردستان.

ولغـرض تمكين القـارىء الكريم من فهم هذه المشكلة نقسم هذه الدراسة الى حلقات لكي يستوعبها النشر اضافة الى وجود اصطلاحات قانونية واحكام تشريعية تحتاج الى توضيح.

اولاً: اصناف الاراضي الزراعية:

ان الاراضي الزراعية في العراق تتحدد في الاصناف التالية:

١ ـ اميرية مفوضة بالطابو.

٢ ـ اميرية ممنوحة باللزمة.

٣ ـ وقف غير صحيح.

٤ ـ اميرية صرفة.

٥ ـ ملك صرف (خارج نطاق الدراسة).

والمقصود بهذه الاصناف عائديتها من الناحية القانونية والاحكام التشريعية، لان الـرقبة (الملكية) تعـود للدولـة، لكن تلك العـائدية مثقلة بحقوق التصرف التي تشمل الاستغـلال، الانتفـاع، الاستعمال، الخاصة بالمتصرفين أو ما يسمى بـ «اصحاب حق التصرف». فبامكان المتصرفين اجراء جميع التصرفات القانونية على تلك الاراضي سواءً بيعها أو رهنها أو تأجيرها أو استغلالها مباشرة أو بالواسطة أو انتقالها الى الورثة وفق احكام قانون الانتقال الواردة في احكام القانون المدني النافذ[٣]...

ان هذه العلاقة القانونية بين الدولة (وزارة المالية) واصحاب حق التصرف تنحل بموجب احكام القانون المدني في حالة ترك صاحب حق التصرف زراعة الارض لموسمين متتالين بدون عذر شرعي وقانوني، وإن انحلال هذه الرابطة (حل الاراضي الزراعية) يتم وفق اجراءات قانونية محددة تتولاها لجان الحل الزراعي. وبعد اكتساب قرار الحل الدرجة القطعية تنتهي علاقة المتصرف بالارض الزراعية، وتعود الرقبة وحق التصرف الى الدولة. وقد عززت هذا المبدأ احكام قانون الاصلاح الزراعي المرقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ (المادة ١٣/ف ب). وجاءت احكام قانون رقم (٩٠) على نفس النهج.

اصدرت السلطة قانون رقم (٥٣) لسنة ١٩٧٦ وسُمّي بقانون توحيد اصناف اراضي الدولة. وقضت احكامه اعتبار جميع الاصناف المذكورة (عدا الملك الصرف) مملوكة للدولة. وتنفيذاً للقانون سُجلت باسم وزارة المالية وعُدلت سجلاتها وسنداتها في دوائر التسجيل العقاري (المادة/١). وابقت لاصحاب الحقوق التصرفية في الاراضي المذكورة

حقوق التصرف بالارض حسب التعامل السابق مع تأشير هذا الحق في سجلاتها وسنداتها الخاصة بعد اضافة حق العقر الى تلك الحقوق (المادة/٢). ومنحت المادة/٣ الدولة حق اطفاء حق التصرف في تلك الاراضي ،عدا الموزعة بمقتضى المواد ١٦ ، ١٨ ، ١٩ من قانون الاصلاح الزراعي ١١٧ لسنة ١٩٧٠ في احدى الحالات التالية[4] :

١ ـ انشاء أو توسيع مشروع ذي منفعة عامة أو تشغيلية.

٢ ـ انشاء أو توسيع مزرعة جماعية.

٣ ـ اذا كان صاحب حق التصرف لا يتخذ من الزراعة مهنة رئيسية، على ان يتم الاطفاء نقداً ووفق الاسس التالية:

صنف الارض	مساحة الارض	حصة الحكومة من البدل	حصة صاحب حق التصرف
ممنوحة باللزمة	تزيد على خمسة دونمات	٤/٣	٤/١
ممنوحة باللزمة	لا تزيد على خمسة دونمات	٣/٢	٣/١
مفوضة بالطابو	تزيد على خمسة دونمات	٢/١	٢/١
مفوضة بالطابو	لا تزيد على خمسة دونمات	٣/١	٣/٢

هذا وتعتبر الاراضي الموقوفة وقفاً غير صحيح بحكم الاراضي المفوضة بالطابو لاغراض هذا القانون (المادة/٥ فقرة/٢).

والمقصود بالمادة اعلاه ان حصة الحكومة وصاحب حق التصرف هي نفس الحصة المقررة للاراضي المفوضة بالطابو.

وبهذه الاسس فان الدولة وصاحب حق التصرف شريكان على الشيوع في تلك الاراضي ووفق النسب المذكورة اعلاه، رغم اختلاف مصدر الحق والشيوع.

وبما ان القانون المذكور يمنح الدولة سلطة الاطفاء للاراضي الزراعية (ازالة الشيوع جبراً) وبالتعويض النقدي فقد برزت مشاكل معقدة نتيجة تنفيذ احكام هذا القانون ومنها:

أ ـ ممارسة رأسمالية الدولة في الاراضي الزراعية.

ب ـ حرمان المواطنين من اراضيهم الزراعية بسبب الاطفاء القسري وتخصيص تلك الاراضي للمعسكرات والمطارات والمناطق الامنية والمشاريع الحكومية[5].

حـ ـ اطفاء الاراضي الزراعية التي تدخل ضمن التصاميم الاساسية للمدن والقصبات وافرازها وتوزيعها للمواطنين واستغلال هذا الاسلوب في شراء ذمم المواطنين أو

توزيعها على عوائل الشهداء والمفقودين والاسرى والقوات المسلحة والجيش الشعبي واعتبارها مكرمات ومكافآت من رئيس النظام ودون بدل، أو توزيعها على الموظفين والقطاعات المهنية وبأسعار رمزية(٦).

د ـ فشل جميع المزارع الجماعية لسوء ادارتها وتدخلات الادارة فيها وبالتالي تأجير تلك الاراضي الى اصحاب النفوذ في السلطة أو تركها دون زراعة أو استغلال حقيقي.

هـ ـ بموجب الاتجاه الوارد في الفقرة (حـ) اعلاه، فقد توسعت المدن افقياً على حساب الاراضي فتحملت الدولة مبالغ طائلة لتوسيع الخدمات للاحياء الجديدة (الماء، الكهرباء، الطرق والخدمات الاخرى).

و ـ تشجيع الهجرة من الريف الى المدينة.

ولوضع حل جذري لهذه المشكلة نقترح اصدار تشريع يتضمن الاحكام التالية:

اولاً:

اطفاء جميع الاراضي الزراعية (الممنوحة باللزمة المفوضة، بالطابو، الوقف غير الصحيح) عيناً لا نقداً (القسمة والافراز بين الدولة وصاحب حق التصرف). وتسجيل حصة كل طرف في سجلات التسجيل العقاري ملكاً زراعياً صرفاً باسمهما ووفق النسب المذكورة اعلاه.

ثانياً:

في حالة عدم قسمة الاراضي الزراعية بين الطرفين بسبب فوات المنفعة والجدوى الاقتصادية، وتلافياً للتفتت الذي يخلق الوحدات الصغيرة وخارج الحد الاقتصادي للارض، تعويض صاحب حق التصرف، تعويضاً عادلاً ووفق الاسعار السائدة عند الاطفاء وبموجب المعايير الواردة في قانون الاستملاك المرقم (١٢) لسنة ١٩٨١ أو تمليكه عيناً حصة الدولة بمقدار الحد الاعلى والادنى لقانون الاصلاح الزراعي وقانون تنظيم الملكية الزراعية في كردستان ببدل مقسط وبتسهيلات هدفها تشجيع التنمية الزراعية.

ثالثاً:

الغاء جميع قرارات الاطفاء للاراضي غير المستغلة زراعياً واعادة اطفائها وفق الفقرة الاولى اعلاه بعد الجرد الكامل للمشاريع الحكومية العديمة الجدوى.

رابعاً:

الغاء جميع قرارات الاطفاء للاراضي المخصصة للمعسكرات والمطارات والمشاريع العسكرية والامنية واعادة اطفائها وفق الفقرة اعلاه.

وبهذه الاحكام تتوفر لدى الدولة اراض زراعية واسعة ومسجلة باسمها ملكاً صرفاً، ويتم توزيعها على الفلاحين المستحقين وفق الحد الادنى والاعلى للقوانين الزراعية،

بشرط ان يتم تسجيل تلك الاراضي باسم الفلاحين المستحقين في سجلات التسجيل العقاري ووفق سندات دائمة. ان تطبيق هذه الاحكام يُراعي مصلحة الملاكين، لانهم يحصلون على حصتهم من تلك الأراضي وفق الاسس القانونية وتسجل بأسمائهم في التسجيل العقاري ملكاً صرفاً (تعود لهم الرقبة وحق التصرف)، وان تطبيق هذه الاحكام سوف يؤدي بالنتيجة الى وحدة صنف الاراضي وأحكامها ونسبها وتكون كل الاراضي الزراعية في العراق بصنف واحد وهو ملك زراعي صرف.

تبقى هنا مشكلة قانونية يجب دراستها ووضع الحلول الكفيلة لها وهي ان تغيير صنف الارض من (مفوضة، ممنوحة باللزمة، وقف غير صحيح) الى ملك صرف زراعي يترتب عليه بعض النتائج القانونية ويضر بمصلحة الورثة وخاصة النساء والازواج ودرجات الفروع، لان الملك الصرف ينتقل بموجب الاحكام الشرعية الواردة في احكام قانون الاحوال الشخصية، أما الاصناف الاخرى فتنتقل ارثاً بموجب القسام القانوني المنظم وفق احكام حقوق الانتقال الواردة في القانون المدني، وان الحصص تختلف عن الحصص الشرعية (مثال: للبنت نصف حصة الابن الوارث وفق احكام قانون الاحوال الشخصية، في حين ان لها حصة بقدر حصة شقيقها الوارث وفق احكام قانون الانتقال).

وحلاً لهذه المشكلة القانونية يتوجب الاعتماد على جنس الارض حسب سجلات التسجيل العقاري، فاذا كان جنسها زراعياً وايلولة الارض قد تمت بموجب الاطفاء العيني وفق الاحكام المذكورة اعلاه فيجب تطبيق احكام الانتقال الواردة في القانون المدني ووفق القسام النظامي لا الشرعي.

ثانياً: الاراضي الزراعية والبساتين غير المسجلة في كردستان

اصدرت الحكومة العراقية قانون تسوية الاراضي الزراعية الزراعية المرقم ٢٩ لسنة ١٩٣٧. ويقضي بتقسيم جميع الاراضي والبساتين والمراعي وعقارات القرى والريف في العراق، وبموجب خرائط (الكادسترو)، الى مقاطعات وقطع زراعية اضافة الى تثبيت مساحاتها وشهرتها والحقوق التبعية عليها (حق السقي، حق المرور، وحقوق الارتفاق). وقد باشرت لجان التسوية بأعمالها، لتنظيم المحاضر القانونية، وتثبيت حقوق اصحاب حق التصرف. وخولت احكام القانون حق الطعن في قرارات التسوية لمحكمة الاستئناف التي تشكلت لهذا الغرض. وان اكتسابها الدرجة القطعية بعد مصادقتها من محكمة الاستئناف، يكون اساساً لتسجيل الاراضي باسم اصحابها في سجلات التسجيل العقاري. إلا ان القانون قد ألغي بموجب قانون الاصلاح الزراعي المرقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨، وبقيت اراضٍ واسعة

لم تكتسب قرارات تسويتها وتثبيت حقوق اصحابها الدرجة القطعية، ومنها بالذات الاراضي الواقعة في اقضية العمادية، وميركه سور، والزيبار، وجومان وبعض المقاطعات في ناحية الدوسكي وباطوفا. ولانشغال السلطة بتنفيذ قانون الاصلاح الزراعي وتحديد الحد الادنى والاعلى للملكية الزراعية، وبدء الثورة الكردية في ١١/ أيلول / ١٩٦٠ تعذر تثبيت وتسوية الاراضي الزراعية في تلك المناطق ولازالت المشكلة قائمة، وان السلطة قد اصدرت بعض القرارات لتنظيم وتثبيت الحقوق في تلك المقاطعات، إلا انها كانت قرارات ناقصة من ناحية، ولم تأخذ طريقها الى التطبيق الفعلي من الناحية الاخرى. ثم اصدرت قانون تنظيم الملكية الزراعية في كردستان المرقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥. وجاء في المادة الثامنة منه: «تعتبر كافة الاراضي فيها بموجب قانون الاصلاح الزراعي الدرجة النهائية، أميرية صرفة وتستثنى من ذلك الاراضي التالية:

١ ـ الاراضي الزراعية والبساتين ملكاً صرفاً بموجب سندات طابو معتبرة قانوناً.

٢ ـ الاراضي والبساتين الموقوفة وقفاً صحيحاً بموجب سندات طابو أو حجج وقضية معتبرة قانوناً.

٣ ـ الاراضي المغروسة بالاشجار لمدة لا تقل عن (١٠) سنوات ألا يقل معدل عددها في الدونم الواحد عن (٤٠) شجرة.

٤ ـ الاراضي والبساتين المشمولة بقرار مجلس قيادة الثورة المرقم (٧٠٢) لسنة ١٩٧٣.

وبحكم هذا النص فان جميع الاراضي الزراعية الواقعة ضمن المقاطعات المشار اليها تكون اميرية وتعود للدولة، عدا الاستثناءات الاربعة، علماً ان القوانين العراقية لا تعترف بسندات الطابو غير المصدقة بموجب قانون التسجيل العقاري والقوانين الزراعية وان قرار (٧٠٢) يخص تثبيت الحقوق في الاراضي الزراعية والبساتين الواقعة ضمن حدود امانة العاصمة والبلديات. ولم تطبق احكام هذا القرار بسبب الظروف الاستثنائية في كردستان إلا في حالات نادرة جداً.

وان ورود المادة الثامنة بهذا الشكل قد ألحق اضراراً فادحة بأصحاب الاراضي والبساتين في كردستان. فيجب اتخاذ الاجراءات القانونية بالشكل التالي:

اولاً:

إلغاء المادتين (٧، ٨) من قانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥.

ثانياً:

الاعتراف القانوني بقرارات التسوية غير المكتسبة الدرجة القطعية، التي تخص الاراضي والبساتين التي تقع ضمن الحد الاعلى من قانون ٩٠ لسنة ١٩٧٥، والتي لا

توجد عليها اعتراضات قانونية من الورثة وذوي العلاقة، ويتم ذلك بحصر اضابيرها والاعلان عنها وتسلسلاتها وشهرتها واسماء اصحاب الاراضي بوسائل الاعلان الرسمية وفي المواقع. وفي حالة عدم ورود أية اعتراضات خلال المدة المعلنة، تكتسب القرارات الدرجة القطعية وتسجل الاراضي والحقوق باسم اصحابها في سجلات التسجيل العقاري.

ثالثاً:

اكمال وتنظيم الخرائط غير المنجزة وتطبيقها موقفياً.

رابعاً:

اكمال اعمال التسوية للمقاطعات غير المثبتة فيها حقوق المتصرفين وتسجيلها ملكاً صرفاً باسم اصحابها.

أما احكام المادة السابعة من القانون فقد جاءت بالصيغة التالية: «كل ارض مفوضة بالطابو أو ممنوحة باللزمة أو موقوفة وقفاً غير صحيح يثبت كونها غير قابلة للزراعة تعتبر اميرية صرفة وتسجل باسم وزارة المالية». وقد جاء حكم المادة اعلاه، بنفس الاتجاه الذي ورد في احكام المادة الثامنة، ويجب الغاؤها ايضاً، لانها تحرم اصحابها من استغلال تلك الاراضي لاغراض غير زراعية، كالسياحة أو تربية الدواجن والعجول وغيرها من الاستعمالات.

ثالثاً: تحديد جنس الارض وفق واقع الحال وتحديد طرق اروائها مجدداً

المقصود بجنس الارض تحديد صفة استعمالاتها في صورة السجل العقاري :ـ ارض عقارية، زراعية، مرعى، عقار قرية، بستان.. أو صخرية.. الخ وقد تم تحديد هذه الصفات وفق القوانين النافذة التي تم بموجب احكامها تسجيل الارض. إلا ان هذه الصفات ليست ابدية ومتلازمة مع الارض، بل انها تتغير بمجرد تغيير الاستعمال للارض. وقد عرف قانون تنظيم الحد الاقتصادي للارض الزراعية المرقم (١٣٧) لسنة ١٩٧٦ وفي مادته الاولى الارض الزراعية بانها «كل ارض تستغل بالفعل، أو تصلح في واقع حالها لانتاج المحاصيل الحقلية أو العلفية أو الاشجار غير المثمرة، أو لتنمية الثروة الحيوانية..».

إن التعريف المذكور قد جاء لغرض تنفيذ احكام القانون اعلاه، لانه جاء شاملاً مع تحديد معيار واقع الحال للارض، لا بموجب سندها الموصوف كونها زراعية أم لا. ولملاحظة تغيير الاستعمالات نود ان نورد عدة حالات على سبيل المثال لا الحصر.

أ ـ ارض زراعية استغلت لمشاريع صناعية، فبموجب معيار واقع الحال للارض فان

الصفة الزراعية قد انتفت في حين ان سجلها العقاري يعتبرها ارضاً زراعية.

ب ـ ارض صالحة للزراعة، وبسبب الظروف الاستثنائية تغيرت خواصها الزراعية واصيبت بالتصحر أو التصخر. . . الخ فان واقع حالها انها غير قابلة للزراعة سواءً بفعل الانسان أو الظواهر الطبيعية، ولازال سندها يعتبر جنسها زراعياً.

حـ ـ ارض صخرية غير قابلة للزراعة، وبنتيجة فعل الانسان واستعمال المكننة اصبحت زراعية، فواقعها يختلف عن الصفة الموصوفة في السند.

د ـ ارض زراعية ديمية (مطرية)، وبانشاء مشاريع الري أو حفر الآبار الارتوازية اصبحت سيحية أو تُسقى بالواسطة، في حين ان سندها يعتبر انها ارض (ديمية).

هـ ـ ارض ديمية مخصصة لزراعة الحنطة والشعير، أصبحت ضمن اروائيات السدود مهيئة لزراعة الشلب والتبغ فأصبحت سيحية بواقع حالها، خلافاً لحكم السند.

وعلى ذلك يجب وضع معيار ثابت ومتلازم مع نوعية الاستعمال، لتقرير جنس الارض وطرق اروائها واستعمالاتها. وباعتقادي ان المعيار الثابت يجب ان يكون متحركاً ومتغيراً بواقع الحال عند اجراء الكشف عليها، وان يحدد في تشريع زراعي. أما الاعتماد على الاوصاف الواردة في السجل العقاري التي لا تعكس الواقع، فيضر بمصلحة اصحاب الاراضي والفلاحين معاً، ويخالف مبدأ الحد الاعلى لانواع الاراضي الموزعة على الفلاحين.

ان المشرع العراقي قد اعتمد انتفاء الصفة الزراعية في الاراضي في المادة (٣٣) من قانون الاستملاك المرقم ١٢ لسنة ١٩٨١ المعدل، واعتبر الارض زراعية بواقع حالها عند اجراء الكشف، ولغرض تنفيذ احكام قانون الاستملاك (نزع الملكية بناءً على مقتضيات المصلحة العامة). وان مفهوم المخالفة للنص يقضي بان جنس الارض عقارية بواقع حالها في حالة انتفاء الصفة الزراعية عنها اثناء الكشف. وقد ذهب قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٨١٧ لسنة ١٩٨١ بنفس الاتجاه عندما جاء معدلاً للقرار المرقم ٢٢٢ لسنة ١٩٧٧ الخاص بتحديد جنس الارض لغرض نزع الملكية بالاستملاك أو الاطفاء.

بما ان قواعد القانون الخاص تقيد قواعد القانون العام حسب المفهوم الفقهي، فان النصوص الواردة في قانون الاستملاك والقرارات الاخرى التي تتعلق بنزع الملكية، (المعيار هو بواقع الحال لتحديد جنس الارض) فان هذه النصوص لا تسري على الحالات الاخرى، مثل حالات تنظيم الملكية الزراعية (موضوع بحثنا) أو تحديد الحد الاعلى للملكية في كردستان. هناك سؤال يطرح نفسه بقوة: ما هو الغرض من هذا التحديد والمعيار فيما يتعلق بقانون الاصلاح الزراعي وتنظيم الملكية الزراعية؟

الجواب هو ان في مجال التوزيع والملكية وتحديد المساحة الزراعية وفق مبدأ الحد

الاعلى لقانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥ و١١٧ لسنة ١٩٧٠ أو أي تشريع لاحق يهدف الى تنظيم الملكية الزراعية، يتم تحديد المساحة على ضوء جنس الارض واستعمالاتها وطرق الارواء. مثال ذلك ٥٠٠ دونم جنوب خط سقوط الامطار و٣٠٠ دونم شمال خط سقوط الامطار و٤٠ دونم في الاراضي السيحية المزروعة بالتبغ أو الشلب. وبما ان المعايير تتغير وقابلة للتغيير للاسباب المذكورة اعلاه، فيجب الاعتماد على معيار موضوعي وواقعي يتلازم مع واقع جنس الارض وطرق الارواء، لان الملاك يستحق ٥٠٠ دونم جنوب خط سقوط الامطار كونها ارضاً ديمية بموجب السند في حين اصبحت تسقى سيحياً بعد وقوعها ضمن اروائيات السدود أو حفر الآبار.

رابعاً: الحد الاقتصادي للارض الزراعية وظاهرة تفتيت الملكية الزراعية

ان تفتيت الملكية الزراعية وتجزئتها الى قطع وسهام لا تصلح للاستغلال الاقتصادي السليم، يصبح من معوقات التنمية الزراعية، اضافة الى حدوث مشاكل بين الشركاء والورثة في مجال الاستغلال الزراعي وعدم القدرة على الاتفاق على تحديد المزارعين واصلاح اراضيهم أو تحديد المصاريف مسبقاً، بهدف استغلال الارض كل واحد بقدر حصته، علماً ان الورثة لديهم مصادر اخرى للعيش طوال اكثر من (٣٤) سنة بسبب الظروف الاستثنائية في كردستان، وابتعادهم عن استغلال اراضيهم. فأصبحت ادارة الارض بيد وارث أو اثنين، مما يؤدي الى عرقلة زراعتها، فتترك الارض دون استغلال، أو بشكل لا يتلاءم مع تقدم الزراعة وزيادة وتاثر انتاجها. وحيث ان هذه الظاهرة تبقى مستمرة في التفاقم، كنتيجة لاستمرار قسمة الارض بسبب الارث والانتقال، لذايجب معالجتها، ووضع حدود للتفتيت وخاصة في كردستان لان نوعية الارض الزراعية فيها عبارة عن قطع صغيرة ومتوسطة أو بساتين مخصصة للاستعمالات العائلية وخاصة في المناطق الجبلية. وتتوسع هذه الملكيات كلما اقتربنا جنوباً من خط سقوط الامطار والاراضي السهلية. وان السلطة قد اوقفت العمل بقانون تنظيم الحد الاقتصادي للارض الزراعية الرقم ١٣٧ لسنة ١٩٧٦ ومنحت اصحاب الاراضي الحق في ازالة الشيوع في حدود (١٠٠) دونم من الاراضي الزراعية.

ان قرار مجلس قيادة الثورة الرقم ١٩٨٦/٤١١ حدد الحد الادنى لتفتيت الملكية الزراعية والبساتين بما يتلاءم مع واقع العملية الزراعية في كردستان، مع منح الورثة والشركاء، مدة قانونية معينة للمباشرة بالزراعة وفق الطرائق المعتمدة في كردستان، وفي حالة تجاوز المدة دون المباشرة بها استملكت الارض لقاء تعويض عادل عن طريق القضاء، وتوزيعها على الفلاحين مع تحديد احكام تشريعية عامة لهذا الاجراء.

خامساً: البساتين

ان كردستان كانت عامرة بالبساتين المائية والديمية والغابات، وقد تعرضت للتدمير، وتحولت الى ارض محروقة، اضافة الى الخراب اللاحق بالسواقي والجداول، وانغمار العيون، وفقدان مصادر المياه الاخرى. كل ذلك يستوجب اعادة النظر في احكام البساتين وتنظيم انتاجيتها وفق احدث الطرق والتقنية الزراعية. والجدير بالذكر ان هناك اراضٍ زراعية وحافات الجبال والتلال اضافة الى الثروة المائية الهائلة التي تعتبر الدعامة المهمة في البستنة. وان البساتين في كردستان قد اتخذت عدة انماط منها:

أ ـ البساتين المائية: وهي الاراضي الزراعية التي غرست بالاشجار المثمرة مثل التفاح والعنب والرمان وغيرها، وتسقى من مصادر العيون والجداول وحسب طريقة (النوبة) وهي ملكية خاصة.

ب ـ البساتين الديمية: وهي الاراضي الزراعية الديمية وحافات التلال والجبال التي غرست بالاشجار المثمرة مثل الكروم والفستق واللوز. وهي ملكية خاصة أو موقوفة.

حـ ـ البساتين الديمية الطبيعية: وهي الاراضي التي نمت فيها الاشجار المثمرة وبشكل طبيعي مثال اشجار حبة الخضراء والكمثرى البرية والتفاح والتين والزعرور وحبة العجوز وغيرها. وهي ملكية جماعية تعود لاهالي القرية المعنية.

ان تنظيم ملكية البساتين في كردستان امر ضروري، وفق احكام تشريعية هدفها الاساسي ضمان حقوق المغارسين الفعليين وتسجيل تلك البساتين باسمائهم في سجلات التسجيل العقاري، مع وضع ضوابط وشروط قانونية لتمليك البساتين وتحديد مساحتها وتحديد نوعية الفواكه حسب الظروف المناخية والبيئية لغرض تشجيع المغارسين على انشاء البساتين سواءً بشكل فردي أو جماعي ومنحهم التسهيلات الزراعية (السلفة، الخبرة، الارشاد، الفسائل، المكننة، المبيدات) مع تأمين وسائل التغليف والتعبئة الفنية وتسويق المنتوجات وفق خطة اقتصادية متكاملة في كل منطقة، اضافة الى تهيئة معامل التعليب من قبل القطاع الخاص والمختلط أو العام للحفاظ على ثبات الاسعار وعدم تعرض المنتوجات الى التلف بعد القطف والنقل الى السوق.

إن التوجه نحو تشجيع المزارع والبساتين الكبيرة أمر ضروري تطويراً للانتاج الزراعي الكثيف. وهذا يشجع اصحاب رؤوس الاموال على استثمار ثروتهم في المشاريع الضخمة ذات الارباح العالية، اضافة الى تشجيع الصناعة الزراعية. . (ولكون الموضوع خارج اختصاصنا نترك معالجته للمختصين).

سادساً: القضايا والمنازعات الزراعية

قضت اكثرية التشريعات الزراعية بمنع المحاكم من سماع الدعاوى الناشئة عن تنفيذ احكامها. وقد اتبع المشرع العراقي طريقة تشكيل لجان ادارية خاصة بالاستيلاء والتوزيع والنظر في العلاقات الزراعية وحقوق الممارسة وإطفاء الاراضي واستملاكها وحلها لغرض تطبيق احكام تلك التشريعات. وحدد طرق الطعن بالقرارات الصادرة امام لجان ادارية اعلى منها درجة أو الاعتراض عليها لدى الوزير المختص (وزير الزراعة والري). وبالتجربة الواقعية ثبت فشل تلك اللجان في مهامها وهدر حقوق ذوي العلاقة وللاسباب الآتية:

١ ـ الازدواجية في العمل الاداري والقضائي فوقعت اضرار فادحة بالفلاحين والممارسين واصحاب الاراضي، اضافة الى الدولة.

٢ ـ عدم اختصاص الادارة وعدم كفاءتها القانونية.

٣ ـ عدم وجود سقف زمني للنظر في المنازعات الزراعية.

٤ ـ فساد الجهات الزراعية في العراق وتدخل الاجهزة الامنية والحزبية مما ادى الى هدر حقوق المتضامنين.

٥ ـ المحسوبية والمنسوبية في اصدار القرارات.

٦ ـ عدم الاخذ بالاعتراضات والطعون الواردة في القرارات من قبل ذوي العلاقة وعدم تطبيق الاحكام والتعليمات الصادرة من الجهات المختصة.

٧ ـ عدم وجود جهاز رقابة مختص يختص برقابة تنفيذ ومتابعة احكام التشريعات والقرارات الزراعية.

٨ ـ هناك مجموعة من الاسباب الاخرى لا مبرر لذكرها وهي تتعلق بمجمل سياسة الدولة الادارية والفساد الاداري الذي تفشى في الاجهزة الحكومية.

وبما ان القضايا الزراعية تتعلق بحقوق الملكية الزراعية كونها الرأسمال الثابت وذا قيمة كبيرة وتتعلق بأخطر الحقوق وبأوسع قطاع شعبي (الفلاحين، واصحاب الاراضي)، فانني ارى من الضروري احداث محكمة قضائية اختصاصية تنظر في تلك القضايا الناشئة عن تنفيذ التشريعات الزراعية مع احداث هيئة تمييزية تختص بالطعون الواردة على القرارات المذكورة ضماناً لحقوق المتقاضين ووفق احكام قانون المرافعات المدنية.

الهوامش:

(١) صدر قانـون الاصلاح الزراعي المرقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ وتعديلاته وذيوله، قانون تأسيس هيئة تمييز الاصلاح الزراعي رقم ٧ لسنة ١٩٦٠ وقانون اعفاء عقود ايجار اراضي الاصلاح الزراعي المرقم ٦١ لسنة ١٩٦٣ المعدل، وقانون استثناء المقاومة (والتعبة) من ازالة الشيوع بيعاً رقم ٦٩ لسنة ١٩٦٣، وقانون توزيع بساتين الاصلاح الزراعي وبيعها المرقم (١٠٤) لسنة ١٩٦٤ وقانون بيع وتصحيح صنوف الاراضي الاميرية رقم (٥١) لسنـة ١٩٥٩، وقـانون المجلس الزراعي الاعلى المرقم (١١٦) لسنة ١٩٧٠ وقانون المؤسسة العامة للتربة واستصلاح الاراضي المرقم (٨٣) لسنة ١٩٧٣ وقانون مصلحة مزارع الدولة المرقم (١٤١) لسنة ١٩٧٥، وقانون الاصلاح المرقم (١١٧) لسنة ١٩٧٠ وقانون تنظيم الزراعة في كردستان المرقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥، وقانون تنظيم وتوحيد الملكية في المشاريع الزراعية، وقانون تخصيص وتأجير اراضي الاصلاح الزراعي المرقم (١) لسنة ١٩٧٤، وقانون توحيد صناف اراضي الدولة المرقم (٥٣) لسنة ١٩٧٦ وقانون تنفيذ مشاريع الري المرقم (١٣٨) لسنة ١٩٧١ اضافة الى عشرات التشريعات والقرارات الخاصة بالاراضي الزراعية.

(٢) استأجر خيرالله طلفاح (خال صدام حسين) بالتعاون مع المستشار فارس مصطفى، سهل السليفاني بكامله اعتباراً من سنة ١٩٨٥، وانتهاء بالانتفاضة المجيدة (الاشارة على سبيل المثال لا الحصر).

(٣) الجدير بالذكر ان تحديد حقوق الانتقال في تلك الاصناف (عدا الملك الصرف) يتم بموجب احكام الانتقال من الخلف الى الورثة ووفق احكام القانون المدني العراقي وعلى اساس «حظ الذكر مثل حظ الانثى» واتبـاع طرق المراتب والدرجات للورثة، وفق «القسام القانوني» خلافاً للاحكام الشرعية في تقسيم التركة الحصص.

(٤) الاطفاء: هو انهاء حقوق المتصرف في الارض الزراعية، لقاء تعويض رمزي وبموجب هذا الاجراء تسجل الارض (الرقبة، حق التصرف) باسم الدولة ملكاً صرفاً.

(٥) اطفأت الدولة مئات الآلاف من الدونمات لانشاء معسكرات ومطارات عليها ومنها معكسر زاخو وفايده واربيل والسليمانية وبامرني وغيرها.

(٦) يتم اطفاء الدونم الواحد بمبلغ زهيد جداً على سبيل المثال (٢٥٠٠) دينار. أي لكل متر مربع دينار واحد يتم بيعها للموظفين مركزياً بمبلغ (١٦) دينار للمتر المربع الواحد.

السباق على الديمقراطية

ابراهيم محمود

في مسرحية «قائل نعم وقائل لا»، يقول (بريخت) على لسان «الفتى» معبراً عن ضرورة التكيف والتفاعل مع وضع جديد، لانه الاكثر رقياً في التاريخ: «انني بحاجة الى عرف جديد عظيم، يجب ان نأخذ به فوراً وهو انه يجب علينا التفكير من جديد في كل وضع جديد». وما يجري اليوم، ومنذ عدة سنوات، من تحولات وتغيرات، ومخاضات مستقبلية يصعب توقع نتائجها، نظراً للزيادة المتسارعة في هذه التحولات والتغيرات، ولان هذه المخاضات المرتبطة بها، والمسكونة بها كذلك، تمثل اكثر من وضع جديد، يحتاج الى تفكير جديد.

انه الوضع الذي اعقب فشل نماذج الاشتراكية المطبقة في (الاتحاد السوفييتي) الذي اصبح يلفظ (سابقاً) عند ذكره، وفي اوروبا الشرقية، وهو الوضع الذي يرتبط بمرحلة جديدة لا يمكن التكهن بمصيرها، بالنسبة لدول اخرى توصف بالاشتراكية الشيوعية في انظمتها، وهي (الصين الشعبية، وكوريا الشمالية، وفيتنام، وكوبا، (ووضع كوبا اصعب من وضع أية دولة اخرى، لاسباب معروفة، لا داعي لذكرها). وهو الوضع الذي تبرز فيه الآن (الولايات المتحدة الامريكية) بوصفها القوة الوحيدة التي تسعى الى عولمة سياستها، والى إلحاق الدول كلها دون استثناء بها.

ولهـذا يشكل التفكير الجديد، فيما يجري، ضرورة تاريخية قصوى، نظراً لهذه التغيرات الهائلة. والماركسيون، قبل غيرهم، في مواقع مختلفة، وامكنة مختلفة، معنيون بهذا التفكير الجديد، لانهم يُعتبرون الاكثر تأثراً بهذه التغيرات افراداً كانوا، أم تنظيمات، أم احـزابـاً. وكذلك كل القوى التي تُعتبر تحررية في العالم، لان مواقعها، مثل مواقع الماركسيين، مهددة في العمق، عبر هذه التغيرات، وانطلاقاً من القوة الوحيدة في العالم ـ كمـا يبـدو ـ الساعية الى امركة العالم. لكن ما يلفت النظر في الوضع الجديد، وفي امتداده العالمي، هو هذا السباق على الديمقراطية. اذ يمكن القول ان كلمة الديمقراطية هي من اكثـر الكلمـات تكـراراً وتـداولاً وتـرويجـاً هنـا وهنـاك، فباسمها تتكلم الدول الرأسمالية، وخاصة (امريكا)، وتُستخدم كذريعة للتدخل في شؤون كل دولة، ترى في ذلك مصلحة لها، كما جرى في (حرب الخليج)، وكما يجري الآن تجاه (ليبيا)، وكما سيجري، مثل ذلك، ضد كل دولة، أو نظام، أو قوة ما، تؤكد بذلك وجودها اكثر.

فالـديمقـراطية على الطريقة الاورو ـ امريكية، تقابل الارهاب المسند لكل قوة، خارج هذه الطريقة. وباسمها تتكلم الانظمة الشعبوية، وحتى اكثر التنظيمات والجماعات ايغـالاً في ممارسة العنف، واصحاب المصالح. فالديمقراطية تبرز هنا، من وجهة نظر مستخـدمهـا، بحيث صارت حمّـالـة اوجـه. ومن هنـا، ولهـذا ايضـاً، اصبحت مهمة الماركسيين، ومن معهم من ممثلي قوى التحرر صعبة للغاية. وأصبح التفكير في وضع كهذا حاجة ملحة، وشاقاً، لانه يتطلب توسيع رؤى، وتعديلها، واستخدام مفاهيم وادوات نقدية تحليلية، عبر التمعن الجذري في هذا الوضع. فالماركسية التي كانت تُحارب في عقر دارها: وجوداً وفكراً، منذ لحظة وجودها، ثم اكتسبت مواطنة عالمية على اكثر من صعيد، عبر افراد وجماعات واحزاب، ومن ثم اصبحت مُعترفاً بها عبر احزاب، مثّلتها، وافراد يمثلون تيارات فكرية، وطوِّرت مع اللينينية كثيراً، وصار لها بعد رسمي: مؤسساتي، وشكلت قوة تهدد كل القوى الاخرى القائمة على استغلال الآخرين، اصبحت اليوم مهددة في العمق، محارَبة اكثر، وبضراوة، بل ومهجورة من قبل كثيرين ممن كانوا يعتبرونها الفكر الذي لا فكر سواه، وقوة التغيير الوحيدة لكل واقع لاانساني، وصارت الديمقراطية تُلفظ كثيراً، وتستخدم، وكأنها لا تمت اليها بصلة. لان التغيرات التي جرت، وماتزال تجري، حيث غامت رؤى، والتبست مفاهيم، وشوِّهت مبادىء، عبر ممارسات خاطئة، لها نسب ماركسي وماركسي ـ لينيني، وماركسي ـ لينيني مستلن (من الستالينية)، ومفهوم المجتمع في بناه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، اختلف عما كان ينظّر له ماركس. هذه التغيرات هي التي جعلت النظر الى الديمقراطية مختلفاً: وجوداً وفكراً. وهي التي تتطلب نتيجة ذلك رؤى جديدة، لفهم حركة التاريخ بصورة ادق وأوضح!

ان قراءة ماركسية معاصرة لهذه التغيرات ربما من شأنها مقاربة الواقع الذي نعيش: محلياً وعالمياً، وذلك عبر التركيز على مقولة الديمقراطية، التي اصبحت رهاناً لكل القوى المتصارعة، وبطرائق وبأساليب مختلفة، هنا وهناك:

١ ـ تكتسب المقولة الماركسية، في (المانيفستو)، المتضمنة للديمقراطية الشعبية، والتي تأتي عقب اجتياح الرأسمالية للعالم اجمع، وتكوين جبهة بروليتارية عالمية، تضم اليها كل القوى والعناصر المتضررة من هذه العملية والتقدمية طبعاً، معارضة للرأسمالية في عالميتها، اهمية وقيمة كبريين، راهناً، بعد فشل نماذج التجارب الاشتراكية المذكورة.

ولا بد من التدقيق هنا في مفهوم البروليتاريا. فمفهوم الطبقة، كما كان سائداً ايام ماركس، وحتى ايام لينين، لم يعد ممكناً الاخذ به اليوم على وضع ومفهوم الصراع الطبقي في الغرب الرأسمالي، وفي (امريكا) وفي (اليابان)، اذ لا وجود فعلي لطبقة عاملة ثورية هناك، وهذا يعني عدم وجود مثقف عضوي (كما كان يصفه غرامشي)، ويعني في النتيجة ضرورة ممارسة تفكير جديد يتكيف مع المرحلة هذه. واستُخدم مفهوم الطبقة العاملة في الدول صاحبة نماذج الاشتراكية بأكثر من طريقة قسرية، وأُعلن عن ولادة الديمقراطية بطريقة قيصرية، دون ان تمتلك الارضية الاجتماعية المناسبة لها. وتم تداول هذا المفهوم في اكثر من بلد يدّعي الاشتراكية هنا وهناك، بطريقة شعاراتية غالباً. وهذا يعني ايضاً ضرورة التدقيق في هذا المفهوم، وممارسة تفكير جديد، يعبّر بدوره عن هذه المرحلة الراهنة.

٢ ـ والرأسمالية التي كانت تقدمية في بدايتها، وعبَّرت عن ديمقراطية متقدمة آنذاك، سرعان ما كشفت عن مضمونها الرجعي، في قمعها لمعارضيها في الداخل، وفي أستعمارها للشعوب الاخرى، مستخدمة الديمقراطية المقنَّعة (الاعلامية)، ومجيِّرة لدور الطبقة العاملة في الداخل لصالحها. ثم أصبحت الامبريالية اعلى مراحلها، ولكن هذه الامبريالية أُخذت كمفهوم، استُخدم بصورة ستاتيكية هنا وهناك، اكثر مما يجب. فالامبريالية ليست همجية فقط، وإلا لما مارست مثل هذا الاستقطاب العالمي، الذي لم يتم قطعاً بالعنف وحده. انها تشبه (كالي) في الاسطورة الهندية تلك المتعددة الوجوه. فهي هادئة، ومسالمة، وغادرة ودموية عند الضرورة. والصورة التي تظهر بها اليوم، لم تكن كذلك ايام ماركس، أو حتى لينين، اذا ربطناها بمفهوم العمل على صعيد عالمي. والهمجية التي تشكل اعلى مراحلها، كما يرى في ذلك سمير امين، تعبير ملفت للنظر، ولكنه لا يفي بالغرض، اذا ادركنا الى أي مدى، ماتزال الديمقراطية تمارس استقطاباً عالمياً عبرها بشكل ما. والضرورة تقتضي التوقف طويلاً عند هذا المفهوم، لايجاد بديل موضوعي اكثر قوة وفعالية في المجتمع، لا يقتصر على البروليتاريا (هذا المفهوم المستهلك بمعانيه

الكـلاسيكية)، وإنمـا يشمل قوى عديدة موزعة في المجتمع، لمواجهة الامبريالية في همجيتها، ومن معها هنا وهناك.

٣ ـ ولا بد من التوقف طويلاً عند البعد القومي في ممارسة الديمقراطية، وخاصة عنـدما يتعلق الوضع بمجتمعات فيسفسائية (متعددة في اثنياتها). فالرأسمالية تستغل هذا الجانب كثيراً، باسم الديمقراطية، وتتدخل في شؤون هذه المجتمعات، التي تُمارَس فيها ديمقراطية مُختزلة، وعندما توجد انظمة متعددة (لا نظام واحد) تدَّعي تمثيل القومية (وهي مجيَّرة) لمصلحة النظام، الفئوي، أو الاقلوي، أو ما شابه ذلك، في مساره الديمقراطي المـزعـوم. ولـذلـك هناك اكثر من حاجة ماسة لحوار ديمقراطي بين القوى الفاعلة في المجتمع، بمختلف انتماءاتها. وتشكل المجتمعات العربية، في تجليها القطري، ساحة مكشوفة تشهد عىى الغليان القومي، ونشدان الديمقراطية. وتحقيقها الفعلي، هو الذي يغلق الطريق على الديمقراطية (الغربية) المقنعة، ويمنعها من التدخل في شؤونها، كما هو حالها اليوم اكثر من أي وقت مضى.

فالديمقراطية الغربية لاتزال القوة الاكثر تأثيراً في مجتمعاتها، وخارجها، وتأثيرها في بروز متزايد، وخاصة اثر فشل نماذج الاشتراكية المطبقة، حيث فقدت الديمقراطية طابعها الجماهيري الشعبي سريعاً، ومقابل نماذج للاشتراكية، موجودة اليوم، تتراوح بين طابعها الحـزبي الضيق، وجمـاهيريتهـا المقاومة والملجومة في العمق، وكذلك مقابل اشكال للديمقـراطية: لصوصية، وحاكمية، وهيكلية، في اغلب المجتمعات المتبقية، توصف بالعالمثالثية، وما يرادفها. وليس هناك من تقليص لحدود الديمقراطية (الغربية) التي تحمل وجـه (كـالي)، وتقويض لسلطتها السياسية، وتجاوز لها، إلا بوحدة القوى الفاعلة في المجتمـع (التحررية بالفعل)، وخاصة القوى التي تتحرك (بشكل ما) في ظل انظمة، ليست مهيأة لخلق جو ديمقراطي، انطلاقاً من محتواها النافي له، لكي تصبح الارضية الوطنية والاجتماعية، للتحرر الشعبي، اثر ذلك، اكثر صلابة.

٤ ـ ان وعي الديمقراطي لا يتم بين ليلة وضحايا. وتحقيقها الفعلي يتطلب تفاعل قوى عديدة متقاربة في رؤاها، وخاصة في الوضع المستجد الراهن، ومراعاة كل العوامل والعناصر الموضوعية والذاتية لها، أو المانعة لها. فالديمقراطية التي تسمى بـ (المأزومة) أو (الغائبة)، أو (المعاقة) اليوم، تعبير غير دقيق. اذ متى كانت موجودة لتتأزم، وحاضرة، لتغيب، وسائدة بالفعل، وبصدق، لتعاق؟ لقد ساهمت الارادوية اللاتاريخية التخرباتية والافتخارية، في تفاؤليتها المفرطة، ودون اعتبار لكل ما من شأنه تشويهها، أو بشكل أصح تجييرهـا لصالحها، مؤسساتياً. وللذين كانوا يعبرون عنها، ويدعون تمثيلها هنا وهناك، وعبـر اعـطاء شخصياتهم علامـة فارقـة كاريزمية من جهـة، واتهـام كل معـارض لهم

باللاديمقراطية، في لعبة ايديولوجية مبتذلة، جعلوها هكذا، من جهة ثانية.

وهم أكدوا بهذا الشكل ما كان (خصومهم) الغربيون الطبقيون، ومن معهم، ينعتونهم به من صفات تنفي عنهم الديمقراطية، من تجيير للديمقراطية، وتهميش لشعوبهم، وتشويه لتاريخهم، في الوقت الذي كنا نجد، ومانزال، هؤلاء (الخصوم) ديمقراطيين بشكل ما في مجتمعاتهم، وهمجيين عند الضرورة خارجها.

٥ ـ ثمة مسائل عديدة ينبغي التوقف عندها، فهي على تماس مباشر بموضوعة الديمقراطية، من جهة، ولان الوضع الجديد يحفل بها، من جهة ثانية. وهي تخص الفكر الماركسي اكثر من أي فكر آخر. ومن هذه المسائل: السلطة السياسية وادارتها للمجتمع، فأي دور اجتماعي وسياسي وتاريخي وثقافي تقوم به وتلعبه، حيث تعقدت وظيفتها، وتعمقت ابعادها وربطها بالطبقة المستغِلة، كما كان الحال عليه، ايام ماركس، وحتى ايام لينين لم يعد مجدياً، وخاصة في الغرب، وكذلك في المجتمعات الاخرى، وخاصة مجتمعاتنا، لتحديد هوية الديمقراطية في منحاها الاجتماعي والسياسي بصورة اكثر دقة وموضوعية. وهناك الثورة. اذ ان مفهوم الثورة نفسه تغيَّر، الثورة التي ارتبطت بالعنف، وخاصة في عالمنا اليوم المسكون بأسلحة دمار شامل. ان طبيعة تحديد الثورة، والقوى الاجتماعية التي من شأنها القيام بها، ينبغي التوقف عندها، والوقوف عليها كثيراً.

وهناك كذلك مسألة التحالفات بين الاحزاب، والقوى التي تعتبر معارضة للغرب كنظام سياسي، والانظمة التي هي (آنتي) ديمقراطية بالفعل، في مجتمعاتها.

واخيراً ـ لا آخراً ـ هناك المثقف، المعقَّد في وظيفته الاجتماعية التي يقوم بها، وخاصة راهناً، عندما نجد الى أي مدى تغيَّر مفهوم (الطبقات الكادحة)، وجيِّر كثيراً، لصالح ما هو سائد سياسياً. انه مسألة دقيقة، تتطلب تمعناً طويلاً وعميقاً فيها.

وبقدر ما تكون هناك مرونة في النظر الى هذه الامور مجتمعة، والمسائل المذكورة، فان فرصة تحقيق الديمقراطية وكسبها، في بعدها الشعبي الفاعل، ستكون أسرع، وخاصة اذا علمنا ان السباق على الديمقراطية هو، حتى الآن، لصالح الرأسمالية ومن معها، المعتبرين اعداء اجتماعيين فعليين للديمقراطية، وهذا يستدعي تكاتفاً اكثر، وافضل بين القوى المعارضة لها، والمتضررة من ورائها، وهي التي تشكل الاغلبية الساحقة في المجتمع، والوقت ـ كما نعتقد ـ لا يحتمل التأجيل.

واشنطن والسيادة على العالم

بقلم: بول ماري دولاغورس

ـ تتنافس الدراسات الاستراتيجية الاخيرة في اظهار التالي: الولايات المتحدة (البعيدة كل البعد عن السعي الى ايجاد ادارة ديمقراطية لكوكب الارض) تسعى جاهدة من اجل تعزيز هيمنتها، لكن بالرغم من كونها قوة ايديولوجية بدون منازع وقوة عسكرية مطلقة إلا ان قدرتها الكلية قد اهتزت بعنف على الصعيد الاقتصادي بسبب منافسين اقوياء مثل اليابان. والتصدعات الكامنة في مجتمعها تحد من وسائل تحركها ومن طرح نفسها كنموذج.

في الولايات المتحدة كما في غيرها، كان من المفروض ان تؤدي نهاية الحرب الباردة الى اثارة تأملات جديدة حول توجهات السياسة الاميركية الخارجية وحول الاستراتيجية التي يجب ان تكون النتيجة الطبيعية لها هذا التأمل يجري في الجامعات وفي الحزبين الكبيرين وايضاً ـ وهذا طبيعي جداً ـ على المستويات الثلاثة التي تتجسد فيها مراكز قرار السلطة التنفيذية، وزارة الخارجية والبنتاغون «ومجلس الامن القومي» والبيت الابيض. وهنا تم التعمق اكثر في هذا التأمل الامر الذي قاد الى النتائج الاكثر دقة، لدرجة انه قد بات من الممكن ان نميز ـ دون التعرض للخطأ ـ ملامح الخيارات الرئيسية.

وهناك وثيقتان تحملان الدلالة الاكبر بهذا الخصوص. الوثيقة الاولى صادرة عن البنتاغون وتتكون من ست واربعين صفحة. وقدتم تحضيرها وصياغتها بالاتفاق مع «مجلس الامن القومي» وبعد الرجوع الى المستشارين المباشرين للرئيس نفسه. وقد

اشرف على محرريها (ومن بينهم موظفون في وزارة الخارجية ووزارة الدفاع) الامين العام المساعد لوزارة الدفاع والمكلف بالشؤون السياسية وهو السيد بول د. وولفويتز والوثيقة الاخرى صادرة عن البنتاغون ايضاً وهي عبارة عن تقرير يضم سبعين صفحة صاغته مجموعة من الخبراء اشرف عليهم الاميرال جيريميا ومعاون رئيس لجنة قاعدة الاركان وهو الجنرال كولن باول: وهدفه هو الدراسة التفصيلية لسيناريوهات الصراعات المحتمل حدوثها اكثر من غيرها بعد نهاية الحرب الباردة ونهاية حرب الخليج.

لكن يجب وضع هاتين الوثيقتين ضمن سياقهما، فتقرير وولفويتز الذي يتكلم عن توجهات السياسة الخارجية الاميركية خلال السنوات القادمة لم يكن مقدراً له ان ينشر على الملأ وكذلك تقرير جيريميا. لكن كليهما مع التعديلات التي فرضها تقديمها للرأي العام الاميركي وبشكل خاص للكونغرس يعبر عن ذهنية ونوايا السلطة التنفيذية والمستوى الذي تمت مناقشتهما واعدادهما وصياغتهما فيه يثبيت ذلك بلا ادنى شك...

... الصفحات الاولى من تقرير وولفويتز لا تدع اي مجال للشك بخصوص الهدف أو النية ضمان الحفاظ على وضع القوة العظمى الوحيدة الذي اكتسبته الولايات المتحدة بعد انهيار المعسكر السوفييتي السابق. وهذا الموقف التسلطي يجب الدفاع عنه ضد أية محاولة لاعادة النظر قد يؤدي اليها ظهور مراكز قوى كبيرة في أي مكان في العالم. ويشير التقرير الى انه يجب ان يكون هدف السياسة الاميركية الخارجية هو «اقناع المنافسين المحتملين بانهم ليسوا بحاجة الى ان يطمحوا الى لعب دور اكبر». ولتحقيق ذلك يجب ان يتم الحفاظ على استمرارية وجود القوة العظمى الوحيدة عن طريق «سلوك بناء قوة عسكرية كافية لردع كل امة أو مجموعة امم عن تحدي تفوق الولايات المتحدة». كما يجب على الولايات المتحدة هذه ان «تراعي بشكل كاف مصالح الامم الصناعية المتقدمة من اجل عدم تشجيعها على تحدي الزعامة الاميركية أو السعي الى اعادة النظر في النظام الاقتصادي والسياسي القائم».

وما تبقى من تقرير وولفويتز يركز على الاصرار على تعزيز القوة العسكرية كأداة رئيسية للحفاظ على التفوق الدولي للولايات المتحدة. وهناك فقرة لها دلالة بهذا الخصوص تشير الى ضرورة الحفاظ على القوة العسكرية المسيطرة: «من اجل ردع منافسين محتملين حتى لو لم يكن الامر يتعدى التطلع الى دور اقليمي أو عالمي أكبر» ويعود محررو التقرير الى اهمية التواجد العسكري في كل مكان يمكن ان يتعرض فيه موقف الولايات المتحدة المهيمن للخطر.

وكذلك كانوا واضحين بخصوص شروط استخدام هذه القوة العسكرية وذكروا، في مواضع عدة اهمية التحركات التي يمكن ان تتم ضمن اطار جماعي كهيئة الامم المتحدة

على سبيل المثال أو ائتلاف معين مثل ذلك الذي تشكل بخصوص العراق. لكنهم فكروا ايضاً بحالة يتوجب على الولايات المتحدة فيها ان تتصرف وحدها واعتبروا ان عليها ان ألا تتردد في ذلك، بل يجب على العكس ان تتهيأ له.وكتب محررو التقرير ان الاهم هو ان يفهم الجميع ان «النظام العالمي مكفول بشكل نهائي من قبل الولايات المتحدة»، وانه عليها ان «تضع نفسها في وضع يسمح لها بالتصرف وحدها عندما لا يكون بالامكان تحقيق عمل جماعي أو في حال الازمات التي تتطلب عملاً فورياً».

بقي توقع تنفيذ هذه السياسة في «مسارح عمليات» مختلفة، ويركز محررو التقرير على احتمال ظهور قوة كبيرة في الشرق، ويشيرون الى «المخاطر التي يحملها لاستقرار اوروبا انبعاث القومية في روسيا أو محاولة اعادة الحاق الدول التي اصبحت مستقلة بروسيا من جديد: مثل اوكرانيا وبيلوورسيا أو ـ محتمل ـ دول اخرى». وهنا يظهر الاهتمام الرئيس للسياسة الخارجية الاميركية خلال المرحلة القادمة: الحفاظ بأي ثمن على تفكك الاتحاد السوفييتي السابق، وزيادة هذا التفكك عند الحاجة، وفي كل حال تجنب كل اعادة بناء لاية قوة كبيرة في روسيا أو حولها. .

وكذلك يحمل تقرير جيريميا دلالات كبيرة ايضاً: من بين السيناريوهات السبعة التي فكـر فيها، هنالك اثنان يتعلقان بالاتحاد السوفييتي.فبالاضافة للصدام مع العراق أو مع كوريا الشمالية أو مع هاتين الدولتين في وقت واحد، أو للتدخل العسكري في بنما أو في دولة اخرى في اميركا الوسطى، أو التدخل في الفيليبين أو في بلد آخر في الشرق الاقصى حيث يمكن ان تتهدد مصالح الرعايا الاميركيين، يتوقع التقرير صداماً مع روسيا نفسها اذا ما حاولت تجاوز حدودها الحالية، وخاصة اذا ما تحركت لصالح السكان الروس في دول البلطيق، وصداماً مع ائتلاف جديد يمكن ان تتزعمه قوة كبيرة «عدوانية»، ويتيح لنا السياق ان نفهم ان الامر يتعلق هنا ـ من جديد ـ بروسيا.

ومرة اخرى نلاحظ انه قد حسم هنا الجدل الذي كان قد اثار الخلاف لبعض الوقت بين الاختصاصيين والمسؤولين عن العلاقات الدولية بخصوص الاهداف الحقيقية للسياسة الاميركية المتعلقة بالاتحاد السوفييتي السابق: فقد تأكد ان هذه السياسة كانت تسعى دائماً الى تفككه، باستثناء المرحلة التي كان عليها ان تجامله خلالها إما من اجل الحصول على مؤازرته اثناء ازمة وحرب الخليج، واما من اجل اتاحة ابرام وتطبيق الاتفاقيات المتعلقة بأولى المراحل الكبرى لنزع السلاح النووي والتقليدي. لكن ما ان رأى الاميركيون ان وجـود القـوة المركزية السوفييتية لم يعد يفيد المصالح السياسية والاستراتيجية للولايات المتحدة، اصبح تفكك وانهيار الاتحاد السوفييتي (الذي اوصى به عدد كبير من المسؤولين الاميركيين) هو الهـدف الاستـراتيجي الـرئيسي. وعلى كل حال هو يعتبـر اليوم من

الاولـويات، والفقـرات التي اوردناها من تقرير وولفويتز تؤكد ذلك بشكل بديهي وهناك فقرات اخرى توضح ذلك اكثر، مثل ذلك المتعلقة بضرورة تهيئة الدفاع لمواجهة أي تهديد قد يأتي من روسيا، وذلك لصالح دول شرق اوربا ومهما كان القرار الذي يمكن ان يتخذه التحالف بهذا الخصوص.

ومن جهة اخرى، يتكلم التقريران المذكوران بوضوح عن الاستعدادات العسكرية الواجب تأمينها بهدف منع كل اعادة بناء لاية قوة كبرى في الشرق. . .

. . . وضمن هذا الخيار ايضاً، يجب النظر إلى مسألة عدم ازدياد أو انتشار الاسلحة النووية.ويصـر تقـرير وولفويتز ـ في أماكن عديدة ـ على ضرورة تجنب ان تكون قوى اخرى، غير تلك التي تملكها اليوم، قادرة على امتلاك هذه الاسلحة أو تصنيعها.ومن الملائم في الوقت نفسه، الاستمرار في توجيه أو تسديد قسم من الترسانة الاميركية ضد التشكيلات أو المواقع الرئيسية للترسانة السوفييتية السابقة «لان روسيا تظل القوة الوحيدة في العالم التي تستطيع تدمير الولايات المتحدة». لكننا نستخلص من قراءة هذا التقرير ان الامر يتعلق في الواقع بأية قوة اخرى ـ غير الدوُل التي تملك الآن ترسانة نووية ـ يمكن ان تملك هذه الاسلحة وتُوازن بالتالي أو تحيد (في أي مكان في العالم) التفوق المطلق للقـوات التقليدية الاميركية: وبـالتأكيد، هذا هو الدرس الذي استخلصوه في الولايات المتحدة كما في اماكن اخرى من حرب الخليج.

ـ الحفاظ على وضع القوة العظمى الوحيدة:

الاهتمام الرئيسي بالحفاظ على وضع الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة لا يتعلق فقط بالاعداء السابقين، بل بحلفائها ايضاً. وهي احدى النقاط التي كان تقرير وولفويتز واضحاً تماماً بشأنها: «يجب ان نتحرك بهدف منع ظهور نظام امني اوربي حصراً يمكن ان يهدد حلف الناتو».

وقد بدأ تجسيد هذا الاهتمام بالاجراءات التي اتخذتها الدبلوماسية الاميركية خلال انعقاد المؤتمر الاطلنطي في روما، عندما التزمت بتجنب ذكر مشروع اقامة نظام دفاعي اوربي محض ومستقل عن المنظمة العسكرية الاطلسية يمكن تأسيسه في المستقبل كما كان الممثلون الفرنسيون يطالبون. . ..

. . . وهكـذا وبكـل بساطـة لن يكـون هناك دفاع اوربي ما لم يكن متوافقاً مع مقتضيات وتوجهات واستراتيجية حلف شمال الاطلسي ومن اجل ضمان استمرار الوضع هكذا في المستقبل، يقول تقرير وولفويتز ان تواجداً اميركيـاً هاماً في اوربا ووجود تنسيق

صارم داخل الحلف الغربي انما «هما امران بالغا الاهمية».

وقد عمد التقرير، آخذاً في الاعتبار التغيرات التي طرأت على علاقات القوى في العالم، عمد بشكل خاص الى معالجة الصلات مع المانيا واليابان. وبشكل يحمل الكثير من المغزى وصف ـ في احدى اولى فقراته ـ بالانتصار «غير الظاهر كثيراً» كون اميركا قد استطاعت في نهاية الحرب الباردة «ادخال المانيا واليابان في نظام امني جماعي تتزعمه الولايات المتحدة». وقد استبعد بالطبع وصول البلدين الى مصاف القوة النووية العسكرية، مؤكداً بذلك رغبة اميركا في الحفاظ على الوضع المهيمن في مجال التسلح النووي ،ويتوقع ان الولايات المتحدة بالرغم من انها قد سحبت من اوربا اسلحتها النووية التكتيكية المتمركزة في البر والبحر، لا تفكر اطلاقاً بسحب صواريخها النووية التكتيكية من نوع (جو ـ أرض) والمتمركزة في اوربا.

والقلق نفسه المتعلق بحظر ظهور قوة عسكرية كبيرة في الشرق الاقصى دفع محرري التقرير الى الاشارة الى انه على الولايات المتحدة ـ حتى لو توجب عليها تقليص قواتها. عليها ان تحافظ «على وضعها كالقوة العسكرية الاكبر في المنطقة». ومن اجل ان يكون كل شيء واضحاً، قالوا: «وهكذا تظل الولايات المتحدة قادرة على المساهمة في الاستقرار والامن الاقليميين (. . .) ويمنع ظهور فراغ استراتيجي أو أية قوة مهيمنة اقليمية». واضافوا ايضاً ان أي انسحاب اميركي قد يؤدي الى اثارة رد من اليابان لا يرغب به احد، وانه يجب «اتخاذ جانب الحذر حيال مخاطر الاضطراب التي قد تتأتى عن تنامي أي دور لحلفائنا، وبشكل خاص لليابان، وايضاً ـ وهذا محتمل ـ لكوريا».

واحتمال قيام عملية سحق جديدة للعراق وفرضية قيام صِدام لمنع كوريا الشمالية من ان تصبح قوة نووية، والتدخل المحتمل في اميركا الوسطى بحجة الحد من توسع تطور تجارة المخدرات أو في الفيلبين من اجل الحد من نتائج الانسحاب من القواعد الاميركية. . . كل هذه ليست إلا امثلة أو نماذج ثانوية نسبياً تؤكد الاهتمام والقلق نفسه: الابقاء الصارم للولايات المتحدة في مرتبة القوة العظمى الوحيدة في العالم. قد تختلف وسائل تحقيق ذلك ان كان عن طريق منع اعادة بناء اية قوة كبيرة في الشرق أو منع حلفاء الولايات المتحدة من منافسة موقعها المهيمن أو منع ظهور مركز قوة جديد في الشرق الاقصى،لكن الهدف يظل هو نفسه (الحفاظ على هيمنة مطلقة)ويفترض،فيكل الاحوال قدرة دائمة على التدخل في أي مكان من العالم.

(عن لوموند ديبلوماتيك)

باريس. نيسان ١٩٩٢

الاراميون والسريان:

ثائر الصابر

ما دفعني لكتابة هذه المحاولة لتوضيح بعض الامور المتعلقة بالتاريخ القديم للشرق الاوسط، هو مقالة صدرت في الثقافة الجديدة تحت عنوان «السريان واشكالية التسمية» للسيد أ. أكاد (انظر العدد ٢٣٧ ص ٨٨). وبغض النظر عن الكثير من الآراء التي قد نتفق أو نختلف معها مما ورد في المقالة، اعتقد ان الموضوع يستحق المزيد من البحث، سيما وان هذا الجانب من تاريخنا الحضاري (وهو يمتد لفترة زمنية تزيد عن ٢٠٠٠ عام) لم يلق الاهتمام اللائق في البحث والدراسة.

آرام والآراميون:

ذكرت وثائق الاكدي نرام سن (القرن ٢٣ ق. م.) لاول مرة اسم آرام، وانتصار قواته على شيخ آرام، ولعل هذه هي اول اشارة تاريخية لهذا الاسم[1]. ومن المعروف ان الآراميين قبائل بدوية انتشرت في كل ارجاء وادي الرافدين والهلال الخصيب، وغالباً ما ورد اسمها مع اسماء قبائل اخرى مثل «سوتو» و«احلامو». إلا ان الحوليات الآشورية

وغيرهــا من المصـــادر اقتصـرت على ذكـر مفـردة «آراميين» لوحـدهـا بدءاً من القـرن ١٢ ق. م[٢]. ويبـدو ان ذلـك يعني غلبـة الآراميين على حلفـائهم من القبائل الاخرى وامتزاجها معهم.

ومصادر معلوماتنا عن الآراميين هي التوراة (العهد القديم)، والحوليات الآشورية وما وصـل الينـا من مصـادر ونقوش ونصوص آرامية. وقد تمكنت بعض القبائل من تأسيس دويلات صغيرة، اهمها مملكة دمشق (وابرز ملوكها حزائيل، وبرهدد = ابن الاله هدد)، وممـالك حماة وحلب وسمال (وتعني شمال). انها ابعد مملكة آرامية في الشمال وتقع منطقتها اليوم في جنوب تركيا. وكانت القبائل الآرامية في جنوب العراق تتمتع بنفوذ واسع بتحالفها ومصاهرتها مع الكلدان[٢]. واحتل الآراميون معظم البلاد عملياً، وبذلك عزلوا المدن الآشورية عن بعض، لكن ذلك لم يدم طويلاً[٣]. بيد ان التأثير السياسي للآراميين زال بنمو قوة الامبراطورية الآشورية (العصر الآشوري الحديث) فبدءاً من القرن ٨ ق. م. قام الحكام الآشوريون بتوسيع رقعة سيطرتهم تدريجياً، فوصلوا حتى ارمينيا ومصر. إلا ان زوال العامل السياسي الآرامي لم يعن زوال تأثيرهم الثقافي. فقد استمرت اللغة الآرامية في لعب دور حاسم في المنطقة، فأضحت لغة التفاهم بين شعوب الامبراطورية الآشورية المترامية الاطراف. وقد اسهمت السياسة الآشورية بتحريك مجموعات اثنية كبيرة من منطقة الى اخرى داخل الامبراطورية، في نقل ونشر وتعزيز دور اللغة الآرامية.

واستمرت اللغة الآرامية في لعب هذا الدور حتى بعد اسقاط الكلدان للامبراطورية الآشورية عام ٦١٢ ق. م وسقوط الامبراطورية الكلدانية من بعد على يد كورش الفارسي عام ٥٣٩ ق. م. لا بل تعزز هذا الدور واصبحت الآرامية اللغة الرسمية. وتطور خلال الحكم الفارسي ما يعرف باللغة الآرامية الامبراطورية.

وبعـد انهيار الامبـراطورية الاخمينية على يد الاسكندر المقدوني، وفرض اللغة اليونانية والثقافة الهيلينية على المنطقة، انحسر نفوذ الآرامية مؤقتاً، وبدأ تكوّن عدد من «اللغات» الآرامية المختلفة التي يمكن تقسيمها كما يلي:

ـ المجمـــوعـة الآرامية الغـربية: اليهـودية ـ الآرامية، السـامرية، الفلسـطينية ـ المسيحية، النبطية، التدمرية، والآرامية الجديدة الغربية.

ـ المجمـوعـة الآرامية الشـرقية: السـريانية، آرامية التلمـود البـابلي، المندائية، والآرامية الجديدة الشرقية.

وبـالـطبـع رافق ذلـك ظهور انماط جديدة من الخط الآرامي (الخط السرياني، المندائي، التدمري، العبري المربع...).

وهنا نشير الى ان اللغة السريانية هي اسم اللغة الآرامية التي بدأ سكان المشرق من

المسيحيين باستخدامها منذ القرن الثاني الميلادي، ولا علاقة لذلك بأصول المسيحيين الاثنية (آشوريين، كلدان، الخ الخ). ولعبت اللهجات ـ اللغات ـ الآرامية دوراً هاماً في تكوين الحضارات المشرقية.

ومن المفيد الاشارة الى ان العديد من كتب اليهود قد كتبت بلغات آرامية، ومنها الـ «ترجوميم» أي تراجم العهد القديم، واهمها «ترجوم بابلي» (الترجمة البابلية) و«ترجوم يروشالمي» (الترجمة المقدسية ـ الاورشليمية) والترجوم السامري الذي يضم كتب موسى الخمسة (بنتاتوخ)، وكل الادب المدراشي والمشناة ـ كل هذه النصوص اليهودية كتبت بالآرامية، علاوة على مقاطع وفصول وكتب كاملة من العهد القديم.

بعد هذه المقدمة السريعة عن الآراميين ولغتهم ولهجاتهم، نعود الى المقالة المذكورة، لنثبت بعض الملاحظات السريعة على الامور المتعلقة بالفترة السابقة للمسيحية:

١ ـ من الصعب اطلاق احكام من نوع: «لقد تكون فيما بين النهرين تشكيل حضاري واحد ابتداء من الالف الرابع قبل الميلاد وحتى القرن السادس قبل الميلاد» (ص ٨٩)، وماذا حدث بعد القرن السادس ق. م.؟ هل بدأ تشكيل حضاري جديد؟ وبالمناسبة ما هو المقصود بتشكيل حضاري؟

لا يمكن تبسيط الامور بهذه الصورة، فمن الخطأ وضع حدود فاصلة وهمية (القرن ٦ ق. م.). كل حضارة قامت على انقاض حضارة سابقة لها بعد القضاء عليها سياسياً، إلا ان التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الجديدة (اذا جاز لنا استعمال هذا المصطلح الاقتصادي ـ الاجتماعي للتعبير عن التغير ضمن ما كان يسمى بالتشكيلات الاجتماعية) تتمازج مع الحضارة القديمة البائدة بدرجات متفاوتة لتكوين حضارتها الخاصة بها. مثلاً، قدم السومريون من خارج المنطقة (وهم اقوام غير سامية لا يعرف موطنها الاصلي) ليجدوا سكان جنوب العراق وقد سبقوهم الى استعمال الري في الزراعة. فتعلم السومريون ذلك منهم وفاقوهم بذلك بعد تكوينهم التنظيم الاجتماعي الملائم (الدولة). واستمرت حضارة السومريين حتى نهاية الالف الثالث ـ بداية الالف الثاني ق. م.، اذ حدث تغير بيئي خطير ادى لاحقاً الى ضعف الحكم السومري لصالح اقوام سامية هم الآموريون، وذلك بسبب الزيادة الحادة لنسبة الاملاح في التربة (السبخ). وبذلك ظهرت حضارة بابل (الآمورية) التي حافظت على الحضارة والثقافة السومريتين (الكتابة والميثولوجيا بالدرجة الاولى). فبالرغم من التواصل الحضاري لمختلف حضارات ما بين النهرين (وليس التشكيل الحضاري الواحد)، هناك تمايز واضح بينها.

٢ ـ السريان الصابئة :

هذا مصطلح اعتباطي وضعه كاتب المقالة لدعم رأيه. ومن المعلوم ان الصابئة المندائيون عاشوا في فلسطين وحوض الاردن الى ما قبل ظهور المسيحية وبالتالي قبل ظهور السريان كجماعة تدين بالمسيحية. والصابئة اليوم قوم يقطنون ايران (الاحواز) ايضاً، وليس العراق فحسب، ويدينون بديانة معرفية (غنوسطية) ليست وثنية، بل هم يعبدون كائناً علوياً غير ملموس، وهو تجريد للمعرفة الكونية العليا، ومن اسمائه «ملك عالم النور»، «رب العظمة»، «الحياة العظمى» الخ. ولا يعبد الصابئة النار أو الكواكب ـ وهم قوم يتميزون عن «صابئة» حرّان الذين يعبدون الهة مختلفة واهمها آله القمر. ومن المحتمل ان يكون المؤلف قد خلط بين الصابئة المندائيين الذين يقطنون العراق فعلاً وبين صابئة حران (جنوب الاناضول) والذين يتكلمون الآرامية والسريانية. ولمزيد من المعلومات انظر كتاب الليدي درور «الصابئة المندائيون في العراق وايران»[4].

٣ ـ نعتقد ان اشتقاق اسم آرام من «ارعامثا» لا يستند الى اساس، بل هو اشتقاق ارادوي. فكلمة ارض (على اساس ان ارعامثا تعني الارض المرتفعة) في اللغة الآرامية الكلاسيكية التي سبقت الآرامية الامبراطورية «أي اللغة التي من المفترض استعمالها في اشتقاق من هذا النوع ليس السريانية الحديثة)، كلمة ارض هي «ارقا» أو «ارقه» مثل الكلمة المندائية وليس «ارعا» مثلما ورد. أما كلمة رمثا وجمعها «راماثا» (aramäta) فتعني المرتفع والمرتفعات، ولا نعتقد أن لكل هذا علاقة باسم آرام. ومن المفيد ذكر ان الوثائق الآكدية الاولى تتحدث عنهم كبدو رحّل، ومن المحتمل ان يكون الآراميون قد سكنوا الصحراء.

٤ ـ كيف «اضحى الآرامي والكلداني والسومري والبابلي والآشوري يعرف نفسه سريانياً بالعربية. . .» (ص ٩١). كيف اقحم السومريون في هذا الامر، ومن اين يأتي هذا الاستنتاج ـ أو الفرض ـ بوجود سومريين حتى بعد الحكم الاسلامي؟ نستنتج من هذا ان السيد أكاد يخلط بشكل واضح بين حضارة لشعب معين وافراد ينحدرون من اصول تعود لهذا الشعب، انطلاقاً من نظرة عرقية واضحة. فهل من المعقول تسمية الآرامي أو السرياني أو الكلداني نفسه سريانياً بعد مرور اجيال من انتقال اجداده الى الدين الاسلامي؟ ومن أين ينحدر سكان العراق أو سوريا ممن يدينون بالاسلام، هل هم عرب الاصل بمجموعهم، أم ان هناك نسبة كبيرة تنحدر من سكان هذه المناطق الاصليين، والذين كانوا يدينون بالمسيحية واليهودية والمندائية والمانوية وغير ذلك.

٥ ـ لا يمكن بأي حال اعتبار اللغات السامية «مجرد لهجات متقاربة يمكن اعتبارها لغة واحدة» (ص ٩١). فالكاتب يستعمل هنا ايضاً افتراضات وضعها هو نفسه ليتوصل

الى استنتاجات تخدم في اثبات آرائه ويعامل هذه الافتراضات معاملة الحقائق العلمية المبرهنة والمثبتة.

على العموم، لا اود الدخول في مناقشة الجزء الخاص بتاريخ الكنيسة السريانية أو ما اسماه المؤلف اعتناق السريان المسيحية، والذي يغلب عليه التصور القائل بان كل مسيحي (وحتى الصابئي) هو سرياني، لانني لا ادّعي معرفة بهذا الموضوع تؤهلني للخوض به على صفحات مجلات ثقافية مرموقة.

المصادر والملاحظات:

(١) دويون ـ سومر: الآراميون. ترجمة ناظم الجندي، الطبعة الاولى طرطوس (سوريا) ١٩٨٨.

(٢) د. علي ابو عساف: الآراميون ـ تاريخاً ولغة وفناً. الطبعة الاولى طرطوس (سوريا) ١٩٨٨.

(٣) ماغنوسون: التنقيبات في الاراضي المقدسة. (بالانكليزية) ١٩٧٧.

Magnusson, M: BC The Archaeology of the Bible Lands. The Bodley Head, London Sydney, Toronto and British Broadcasting Corporation, Lodon 1977.

(٤) درور: الصابئة المندائيون. ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، بغداد ١٩٧٨ (الطبعة الثانية).

ماذا في السودان؟

د. حيدر علي

تعاظم اهتمام الرأي العام العراقي بما يجري في السودان خاصة بعد تشجيع حكامه لصدام حسين على اغتصاب الكويت وما جره ذلك من ويلات على شعبنا. التقرير التالي مقتبس عن الزميلة المغربية «بيان اليوم» ١٩ - ٢٠ نيسان.

مفارقات الديمقراطية وحقوق الانسان

ان الجبهة الإسلامية استفادت من الديمقراطية (ويا للمفارقة) في تهيئة نفسها للانقضاض على الديمقراطية فقد جاءت الحكومة الحالية نتيجة عمل عسكري عنيف ضد الحكومة المدنية المنتخبة. واول ما قامت به بعد تشكيلها هو تعطيل الدستور والحكم حسب القرارات الجمهورية واعطي مجلس قيادة الثورة السلطات المطلقة في ادارة البلاد، فأعلن المجلس حالة الطوارىء وفرض حظر التجول واعطيت سلطة مطلقة لاعتقال أي شخص يمكن ان يكون خطراً على الامن السياسي والاقتصادي!! وشكلت محاكم خاصة اسندت اليها المهام القضائية وافتقد المواطن حق التقاضي امام محاكم عادية عادلة، وحلت جميع النقابات والاتحادات المهنية المنتخبة، وفرضت السلطة العسكرية لجان

تسيير لنقابات الموظفين والمهنيين والفنيين والمعلمين والمحامين وفتحت معسكرات اعتقال جديدة بسبب الاعداد الكبيرة للمعتقلين.

بالاضافة الى ذلك فقد قررت الجبهة الاسلامية ـ كحزب عقائدي ـ تحطيم جهاز الدولة وتغيير الخدمة المدنية واقتصر العمل والتوظيف على الموالين والمؤيدين للجبهة.

وفصل ما لا يقل عن ألف ضابط من الجيش والشرطة خلال الشهر الاول من الانقلاب واحيل ٥٧ قاضياً على التقاعد وفصل ١٤ سفيراً، كما فصل جميع النقابيين القياديين من الاطباء والمهندسين والموظفين وفي السكك الحديدية والمصانع الهامة، وتم تعيين كوادر الجبهة الاسلامية والمتعاطفين معها في الوظائف العليا التي شغرت بسبب الفصل التعسفي.

وقد ادخل النظام الجديد الذي يدعي الاسلام في السودان اساليب وطرق تعذيب لم يعرفها المجتمع السوداني لا في زمن الاستعمار البريطاني ولا ايام الدكتاتوريات العسكرية، والمنافية لاخلاق وقيم الدين الاسلامي.فقد توفي الطبيب د. علي فضل تحت التعذيب يوم ٢٢ نيسان ١٩٩٠ وكذلك الاستاذ عبد المنعم سلمان، واصيب الكثير بعاهات مستديمة وتم بتر اطراف بعضهم مثل المحامي عبد الباقي الريح. وقد قدم الدكتور حمودة فتح الرحمن والاستاذ محمد خير في كانون الثاني الماضي في القاهرة صورة حية وشرحاً وافياً لاشكال التعذيب التي تعرضا لها. كما كشفت تقارير لجان حقوق الانسان ومنظمة العفو الدولية وهيئات الاغاثة الدولية ومؤتمرات المحامين العرب والافارقة عن انتهاكات حقوق الانسان في السودان، وركزت التقارير على اعتقال المئات من سجناء الرأي بدون تهمة أو محاكمة، واصدار الاحكام السريعة على المعارضين واعدامهم واجراء المحاكمات في الاسواق والجلد العلني.

واغلقت حوالي ٤٠ صحيفة يومية واسبوعية وشردت اكثر من ألف صحفي. بل كان، الصحافيون والاعلاميون من اكثر الفئات تضرراً. وكذلك تم منع دخول الصحف العربية والاجنبية وسحبت تصاريح الكثيرين من المراسلين وبرروا استمرار حظر التجول، بعد مرور ثلاث سنوات على الانقلاب تبريرات مضحكة. فقد قال رئيس مجلس الثورة عمر البشير: حظر التجول اصبح رغبة شعبية اكثر منه رغبة حكومية، ومع انه مكلف لكنه خدم الاسرة السودانية!!

شعارات براقة ونتائج مأساوية

ان مسألة الاكتفاء الذاتي اعتمدت على الدعاية والشعارات ولذلك جاءت بنتائج عكسية لغياب التخطيط العلمي السليم. فقد قررت حكومة الانقاذ توسيع المساحة

المـزروعة، ولكنها لم تضع في الاعتبار امكانية الري ووجود المياه، كما قامت بزراعة مليون فدان على حساب القطن الذي يشكل ٤٥٪ من صادرات السودان.وكان الهدف من ذلك انتاج ما لا يقل عن ٧٥٠ ألف طن قمح ,ولكن الانتاج الحقيقي، لم يتعد ٢٤٠ ألف طن، وبالتالي ضحت الحكومة بالقطن كمحصول نقدي ولم يتحقق الاكتفاء الذاتي في القمـح، وخفضت مسـاحـات زراعة السمسم والفول السوداني وافقدت مكانته العالمية كمصدر لهذه السلع دون ان يقابل ذلك بديل انتاجي داخلي فعلي يستحق هذه التضحية، أي زيادة الاستهلاك الغذائي محلياً، بل ارتفعت الاسعار بأرقام فلكية وتدهورت القيمة الشرائية للجنيه السوداني. فمنذ قيام الانقلاب كان سعر الدولار في السوق السوداء ٢٥ جنيهاً سودانياً، وبعد قرارات شباط الاقتصادية الاخيرة ارتفع سعر الدولار الى ٩٠ جنيهاً سودانياً وقارب الـ ١٢٠ جنيهاً سودانياً في السوق السوداء، وتعويم الجنيه معناه انخفاض الحد الادنى للاجور عملياً. ففي عام ١٩٨٩ كان الحد الادنى ٣٠٠ جنيه سوداني أي ما يعادل ٢٠ دولار ثم ارتفع الحد الادنى الى ١٥٠٠ جنيه وتعادل رسمياً ١٥ دولاراً، ولا بد ان يلازم تدهور قيمة العملة ارتفاع في اسعار السلع الضرورية-فبالمقارنة بين اسعار عامي ١٩٨٩ و١٩٩٢ فقد ارتفع ثمن كيلو اللحم من ٢٤ جنيهاً الى ١٥٠ وكيس الفحم من ٨٠ الى ٢٤٠ جنيهاً، ورطل الزيت من ٢,٥ جنيه الى ٥٠ جنيهاً وصابون الغسيل من نصف جنيه الى عشـرة جنيهـات. وقـد اغلق الكثيرون صيدلياتهم لانعدام الدواء بما فيها متطلبات الاطفال ومستلزمات العمليات، وفي الوقت ذاته اخذ قرض من ايران مقداره ٢٠٠ مليون دولار لشراء طائرات مروحية لمواصلة الحرب في الجنوب.

المستفيدون من بيع القطاع العام

قام نظام البشير والجبهـة الاسـلامية ببيع القـطاع العـام، وكان تجار الجبهة هم المستفيد الاول من ذلك القرار. وقد صرح مسؤول سوداني كبير حول الخصخصة بالقول المسـألـة ليست مفـاضلة مطلقـة بين القـطاعين العام والخاص. وتنشر الاعلانات في الصحف المحلية والاجنبية لبيع كل شيء، وبسـرعـة لكي يستفيد منهـا تجـار الجبهـة الطفيليون.ومثال على ذلك بيع المدبغة أو مدينة الجلود لأحد اقطاب الجبهة الاسلامية بمبلغ ٥ ملايين جنيه سوداني بينما الارض التي تقوم عليها المدينة وحدها تساوي اكثر من ذلك المبلغ، وتعرض للبيع الفنادق والمطابع والمصانع وحتى السكك الحديدية. وقال بيان اصدره التجمع الوطني الديمقراطي السوداني، ان الجبهة الاسلامية قامت ببيع ٣١ مؤسسـة من مؤسسـات القـطاع العام الخاسرة منها والرابحة لمجموعة من تجار الجبهة

الاسلامية في مجال المضاربات العقارية والعملة، وتسبب هذا في تشريد مئات العاملين وتعطل انتاجها وقلت مساهماتها في ايرادات الدولة مما دفع بالطغمة، لتوفر الايرادات، الى طباعة النقود.

ان الوضع الاقتصادي يتدهور بسرعة يجعل القرارات غير مدروسة.وتتعقد المشكلات وتزيد الاختلالات.مثال على ذلك قرار وزير المالية فتح سوق للاوراق المالية خلال اسبوعين، ومن الواضح ان انشاء هذه السوق جزء من التخبط لان كل العوامل الاقتصادية الموضوعية ليست في صالحها، مثل الركود في النشاط الاقتصادي وضآلة نشاط الشركات العاملة والعجز الكبير في ميزان المدفوعات والميزان التجاري الذي يؤثر على انسياب المساعدة الخارجية والاهم من ذلك استمرار الحرب في الجنوب وعدم الاستقرار.

اضافة الى ذلك فقد بلغت الخدمات التعليمية والصحية بعد ثلاث سنوات من الانقلاب حداً مزرياً. وكان اثر السياسات الخاطئة اشد وقعاً على الفئات الفقيرة، اذ تم رفع الدعم عن كثير من السلع الاساسية،وما يسمى بسياسة تحرير الاسعار وقع على الفقراء. أما مجانية التعليم فقد اصبحت حبراً على ورق،وكان قطاع التعليم اول ضحايا التقشف وتخفيض النفقات التي فرضتها برامج التكيف الهيكلية خصوصاً في مجال الالتحاق بالمدارس على جميع المستويات. وادت هذه البرامج الى تجميد الاجور والاستخدام، والى فصل الآلاف من المستخدمين في كافة المرافق وخصوصاً في القطاع العام.

الجن مفجر الطاقات

ومع تزايد الازمة الاقتصادية في السودان يلجأ النظام الى الشعوذة والغيبيات.واخذت ترتفع اصوات جديدة غريبة تبحث عن الحلول خارج الواقع وفوق قدرات الانسان كالاستعانة بالجن المؤمن في كافة المجالات. . . !!

ولنقرأ ما جاء في صحيفة السودان الحديث يوم ٢٢ كانون الاول ١٩٩١، في جلسة مناقشة ورقة الاستراتيجية القومية تحدث الدكتور احمد فضل الله عن ايمانه بامكانية الاستعانة بالجن المؤمن! في كافة مجالات التطور والنهضة. وقال: «ان استعانة الانس بالجن هي مسألة واردة!! وهناك سوابق كثيرة على ذلك» وقال الدكتور: «اننا نستطيع ان نستعين بالجن السوداني المؤمن في تفجير الطاقات. . . وكافة الاستخدامات المطلوبة». وطلب الفريق عمر البشير من الدكتور فضل الله «اعداد ورقة شاملة عن الجن. . »!

حقيقة معاداة الامبريالية

ادعى النظام العسكري في السودان انه سينتهج سياسة خارجية مستقلة ومصادمة مع الامبريالية، بهدف اكتساب بعض الوطنيين والقوميين بالاضافة الى الاسلاميين المعادين للامبريالية وللولايات المتحدة بالذات.

ولكن نظاماً سياسياً دكتاتورياً قمعياً يتحدث عن التحرر والاستقلال في الخارج وفي الوقت نفسه يحرم شعبه من ابسط حقوق الحرية، يستحيل عليه ان يكون معادياً حقيقياً وصادقاً للامبريالية لانه يحتاج الى وقوف الجماهير الى جانبه. فالتحرر الخارجي يستند الى تحرر داخلي يمكن الشعب من المشاركة الكاملة في القرار السياسي، وقد علّمنا التاريخ ان النظم الدكتاتورية تتهاوى عند اول مواجهة مع الامبريالية لانها تغيّب شعبها عن معاركه.

لقد مجد بعض ادعياء الدين الاسلامي موقف النظام السوداني من البنك الدولي وصنـدوق النقد كدليل على استقلالية القرار ورفض الخضوع للضغوط الخارجية، لان المسـاعـدات والقروض وسيلة فعالة لفرض شروط اقتصادية وغير اقتصادية تمس قضايا سياسية. ولكن قرارات شباط الاخيرة الاقتصادية قدمت تنازلات اكثر من المطلوب دون مقابل أو وعود. فالصندوق كان يطالب بتخفيض الجنيه السوداني ولكن الحكومة قررت تعويمه مما اوصله الى مستوى متدن للغاية واعتبر بعض مدعي الاسلام ان هذه القرارات ثورة في النظام الاقتصادي وادارته!!.

وصرح وزير المالية السوداني عن العلاقات مع الصندوق والبنك الدوليين فقال: «لا نختلف مع الصندوق في النتائج، واختلافنا معه حول الزمن وحجم الاجراء.. فالخلاف مع الصندوق بالدرجة والزمن، وليس التوجه أو تحليل المشكلات أو حلولها. فالامر متروك للصندوق لتقييم الاجراءات الاقتصادية الجديدة ليرى مدى جدية السودان في الاصلاح الاقتصادي!!».

وعلى المستوى السياسي تحاول السلطة تصوير عزلتها بأنها نتيجة القرار المستقل! وان هنـاك حملة لتجـويع السودان. وقد صرح احد المسؤولين: «من اكبر الاوهام التي كشفها تولي الحكومة الحالية مقاليد الامور ان يكون للسياسة الخارجية دور في اقتصاد البلاد..».

ان استقلالية القرار لا تعني تغيير التبعية بل تعني مضمون ومبدأ الاستقلال،فلا يعقل ان يفك البلد المعادي للغطرسة الغربية، حصاره بالتعامل سراً مع جنوب افريقيا.

وتحاول الجبهة الاسلامية الحاكمة في السودان القيام بدور في المنطقة ليست مؤهلة له ولا قادرة على تحمل مسؤولياته. وقد استغلت حرب الخليج لتأسيس ما سمي «بالمؤتمر

الشعبي العربي الاسلامي».والهدف كما صرح الترابي نفسه هو «ايجاد بديل عن المؤسسات الاسلامية الدولية، مثل منظمة المؤتمر الاسلامي، كقوة شعبية اسلامية،واتهم منظمة المؤتمر الاسلامي بانها لم تفد قضايا المسلمين والاسلام ولاوحدت بينهم في شيء. . . ولذا نبحث عن هذه الوحدة على صعيد الشعب. . .».

وينفي النظام السوداني عن نفسه تهمة تصدير الثورة إلا ان منظره الترابي يهدد بصورة غير مباشرة كل الدول التي قد تختلف معهم، ولا تعوزهم الاسباب والذرائع. ويهدد كذلك حكام المنطقة العربية.

وقد كشفت حرب الخليج علاقة النظام والترابي مع دول الخليج والعراق. فقد كانت الدول الخليجية المصدر الاساسي لتمويل الجبهة المالي ولكن الجبهة وقفت مع العراق ضد الكويت، وقد وصفت الصحافة الخليجية النظام والترابي بالذات بالوجه المزدوج والانتهازي في السياسة الخارجية، ونتيجة حسابات خاطئة انحاز الى جانب صدام.

وتظهر علاقات النظام العسكري مع دول القرن الافريقي الموقف اللامبدئي للنظام رغم كل الشعارات التي رفعها. ففي اريتيريا يتحالف مع نظام علماني ضد منظمة الجهاد الاسلامي الاريتيرية ويطالبها بمغادرة السودان على سبيل المثال.



«العسكر والحكم في البلدان العربية»*

كامل شياع

لا تطمح هذه الدراسة القصيرة عن دور العسكر في السياسة العربية المعاصرة الى وضع نظرية جامعة بقدر طموحها الى اقتفاء عنفهم بمستوييه النظري والعملي. فما بدا للعسكر على انه «ضروري» لتبرير تدخلهم في السياسة وبالتالي لتكييفها وفق نظام مؤسستهم القائم على الانضباط والطاعة انطوى من حيث المبدأ على عنف نظري. انه عنف يبدأ من التفكير بجواز ارجاع منطق الكل الى منطق الجزء، أي تبسيط المجتمع ليتحول الى ثكنة لها بنيتها الثابتة وتمفصلاتها الواضحة ورعاياها الشفافون.

بجانب هذا العنف النظري، الناتج عن مغالطة ايديولوجية ولكن المسند بقوة قامعة، ثمة عنف مادي مارسه العسكر كلما وجدوا ان من الاجدى للسياسة ان تمتثل لارادتهم من ان يمتثلوا لها. والسياسة المعنية هنا ليست الخطابات المتصارعة لقوى اجتماعية متفاوتة المواقع بل القواعد والتقاليد القادرة، بغض النظر عن درجة تطورها، على ضمان نوع من الاستقرار الاجتماعي. وبسحبهم السياسة الى مجالهم التداولي الخاص. من خلال استيلائهم على الحكم، فان العسكر قد مارسوا عنفاً تجلى في هذه الحالة بصورة معكوسة: فرض منطق الكل على منطق الجزء. ولهذا تتبدى دولة العسكر (أو على الاقل تبدت حتى الآن) كحامل لمهام قومية توحيدية، كداعية لاستنفار ضد عدو متربص بالوطن

* الناشر: دار الساقي ـ لندن ١٩٩٠
المؤلف: فؤاد اسحق الخوري

وبالامة، كأداة للقهر القسري للمجتمع، وكحاضنة لحكام مستبدين وكاريزماتيين.

واذا صح القول بان لعنف العسكر اثراً سلبياً محسوساً على الحريات السياسية وكيفيات التمثيل الاجتماعي، فانه يصح ايضاً القول بانه يمكن ان يكون لهذا العنف اثر ايجابي، بعيد المدى، على حركة المجتمع ككل. لقد احتاجته مجتمعات التحديث في لحظة كان فيها العسكر هم اكثر القطاعات تأهيلاً لتحقيق هذه المهمة بسبب ارتفاع مستوى تنظيمه واحتكاكه المباشر بالتكنولوجيا (كسلاح ومعدات اخرى). ولكن التجربة العملية تظهر ان حجم الانجازات التحديثية ظل محدوداً بل انه، ظل كما يدعي الكاتب، ادنى بكثير مما نتصور. فالمشاريع الضخمة التي شغف بها العسكر (كالتأميمات الواسعة، بناء السدود، الصناعات الثقيلة والاصلاح الزراعي...) لم ترس اساساً صلباً لنقلة تنموية تحديثية عميقة الجذور.

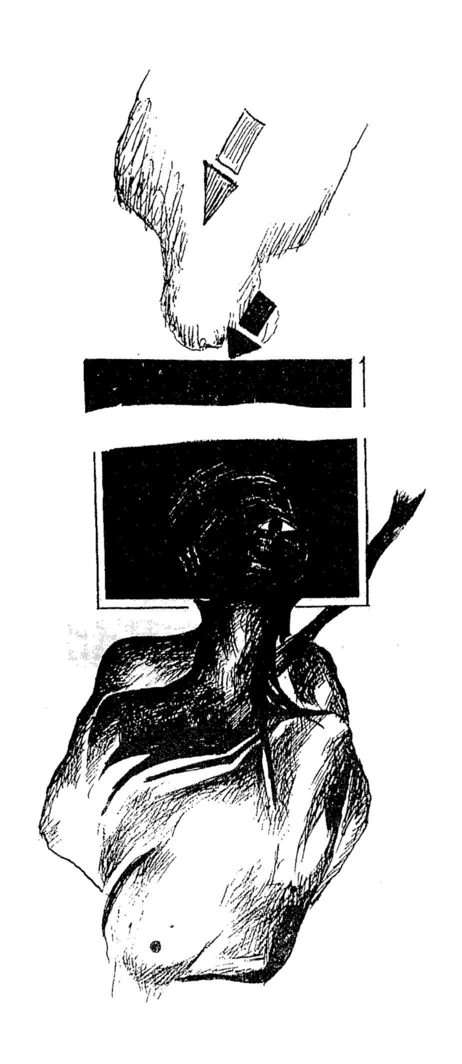
وربما يكون الكاتب محقاً في هذا الاستنتاج لانه من الملاحظ ان مثل هذه المشاريع الكبيرة قد ترافقت مع غياب تصور عقلاني وواقعي للتنمية. وبالاحرى، فمبررات التنمية كانت سياسية (الظهور بموقف الطرف البنّاء مقابل الطرف المعارض أو الهدّام) أكثر منها اقتصادية. ولكن حتى لو ركزنا على الجانب الاقتصادي لمثل هذه المشاريع فان قيمتها الحقيقية تظل غير قارّة فيها، بل في كيفية فهمها ضمن سياق اوسع لم تزل تحكمه بنى اجتماعية وعقلية وقيم ومواقف محافظة (تقليدية).

بكلمة اخرى فقد بقيت هذه المشاريع مؤطرة ضمن مفاهيم غير اقتصادية للعمل وللاستثمار. يضاف الى هذا ان التنمية قد واجهت طريقاً مسدوداً في دولة يمسك زمامها العسكر ويرصدون الحصة الاكبر من مواردها لتطوير مؤسسة استهلاكية لمؤسستهم. ولنا في هذا المجال من تجربة العراق مثالاً باهراً على الخطأ الاستراتيجي في اعتبار الجيش النموذج الاساسي للتنمية والتطور العلمي.

ان احدى السمات المهمة التي اقترنت بتورط العسكر بالسياسة وتورط السياسة بهم هي ان راديكاليتهم وتقلباتهم السياسية المفاجئة لم تأخذهم بعيداً عن التجليات التقليدية للسلطة كالزعامة والوجاهة والاولوية. بل انهم انجروا الى تكرار هذه التجليات التي هي متعارضة عملياً مع مشروعهم التحديثي الذي كان يتطلب ارساء آلية حكم جديدة. ولكن بسبب كون هذا التكرار قد تمّ على خلفية قوامها وحدة عقائدية (الايديولوجية) ومركزية مفرطة (الدولة هي المالك والحاكم معاً) فانه قد أثمر في بعض الحالات شكلاً جديداً للحكم هو الشكل الكلاّني. أما في حالات اخرى فانه هيأ لظهور اشكال حكم تسلطية تتمسك بقوة بمركز السلطة وتترك قدراً ما من الحرية المسالمة لاطرافها. من الواضح انه في كلتي الحالتين فان العقلية العسكرية هي اقرب الى نموذج المجتمع المغلق على الاقل

من نواحي الاستئثار بالسلطة وممارسة القمع ضمن «الشرعية». وهذا الميل يلقي شكوكاً جدية حول مدى تناسب وجود مؤسسات ديمقراطية حقيقية مع وجود مؤسسة عسكرية قوية ومسيّسة.

في معرض مقارنة الكاتب بين الجيوش الغربية والجيوش في بلداننا العربية جرى التأكيد على اهمية فهم نشأتهما لاجل فهم الاختلافات الظاهرة بينهما. فالجيوش الاوربية الغربية نشأت ضمن شروط الحروب القومية والصراع لتحقيق الديمقراطية ونشوء المجتمع الصناعي (على اعقاب المجتمع الاقطاعي). وهذا ما انعكس في المسلك الإيديولوجي والتنظيمي لمنتسبيها، فهناك عقلانية في الاداء، التزام بالمعرفة العلمية وانضباط ودقة في التعـامل مع المدنيين. أما عند الجيوش العربية فيلاحظ انها، مع بعض الاستثناءات، نشأت ضمن شروط خاصة جداً تميزت بهيمنة اشكالية الخارجي على الداخلي. ولهذا اصبحت الحقـوق المدنية العامة والخاصة موضوعاً لتأجيل ولقمع مستمرين على ايدي العسكر. ان هيمنة اشكالية الخارجي (الوحدة الوطنية والقومية ومجابهة العدو الخارجي) ترجع الى ان عدداً من الجيوش العربية في المجتمعات الفلاحية كالعراق والسودان لم يتشكل استجابة لضرورات داخلية بل استجابة لسياسة الدول المستعمِرة. أما في مرحلة ما بعد الاستعمار فقد تزامن توجه العسكر نحو مجابهة العدو الخارجي «المتربص بالوطن» مع احياء الميول الاثنية والطائفية. ولهذا يبدو ان مشروع الحداثة الذي انتدبت المؤسسة العسكرية نفسها له قد انتهى الى طريق مسدود بحيث صار من اللازم الآن الرهان على ظهور سلطة مدنية ذات شرعية اجتماعية واسعة. ان تاريخ تدخل العسكر بالسياسة هو تاريخ عقيم في المحاولة والخطأ ومن هنا فان لا اختراق تاريخي ممكن باتجاه الحداثة إلا بارجاع العسكر الى ثكناتهم.




أدب وفن

هذا الملف..
فصيلة الورد هذه!

لن نقول كثيراً، حين يأتي الصوت مكتفياً بعناصره!

أصواتٌ عراقية شاعرة تأتينا من مخيم في الصحراء، دون غنى نفطها، أو على رغمه . .

أصـوات تقول شعراً، وتصف قولها بصوت ناقد صريح على لسان واحد منها، هو صوتها الجمعي، لا كالقطيع، بل مثل أشجار من جنس واحد، ولكنها تختلف. . . هل ترى شجـرتي رمـان مختلفتين؟! . . كلا! . . إذن، هل ترى شجرتي رمان متماثلتين!؟ . . كلا!

هذا الملف الذي نقدمه باعتزاز إلى قراء (الثقافة الجديدة) لهو نقرةٌ أخرى على الوتر ذاته. . . الوتر الذي نقر عليه شعراء الملف الماضي، ملف آذار (ألواح طينية لأحفاد گلگامش)، نقرة ربما اختلفت من حيث ائتلفت. . تلك من عمق المأساة والحصار المزدوج، وهذه من عمق المأساة والصحراء الجديدة!

نقدم هذا الملف الذي وردنا متكاملاً:

رسالة جماعية. . مقالة نقدية نرى أنها «شهادة» فنية تاريخية. . نصوص شعرية، وتخطيطات لفنان معهم.

ثمة ثلاثة نصوص شعرية آثرنا أن تكون ملحقاً للملف، لأنها قادمة من هناك أيضاً، ولكن بشكل منفرد، وهي للشعراء: ثامر الدويبي، طارق حربي، عباس الجنوبي.

نقدم هذا الملف، ولن نقول كثيراً، لأن الصوت جاء مكتفياً بعناصره. .

«مهدي»





«أصحيحٌ
ان غصناً طمرته الريح
رغم الريح والصحراء
أخضر»

السادة اسرة تحرير «الثقافة الجديدة»
الاستاذ مهدي محمد علي المحترم
تحية الوطن والشعر والمحبة . .
نحتـاج الى لغـة اخرى. . الى هواء آخر. . الى عيون اخرى. . نحتاج الى كوة

ملاحظة: هذا الملف هو مجموعة قصائد كتبت جميعها في الصحراء فلا بد اذن ان تكون ذات هموم خاصة ومشتركة في آن.
التخطيطات المرفقة للفنان جعفر حنون طاعون.

سحرية نطل منها الى الماضي والمستقبل في لحظة واحدة..
نحتاج بعض الهدوء لنعلن العاصفة...

نحتاج فضاءً خاصاً لنصل اليكم... ونترك للذاكرة حرية ان تنزف خزائنها الثرية بالوجع والحنين.. الذاكرة هي الاهل لذلك انتم أهلنا، لانكم ذاكرة العراق الذي نعشقه.. أما نحن فذاكرة العراق الذي نرثيه.. نحن ذاكرة الدم والخراب والهزائم و«كل مفردات الموت».

ليست الاساطير وحدها تحلم بماض ذهبي في جنة مفقودة.. فكل من عاش جحيم العراق في الثمانينات وما بعدها يقول عن الماضي انه الفردوس رغم كل ما يعتري ذلك الماضي من تفاصيل سيئة، ولكنه زمن جميل.. زمنكم، حيث التوهج الحق للابداع والفن والثقافة والوعي والجديد في كل المجالات..

ثم اتى زمن علينا كانت فيه الكلمة توصل صاحبها الى المشنقة.. زمن كان فيه وقع (البساطيل) اعلى من القصائد ومن الصرخات المكتومة.

كنا نحتشد خلف جدار الصمت ونمارس حريتنا في البقاء خارج حدود الفضيحة. كنا نراوغ بمهارة نُحسد عليها.. نراوغ اضواءهم الكاشفة.. وابواقهم وتجانيدهم وحروبهم وجوائزهم وقيء صحفهم.. ولم تكن المراوغة تلك مجانية.. فقد دفعنا سنين من عمرنا، وفقدنا الكثير من وهجنا.. سنين طويلة كنا نضع الاحلام على رفوف الانتظار، حيث لا مجال للتوفيق بين الحياة التي نريد والمراوغة المفروضة علينا من اجل نقاء ذواتنا.. لا مجال للحياة لمن يقضي السنوات بين المعتقلات أو هارباً من الخدمة العسكرية أو مفصولاً من الدراسة أو موضوعاً تحت الاضواء الكاشفة في كل مكان من (حياته).

وحين تحطم جدار الصمت العملاق دفعة واحدة في آذار تجمّع توقنا كله في صرخة عالية.. اثبتت ان شعراء الحداثة ليسوا محصورين في حدود التنظيرات والثرثرة والعبثية كما يدّعي البعض.. بل انهم في صميم حركة الحياة وفي طليعة الثائرين وعياً وتضحية..

وها نحن بعد ان لملمنا جراحنا وحملنا آلامنا وخرجنا مثقلين بآثار الهزيمة نبحث عن محطة لاحتضان لهاثنا.. ها نحن نقفل الحلقات الأخيرة من سنة صحراوية.. بلا طعم ولا لون ولا رائحة.. ونطل على سنة اخرى نأمل ان تنهي معاناتنا ومعاناة شعبنا..

ومن عزلتنا المنسية هنا.. حاولنا ان نمد خيوطاً ما تربطنا بالعالم من خلال الرسائل والقصائد، وبين فترة واخرى نعثر على عنوان لجهة ثقافية معينة لنراسلها بلا جدوى في اغلب الاحيان.

واخيراً حصلنا على عنوان «الثقافة الجديدة» من رسالة بعثها لنا الصديق الشاعر «. . . . .» فكانت فرصة طيبة، ان نمد جسور التواصل مع منبر الثقافة العراقية الحرة الثقافة الطليعية التي كنا نحلم منذ زمن ان نعبر الاسوار لننضم الى ركبها . .

اخيراً تقبلوا خالص المحبة

ونحن بانتظار ردكم

الشعراء اللاجئون
واصف الشنون
شعلان شريف
فلاح الصوفي
عقيل المنقوش
صلاح الحيثاني
احلام الموسى

ثلاث قصائد

واصف الشنون

نتدافق اثناء الهدم

يتدافق الهدم في النهايات والبدايات
[كمية فساد] هذا الهواء،
هذا الشبَع،
والتيه يأخذ الطول والعرض،
الاحداثيات كلها،
والزمن قمرياً،
شمسياً،
والاتجاهات...
هكذا نَبرِمُ الاشتهاء، ونُبرَمُ في [قَدَرٍ] صغير
نخلقه في.... و.... من تراجعنا الاخير

أثناء المسألة

أو الندم

يترافق الوضوح في ظلِ فكرة تخرج [كالانبجاس]

مع هلامٍ غير مُعَدٍّ له،

يُدَون فيه ما نحب ونكره، ما نقبَله ونبغضه

فنشتهيه

ونستحي منا . . . . ومنه

فنتحاصر بسواد الهم [مرأً تعساً] . .

يبدو حُبا جَنياً يظهرُ في منطقة

لا يكسوها الشعرْ في كل الاحيان

لكنه . . . .

اطلالةٌ للخواء النظيف،

وهاجس لتكوّر ثقيل، هناك

كثير من الحب وقليل من العافية

تكفي . . . أو

ربما لا تكفي لمأساةِ حشودٍ

تتقدم متنبئةً بالرجوع الى . . .

[لا فرق] . . .

بداية أو

نهاية . . . .

الفشل

أولها

جسدي

صحراء زفخاء

آذار ١٩٩٢

رحيل شفارتز*

أينعت الحكاية،
امرأةً تتوسد تشكيلة للجنّةِ
[المتوجة للفضائل]
رجلٌ حبيس في ذكرى شرائِطها المرتحلة
بـ[اندلاع اللهيب]
في هشيم الحروف المنكمشة على بعضها
لتؤنث الخوف بمناظر الارتجاف
[لستِ انتِ التي ترتجفين إنها الحياة في جسدكِ]
كيف يكون
القياس... بالارتعاش
بالانكماش
بالرغبة الفائرة
بما يخلفه الرحيل المغطس بالرعاف
[ليس أول أو آخر مرة]
من فيض لوراثة مغطاة بخليط من حيرة مزمنة
ترتع فيها الاهداب،
بمرَايا تترعُ فضِتَها فيسقط لون
الشمس من صورة شخصية لقادم
[تواً] من
حادثة رحيل مفاجىء،
[تكرر ذلك عدة مرات حتى في أحلام
الليل أو النوم]

---

* شفارتز / بطل رواية ـ ليلة لشبونة ـ للروائي الالماني ريمارك.

بأذرع من شظايا كفيها... تبحث
بتنقيب عن عيني [شفارتز] المودعتين
لها في آخر وداع قبل أن
يَعُدَّ....

حبات
المطر التي
تغسلهما

صحراء رفحاء
آذار ١٩٩٢

إشكالية عرش

بعد أن قتلَ الطاووس
ركَبَ أصابعه....
انفلت عريُهُ
غاشماً...
مثبتاً مرايا مؤطره
بأضواء المغرور الملوَّنة للياقات
يرتدي نظرات الملثمين....
اتضاحه يهوي،
ركبتاه تغوصان في الأسف
فولاذه يتقمص كفيه المصفقتين لخطوط
اضلاعه وهي تزول
شوكهُ يُتَوْئم رموشه
أجسادهُ مثقبة
أجسادٌ لهُ تعادلها
التيجان

صحراء رفحاء ١٩٩١

فصيلة ورد... مهربة

«هوامش على تجربة شعراء الثمانينات»

شعلان شريف

١

«من ينقذ من زحف الجيوش نوعاً هجيناً بالغ الندرة من فصيلة الورد؟»

ترى من يصغي الى نوع هجين بالغ الندرة من فصيلة الشعراء لم يعد يملك حتى القدرة على اطلاق نداء الاستغاثة وهو يواجه جيوشاً تختلف عن تلك التي ارعبت سان جون بيرس!!

شاعر يواجه جفاف العصر بينابيع الاحلام وضجيج المادة بموسيقى الروح..

وشاعر يقف عارياً في مواجهة سلطة تحول بينه وبين صورته، تصادر نبضه، تستولي على ارتعاشات رؤاه، تغلق آفاقه بالدم، ومخيلته بالرماد!!

٢

كانت الاعوام الاخيرة من عقد السبعينات تسير بالعراق مسرعة الى هاوية مظلمة بعد ان احكمت الايدي الخفية رسم الطريق المؤدية اليها. وانتبه من انتبه من فصيلة الشعراء الى جيوش الموت القادمة، ففر بنفسه لكي يواصل مشروعه بعيداً عن الهواء الملوث

بالارهاب، فخرج في تلك الاعوام عدد كبير من شعراء العراق ينتمون الى أجيال وتجارب مختلفة، وهم الآن يشكلون عصب الثقافة العراقية في المنافي. . أما اولئك الذين مكثوا لانهم لم يبصروا الهاوية أو لانهم لم يستطيعوا الخلاص، فقد أحكم عليهم الطوق، وسقط معظمهم في احدى هاويتين: إما الصمت والعزلة أو تزييف ذواتهم والارتماء في احضان ثقافة السلطة. .

٣

الذين اغتربوا يمتلكون حرية تكاد تنسيهم آلام النفي، والذين اعتزلوا يعيشون على ذكرياتهم، والذين تحولوا الى مهرجين يتوهمون انهم حققوا امجاداً فيعيشون على اوهامهم. .

ولكن. . كان الجيل الذي فتح عينيه على المأساة لا يمتلك غير الانتظار وتأجيل الذات!

كان بعضهم ـ أو بعضنا ـ قد بدأ كتابة الشعر في السبعينات وعايش بوعيه الاول السنوات الاخيرة من عمر الازدهار النسبي في حركة الحياة والثقافة العراقية. . وبعضهم ـ أو بعضنا ـ لم يتعرف الى تلك الفترة إلا من خلال القراءة والاحاديث.

٤

يمكن الى حد كبير تسمية عقد الثمانينات في العراق فترة مظلمة. . فقد كان الظلام شاملاً حقاً. . والتدهور هو الاتجاه الوحيد الذي تسير نحوه القيم والمعايير. .

الحياة: مختومة بالشمع الاحمر وموضوعة على رفوف الانتظار، للاستخدام الرسمي فقط، اما ما يخصنا منها فهو مجرد مشروع ربما يكون قابلاً للتنفيذ في زمن آخر أو مكان آخر! والثقافة: طبول تمجد المحرقة الغبية، أما الثقافة الحقيقية فليس لها ادنى مساحة للحركة والفعل والنمو. .

كنا محاصرين فكرياً ونفسياً وجسدياً وعاطفياً ومادياً وروحياً. . محاصرين بأسماء القتلى، بطوابير التجنيد، بدوريات التفتيش، محاصرين بانحطاط الذوق وانقلاب المقاييس وانعدام الوعي، محاصرين بالرعب والكوابيس والمقابر والاسلحة. .

وفي مواجهة هذه الحصارات كنا نلوذ بالصمت والانتظار، لكي نحتفظ بما في دواخلنا من اشراق نستعين به على العتمة، ونقاء يُشعرنا بالانتصار. .

٥

في هذه الاجواء ولدت تجارب شعرية لها ما للتجربة العراقية من خصوصية وملامح حادة.. تجارب تتصف بالعنف والغموض والتطرف والذاتية المفرطة..

فالحصارات التي يواجهها الشاعر تنعكس في لغة تحاصر نفسها، لغة لا تحاول الاعتماد على الخارج، بل تنبثق من كهوف الذات وتتناسل بالانشطار وتنمو متعثرة بفراغاتها.

والتناقض التام مع ما يجري يتجلى في كتابة مقطوعة عن الخارج، كتابة لا تطمح للتواصل مع الآخر، ولا تقول شيئاً، بل تحرص على إخفاء نفسها. وعدم استقرار الاشياء والـذوات يولد اضطراباً في المخيّلة وفي مجمل العملية الشعرية، فيمسك الشاعر بهذا الاضطراب ليجعله وحدة من وحدات النص الشعري. والفوضى الضاربة على ارض الواقع تصبح اساساً للنظام الذي تقوم عليه القصيدة، والقسوة التي يواجهها الشاعر هي القسوة ذاتها التي يطرح بها الشاعر قصيدته، قسوة في التعامل مع اللغة ومع الصورة. وقسوة مع المتلقي الذي يصطدم بالقصيدة اصطداماً مربكاً.

واللاجدوى التي تخيم على النفس تجعل الشاعر يقتنع بلا غائية كتابته، ولا يعوّل عليها في التفاعل مع الحياة واحداث التغيير فيها، فتبدو الكتابة وكأنها عبث مأساوي، ولكنه عبث لا بد منه لاقامة التوازن الضروري بين الداخل والخارج..

بهذه الصورة تجلت انعكاسات الوضع الذي يعيشه الشاعر العراقي في كتابته، وكان من نتيجة ذلك انه اختار قصيدة النثر شكلاً كتابياً قادراً على احتواء تجربته، فاتجه معظم شعراء الجيل الثمانيني في العراق الى هذا الشكل بعد ان منحوه ملامح واضحة التفرد.

أما انعكاسات الواقع على مضامين هؤلاء الشعراء فهي ابرز واكثر حدة.. رغم ان قصيدة النثـر يلتبس فيهـا الشكل بالمضمون، ولكن نقصد بالمضامين هنا تلك العوالم الشعرية التي يخلقها الشاعر من خلال اللغة والصورة فالمستقرىء لمجمل نتاجات تلك الفترة يجد فيها عالماً قاتماً يهيمن عليه الشعور بالخواء، نجد فيها صرخات احتجاج مكبوتة وبقايا حلم محاصر باليأس والجفاف وفيها ايضاً هدم لكل القناعات التي يحملها الانسان دون طرح بديل سوى التساؤل الدائم..

ورغم ان النصـوص تحـاول ألا تقول شيئاً فان المتأمل فيها يرى اشباح الخراب ويسمع دوي الحرب وصرخات القتلى ويدرك قسوة الارهاب وحجم الكارثة.

٦

هكذا تبلورت التجربة الشعرية الثمانينية في العراق، بعد ان وجدت في قصيدة النثر الشكل المناسب لاستيعابها، فكانت قصيدة النثر ضرورة موضوعية وليست ترفاً شكلياً كما هو الحال في تجارب اخرى. .

ورغم ان شعراء هذه التجربة لم يقتربوا كثيراً من الاضواء التي كانت تحتكرها ثقافة الزيف، فقد كانوا يستفيدون من بعض المنافذ التي لا تتطلب تنازلات ما ليثبتوا لهم موطىء قدم في الساحة الثقافية، ولكنهم في اغلب الاحيان يعولون في هذا المجال على الخارج رغم صعوبة التواصل معه. . لقد كانت الهوة واسعة بين ثقافة الاضواء وثقافة الظل. . إلا انه في العامين الاخيرين من الثمانينات بدأ شعراء الظل يفرضون وجودهم بسبب الخواء الواضح الذي افرزته (ثقافة الاضواء) وايضاً بسبب بعض النجاحات التي حققها شعراء هذه التجربة في الخارج رغم الطوق المحكم عليهم.

٧

ليس بوسعي ان احيط بتجربة لم تكتمل ولم تنضج ملامحها بعد، خاصة وانني انتمي لهذه التجربة زماناً ومكاناً ونتاجاً شعرياً ومعاناة، واذا انفصلت الآن عنها مكانياً فمازلت في صلب معاناتها ومسعاها نحو تثبيت الذات العراقية من خلال الشعر. .

ولكن، لا بأس، فبعض الملاحظات تطرح نفسها امام كل متابع. . وأول ما يلاحظ ان قصيدة النثر قد خسرت الجمهور القارىء بعد ان ضحت بعنصر التوصيل، وقطعت جسور التواصل مع القارىء العادي، فهي قصيدة ضيقة التداول الى حد كبير، وهذه الخاصية منحتها حرية اكثر في تجريب الاشكال واطلاق المخيلة. . وفي الوقت ذاته ادت هذه الحرية الى استسهال عملية الكتابة لدى البعض في ظل المقاييس الرجراجة وانعدام الضوابط، مما سوّل لمن يقفون في الجانب الآخر ان يسخروا من التجربة كلها أو يتجاهلوها.

ربما كانت هذه الملاحظات مرافقة لكل حركة أدبية أو فنية تحمل نفساً تجديدياً وطموحات للتجريب والمغايرة، ولكنها في تجربتنا كانت اكثر حدة لان المنتمين اليها، وبدوافع موضوعية، كانوا اكثر تطرفاً، وينظرون الى الآخرين بسخرية، بل بعداء. . لانهم

يمثلون جزءاً من منظومة القمع الثقافي والسياسي والاجتماعي المسؤولة عن اغتيال وتشويه جيل بكامله.

الملاحظة المهمة الاخرى ان نتاجات هذه التجربة، اضافة الى قيمتها الفنية، تمثل شاهداً تاريخياً، رغم انها تبتعد كل الابتعاد عن التوثيق المباشر. ففي تلك النتاجات يتجلى ما وصل اليه الانسان العراقي من انسحاق وما عاناه من استلاب وحصار. .

وقبل كل شيء وبعد كل شيء. . فان شعراء قصيدة النثر في العراق، قد انضجتهم نار الحرب والمعاناة، فاتسمت تجربتهم بصدق ووعي حادين تفتقر اليهما كثير من التجارب العربية المشابهة. .

٨

اخيراً.

اذا كان ما يبقى يؤسسه الشعراء،

فان شعراء العراق الشباب حاولوا لوحدهم ان يؤسسوا شيئاً ما في وقت كان فيه كل شيء مكرساً لمهمة الهدم والتشويه. .

واذا كان عدد كبير من شعراء الجيل الثمانيني قد قذفتهم ازمة الخليج والانتفاضة المقموعة الى مخيمات اللاجئين أو وزعتهم على خارطة المنفى. . فان محاولة التأسيس ستستمر، لان الشعر عصي على الموت، ولان النبتة التي نمت بين الصخور لا تدفنها الرمال. .

وحين يكمل العراق قيامته المنتظرة، وينهض من كابوس الموت، سنطلب منه ان يكون وفياً لشعرائه هذه المرة. . وهم لا يطلبون شيئاً سوى مساحة للحلم وهواء مشبع بالحرية.

مخيم رفحاء ـ الصحراء/ ١٩٩٢

ثلاث قصائد

شعلان شريف

لتزيين الذكرى

(مقطع من قصيدة طويلة)

مرتداً . .
أرتد إليكِ
نبوءاتي لا تكفي لاقناع غيمتك الهاربة
(تكفي فقط لاقناع الصحراء بتأجيل قتلي يوماً آخر)
المسافة المسلوخة الجلد
الغاصة بالترسبات السرية للطمي المعلن
المسافة المشغولة بالصمت
ترتعش أحياناً . .

هل هذه علاماتكِ؟
بوسعي أن أتذكر جيداً
لم نكن نعبث..
كانت الطائرات الامريكية
ترشد المدينة إلى لعبة اكتشاف الماضي
تلهب عريها المفاجىء
تطرزه بالانفجارات
حيث تخلع المومياء جلدها المالح
انفجار قرب الجسر يوقظ النهر من تعبه النائم
قذيفة أخرى..
توزع الهزيمة بالتساوي على نوافذ
تصفق باعجاب!
عيناكِ تحاولان الانتصار دون جدوى
تلامسان حافة الخوف
فتسقط من يدي دمية الحبّ..
دون دوي!
ولم نكن نعبث..
نمسك بما يتساقط من جيوب القتلى
ونتبادله في رسائل سريعة
(لم نبالغ في سريتها مثلما يفعل العشاق!)
اختطف دميتك بأسرع ما يمكن
تختطفين ابتعادي المبكر عن رائحة الشتاء
بوسعي ان أتذكر جيداً
لم نكن نعبث...

مخيم رفحاء
آذار ـ ١٩٩٢

لاجئون

يتساقطون قرب ذكرياتهم
حقائبهم مملوءة بالانتظار
وعيونهم محدقة باتجاه السماء القديمة
أصواتهم تصطدم بالهواء قبل أن تصل الهواء
فيرجع الصدى خاوياً مثل غيمة جافة
يسيرون صاخبين بين ظلامين
ليسقطوا في النهاية
عند حافة الضياء

طبيعة صامتة

أسوارٌ . .
تفصلني عن الصحراء
التي تفصلني عن المدن
التي تفصلني عن البحر
الذي يفصلني عن . . . .

مخيم رفحاء
تموز ـ ١٩٩١

قصيدتان

فلاح الصوفي

انحناءاتٌ جديرةٌ. . . بالاشياء*

آخر المساء
تنحرف الاحلام قليلاً عن الشراشف
تتذمّرُ من إنغلاق فمها
أو صوتها الفارغ
وهي تواجهُ إنغماسَها بالليل
الليلُ ذاتهُ
ذو اللغةِ المضيئةِ
من فجوات الوجدان: ينفلتُ من الظلام، حيث تميل هندسة الكلام
عن
أشرعتها المتعانقة،
التي تسمّى اصطلاحاً: ضحكات الابجدية
تمسك تلابيب المكان

* انحناءات جديرة بالاشياء قصيدة طويلة . . وهذا هو المقطع الاخير منها.

تمتص أغنياتها
غير آبهةٍ بالطفولة وانقاضها
بل يُعلنُ إدراكها بالرموش، وانتظارها بالتماثيل، وهي:
شواهد الانسان،
خوفي المحتشد،
الشتاء يشعر بعظامي،
أليس حرياً بنا إذن أن نمنح الجنون انتفاضتَهُ؟ وهو رصيفٌ
للنسيان. .
وماذا تعني التفاتاتها / وجهها في المحطة ـ مساءً
يخجلُ من آخر العربات؟

. . . . .

وحدي. .
ينبغي أن أحلم بأهدابي. . تصلُ يديها
هكذا في الهواء الطلق
تقرِّبُ الدمعة من مساماتها
لكي يتنحى النسيانُ جانباً
وأنا أغنّي لوجه البحر. لتكن ثرثراتنا حول النبيذ بدايةً
محايدةً لما نحني [. . . .]

إنها رغباتٌ ترقصُ في صورة أسمائها
إنها دخانٌ يبحثُ
عن انهياره
إنها انحناءاتٌ. .
جديرةٌ. .
بالأشياء.

كانون الثاني / ١٩٩٢
صحراء رفحاء ـ السعودية

تحت ذرائع شتى

صباحاتٌ تحاذر رائحة الفقراء
فتبتعد عن الموسيقى . .
ـ لو أراها ثانيةً؟
غالباً
الهواجس تستيقظ قبل الشمس : [الشمس آلة غامضة لكنها ممكنة]
تغازل الانتظار تحت ذرائع شتى
رغم ان ارتياباتي تفرك عينيها
فتسرّع التوجس وإيقونته الصفراء
تحاور قداسّاً قديماً جداً
ـ لو أراها ثانية؟
ما يُسمى بالفانوس
يُهنِّىء النجوم بنهايتها الحتمية
خلف نافذةٍ يتيمة
يرتكبُ نظراتٍ مُفخَّخةً بالأصابع
يلتفتُ إليَّ . . يلتفتُ إليَّ . .
لو تراها ثانيةً؟

صحراء رفحاء
١٩٩٢

وحدها.. نشير اليها بالشيء الحار

عقيل منقوش

كانت لنا معها صلواتٌ . . وغفلةٌ
نبصرها بهدأة الزائر يهز المحراب . .
مدينةٌ أصدأتَها التوابيتُ والريح . . وحدَها بالخرابِ تنصت الى اقفاص موتانا .
(المدنُ تظلُّ دائماً في مقدمةِ الفاجعة . . شاخصةً
تحرسُ موتاها)
تداعَيْ . . مقفلةً باغترابكِ القديم . . تتراصفينَ شراشفَ ملوثةً بأزمنةٍ
تنبضُ بالأسودِ الاليف بما تبقى من انتظار القطيع
(لم يكن سواداً لبستهُ بل عزاءً ومواكبُ ثأرٍ
لرأسٍ تدحرج)
سريرٌ يوسعُ احتضارَ سريرٍ، وبحةٌ لامعةٌ لمطلقٍ فضي يحترفُ لعقَ العظام
وتدوير الصيحات المحرَّرَةِ خلسةً عن الولوج في عزلةِ السقفِ .
(المدافعُ لها حشراتُها المطلقة . . تحاور بدويها
صلابة الاشياء . . بهندسةٍ أفقيةٍ
يَتساقط الركام)
تداعَيْ . . مكتنزةً بطوافَ الكافور يرشُ ديداناً مدربةً في تقاطيع الوقت،

وأرتعاشات

الرؤوس المنطرحةِ عن التقاط التأمل وفك رموز النهارَ.

(كنا نحاورُ أزهار الكافور بحراستِها المتيقظةِ)

(مراراً. . . بالأصابعِ نقرنا على الطبل)

(إن الحربَ لعبةٌ يبتدعُها الامير)

تداعَيْ. . طائعةً. . جفاف الابواب يُعلن خَريف محاربين باتوا جيفاً تحت
شراسات الشمس وخرائط لعجلات الموت الذهبية. . حينما الحرائقُ
مسافات الكتيبة.

(في الرمال. . لنا محاربون ضاعوا. . نمعنُ بالسكوت
خوف فضيحةٍ طائشةٍ. . بكينا عليها)

تداعي. . قانطةً. . لمساءات نهرٍ صريعٍ يُهرِّبُ أسرارهُ. . مهزوماً يخبِّىءُ موجهُ
عبر شقوقٍ مدَمرةٍ لصارياتٍ غاطسةٍ بالعفونةِ وأحزمةِ
بحارين لهم وجهُ عاشقةٍ قرب مرايا السواحلِ.

(للنهرِ دلالاتٌ غامضةٌ. . ربما للنهرِ كآبات نجهلُها)

(الافضلُ. . . أن نَبتعد عنهُ)

تداعي. . منكسرةً لعيون الأراملِ مطوقةً بالسؤال. . .
يهجرها الطير صباحاً ولم يعد يصفقُ مزهواً على السطح. .
ولا يعطي التفاتةَ ريشهِ للمناراتِ المتبقيةِ
من حكمةِ الامهات. . .
لم يعد للغائب ملح الفراش وفتنة الليل. .

(خراب المدينة يرتسمُ في عيون النسوة)

تداعي. .
تداعي. .
وحدكِ نشيرُ إليك بالشيء الحار. .
ولا نصل.

صحراء / رفحاء / ١٣/ ٣/ ١٩٩٢

خزافون في ذاكرة الافعى

صلاح حيثاني

١

الخزّافون
ابتدأوا بالطين المتشكّلِ
وانتهوا بمسلةٍ غامضةٍ . .
بياضُ الوقتِ، نمو الصلصال، الأشارةُ
حيث الّلحى والقلانسُ أشكالُ فرائسَ
مطاردةٍ فيها . .
. . . المرأةُ اسطوانةً من الجُلنَار
. . ماذا تخبئين؟
تركتُ أبي يومضُ يأخذُ شكلَ السريرِ ومضيتُ
ماذا تخبئين؟
. . . أخبرتهُ وهو يومضُ، انني خواءٌ والسلالةُ خطوطٌ
أخرى تحفر عميقاً في وجههِ .
. . انتبهي يهيّئني لذلك الصوّان الذي ابتدعهُ أبي
في بياض المسلة . .

ـ أدخلُ بفَحولةِ اليَقظينِ وأخرجُ فارغاً ـ
. . أبي . . أبي، أرجعني إلى المغزى.

٢

ها هو الرنينُ
استدرجني بمسلته البيضاءَ
أنظرُ إلى لحاءِ الوَقتِ
وأفكرُ ملياً بالطوبوغرافيا
. . أمتدُّ بعيداً حيث تنهمرُ أهداب السرو
. . السرو الذي تحوّلَ ذيلَ مجرّةٍ
وأرجعني إلى المغزى
. . أفكرُ بالدخان الذي أفرزته مسامات الماء
وأرى ـ شبعاد* ـ في سواد الكمثرى تُضيءُ
. . . امرأةٌ تسيلُ
. . فضاءٌ في هيئةِ تويجٍ مهيّأ للسقوط
. . رموزٌ أكديةٌ مغلّفةٌ بالسليفون
. . غابةٌ تشفُ أقاليمَ المادةِ
. . المادةِ التي بدأ كلكامش يؤسس فتوحاتهِ بها
ويصغي الى الزهرةِ
ـ وهي دغلٌ له امتداداتٌ كثيرةٌ ـ
أو ربّما الغابةُ،
(الغابةُ عادةٌ تمارسها الطبيعةُ على حافة المدن)
. . أبدأُ بفخّارٍ تشعُّ منه اللحى والقلانسُ
وانتهي أوروكياً** جميلاً أغتسلُ

---

* شبعاد: ملكة سومرية.

** اوروكياً: نسبة الى اوروك في ملحمة كلكامش.

في البركةِ التي استدرجتها الأفعى لجنوني
. . أفكّرُ في البياض وأفسّرهُ
هيأ المثالُ لشعبادَ اسطوانةً من الجُلّنار
ـ امتثل الصلصالَ
أوقفها خلفَ عمودينِ وأنبأها
ماذا تخبئين؟
ـ امتزجَ الفخّارُ
أعادت بياضَ المسلّةِ الى المغزى
ـ ماذا تخبئين؟
ـ أرتهُ التويجَ وأخبرته
كان فضاءً أسرته المادةُ أو السليفون
أو ربما الغابةُ . . . ولكلكامش الشيء.
وأيضاً كان أبي يؤسسُ في البياضِ فحولتَه
ويقول . . .
تكمنُ الغنائم بين الشيءِ ونقيضهِ
يكمن الصيّادُ في قرنِ الفريسةِ
والرنينُ عرجونٌ قديم . . .
أبي . . أبي أرني القبوَ لأريكَ الأفعى

٣

الخزّافون
ابتدأوا بالطين المتشكّلِ
وانتهوا
في ذاكرةِ الأفعى.

نيسان ١٩٩٢
صحراء رفحاء

ثلاث قصائد

احلام الموسى

مخاض

ينهضُ النهرُ على
مخاضِ النخلِ
وهو يلدُ ثانيةً
عراقاً.... مدججاً
بالحمام..

عراق

أدخلُ ـ تلمُّساً ـ
خطوط الطولِ والعرضِ
أقود العراق من سلاسلهِ الجبليةِ

ـ وأتأمّلُ ـ

العين ـ تنغلقُ على فعلِ النظر...

الراء ـ رياحُ على هيئةِ أهلّةٍ

لا تنتظرُ أحداً..

الالف ـ نخلةٌ تمتدُّ بأعضائها الناقصة طولياً..

القاف ـ جسد يلتفُّ على نفسه..

بينما الرأس ـ بعينين مفتوحتين ـ

يباغتُ تعبُ السحاربين..

فضاءٌ ضيقٌ

أتوغلُ إلى حيث انتهي

.. أوقظُ هاجس الريح

وهي منهمكةٌ في تدجين نسغ الغرفة

.. التي تبحثُ عن فضاءٍ ضيقٍ

لجدارٍ خامس

صحراء رفحاء

١٩٩٢

الرفراف*

ثامر الدويبي

● أيها الرفراف
إنّ طائراً منفرداً
حطَّمَ ارتسام الجسم
على وسائدِ النهرِ
المزججِ بالزرقةِ
ومضى . .
يُثقلهُ الجفاف .

● لَمْ تشر بوصلةٌ
لحشودِ الرملِ
بَعْدَ إنفصالِ العينِ
عن الجسد .

* الرفراف طائر يتصف بصغر حجمه وجمال ألوانه ، يعيش على اصطياد صغار السمك والجراد، ويقتنص فريسته بهبوط سريع على وجه الماء، فيكسر إرتسام ظله في النهر.

● حين أراحَ الطائرُ
المتعب جناحًيه
للكشفِ عن لذةِ الجلوس
أدرَكَ
أن القصبُ مصاطبُ للجرادْ
. . لا وطنُ
في المقاهي المقفلة
وحدهُ الطينُ ملاذُ
للتشردْ.

● نصفُ القلب. .
ورقٌ لمدادِ الخريطةِ
لا يُشيرُ المتبقّي
للنبض.

● ضَعْ خططاً
أيها الرماديُّ
الأزرقُ
للإقامة. .
فالشقُّ المحكم القفل
يحجبُ سمك الأنثى
عن عينِ السلحفاة

● سيمنحُ النيزك أساريركَ
للماءِ القليل
فقِ،

مكرَ القمرِ المتحايل.

● وقتُ الانتماء
يُمسيّ الرملُ
وطناً
وشيئاً من اليقين

● ستنسى بين الضفتين جنحيك..،
خذ ريشَكَ العتيق،
ومنقارَكَ العاطل..
ان في آخرِ القريةِ
عشاً للجرادِ
لا...
لأحد.

الارطاوية
معسكرات اللاجئين
اوائل ١٩٩٢

قصيدتان

طارق حربي

أمريكا . . . أُغْرُبي عَن وَجهي .

تلكَ غاباتٌ مِنَ الحروف كتابُها يُوقِّعُ نَغْمةً شاردة
أُصغي -
ردَّ ضَوءُ فنارات مَحبوسٌ أينَعَ فيَّ بلاداً
فتحللتُ
تحلَّلتُ هَباءً؟
ماذا أفعلْ؟!
لبيتٍ وزقوارات تُقيمُ للطميّ قُداساً وقرابينَ فحولةْ
ألهذا أستقبلُ الغاباتِ حَرفاً حرفا؟
ألهذا أصرخُ: تلك القبةُ أمي والضريحُ أبي؟!
لستُ الوحيدُ الذي عرفَ قيداً يصدأ فيه وجه كولومبسْ
أو رقبةً تتضوعُ بشذى الحريةْ

إذنْ ـ هو ظلامٌ بين مدٍ وجزرٍ
أولُهُ ينحدرُ من جبلٍ ولا ينحني لالتقاطِ ربابةٍ مقطوعةٍ عن ذكرى شجرهْ
وآخرهُ يمزجُ الصخور بمنيّ شهوةٍ جارحه
والموتى نبض طفولة جَرّتْ خُطامَها في الحقولْ
كان يومٌ اخضرُ ألمحتْ إليه مخيلةُ الغابةِ لمّا لمّتْ أقواسَها وسَهامَها واستقبلت الشمسْ
يتقدمُ نهدٌ ـ يتعثرُ بالجمر ـ كأنَّ سماءَهُ محضُ علامةٍ لسرير باردْ
ماذا أفعلُ يا ثلجُ سوى أن اخرجَ من ذلك بقميص ملطخٍ بالشهداءْ
تقدَّمي
يا يديَ المدفونةَ في ساحلٍ
[رأيتُ شرايينكِ وتعثرتُ بجذورِها]
وتبرعمتُ
تبرعمتُ
كتبتُ اسمي على برديةٍ في الجنوبْ
وحملتُ معي ـ إلى ما وراءَ البحارْ
عراقاً / قرآناً
حملتُ علياً قطراً يهمي
أنا الصحراءُ وأنتَ مُزني
أنا الرصاصةُ وأنتَ تقدحُني
في صيفٍ أهوجَ ـ قربَ الكورنيشْ
انطلق صاروخ من القارات النائية وزلزل الجسر برمشةِ عينْ.
أطبقت السماءُ على الجسر فانقطعَ حبلُهُ السرّيُّ
خرساناتٌ هائلةٌ أضاحيها موظفاتٌ وأطفالٌ وتلاميذُ مدارسَ وجنودٌ منكسرون في حربٍ لم تحدثْ
رقدتُ في القاعِ وأسررتُ للماءِ بذكرى حَلَزوناتٍ وعرائسْ
وقبلَ هذا غفوتَ في بغداد أسمعُ الموسيقى تنبعثُ من بارْ

كانت بنادقُهم يأخذُها عاملُ البارِ إلى مشجب في الجوارْ
ونمتُ مع الجنودِ في ساحةِ النهضةِ وعلاوي الحلهْ
هنالك حلمتُ بأزهارٍ لا تتآكلْ
بل تطلع من النوافذ ولكل ورقة شكلٌ آدميٌّ
فطلعتْ أشلاءً وخوذاً وأسمالاً
خوذةٌ تُصغي: كانت تقول لي لقد تأخرتَ كثيراً
قلتُ لها: انتظرت عناوين ملك ينام مع الأوراق
هرطقةً.
ولكنني كنتُ أحبُو فوقَ حقولِ القمحِ والشعيرِ
أتضورُ جوعاً
ولي دمعتانِ كبيرتانِ أسمُهما دجلةُ والفراتْ
مطرٌ وغبارْ
سكيرونَ طيبونَ ونردٌ في المقاهيْ
بنطالٌ من باريسْ
قميصٌ من لندنْ
حذاءٌ من أسبانيا
أوبئةٌ من طراز لا يموتُ الانسانُ فيها بل يتأملْ
ولذلكَ اخترتُ من العرباتِ نارَها
ومن النارِ أوصابَها
اخترتُ أن أهجسَ:
نصبُ الحريةِ ينملُ في جسدي دَماً فاسداً
وفي جسد العالم قاراتٍ من لحم نتنْ
بحاراً وأشرعةً تتكررُ وفيضاناتٍ يتكسرُ صَداها في موجةٍ
كان عليَّ أن أتلاشى ليسَ كحبوب اللقاح ولكن كعلقةٍ في سديمْ
عندما كانت السماء أجراساً تتدلى ولا تقوى على القولْ
وهكذا دونما قصد

خرجتِ المآذن من مساماتي سيولاً جارفةً من البشر الخاطئينَ،
العاصينْ
قرأتُ في كتاب: إنني لا أسعى لوحدي
ووجدتُ ضدي متقدماً في كتاب آخرْ
قلتُ اقرأني فلمْ يكتبني غصنٌ ولا شاطىء
يومذاكَ ـ
أدركتُ سرعةَ العاطفةِ ـ بُعدَ الأملْ
امرأةُ الحريةِ أوساخٌ وجرائمُ ونفاياتُ نوويةٌ وقاذوراتُ وقيودُ شعوبْ
[امرأةٌ ـ تمثالُ امرأةٍ
في يدٍ ترفعُ خرقةً يسميها الحريةَ ورقٌ تسميهُ التاريخْ
وفي يدٍ تخنقُ طفلةً اسمها الارضْ]*
ماذا أفعلُ يا قلبي المدفونَ يا يديَ الموفونةَ يا ساحلُ
هذه أرضٌ واسعةٌ تلتهبُ وتتسلسلُ في لامكان حين أكون أنا في مكانٍ آخرْ
في جسدي نارٌ تضطرمْ
أنهارُ نارٍ تضطرمُ اسميها فُتوةَ شعبي
ولا أسمّي شيئاً آخرْ.

آذار ١٩٩٢
مخيم اللاجئين العراقيين
رفحاء/ السعودية

مقاطع

١

كل صباحْ
أحملُ النهرين على كتفيّ

* أدونيس ـ قبر من أجل نيويورك

وأمضي إلى الصحراء
وحيداً

٢

الأنهار ـ
ترتعش في كأس
تذكرتُ دجلة والفرات
ورسمت بينهما
بيتيْ .

٣

صباح بغدادي
يتخيلُ طفلاً عراقياً يُبحر في الخرائطْ
«في ذاكرته دساتير موحلةٌ»
لمن هذه الكهوفُ؟!
. . . . . .
. . . . . .
كان تموز يرسل عناوينه بلا هوادةٌ .

٤

تتساقط الأشجار خلف النهر
لا أحد يسمعُ نشيج العصافير تحت الورقة
أو يرى الفيضان يتقدم في الكف
لكن المرايا تظل مجردةً
والوجوه تهرم وراء الأفق

رفحاء ١٩٩١

قصيدتان

عباس الجنوبي

في الحَرب

الرابحونَ غبار الأسف
في غفلةٍ، من رذاذِ الحرب
يرسمون البحر، في زجاجِ الكأس!
،، ويحلمون:
«نسوةً من نثارِ الأسى
تبكي ثيابهُنّ الهمس،
.. في العتمةِ..
حفنة
ليالٍ
صديقة.
،

تغتالُ ثرثرة الصقيع
ما ظلّ من الحانةِ . .
وينقطعُ العزفْ
. . الآسفون
يدخلون الحرب
عند ابتداءِ القصفْ

١٥ - ١٢ - ١٩٩١

مرثية البط

لنندبَ ،
فوقَ الماءِ . .
فراخَ البط . .
ونحملُ نحو العشبِ الجثة .
. .
نوسدها
المسك ،
وبقايا العوسجْ !
، وللماءِ نسرُّ . .
بأنّ فراخ البطّ تراخت
عند مجيء الموت
فظلَ فنارُ الشاطىء أعرجْ .

١٥ - ١٢ - ١٩٩١
الارطاوية
معسكرات اللاجئين .



تخطيط / جعفر حنون طاعون 1992

الاثنين
١٤ تموز ١٩٥٨*

مهدي محمد علي

ظللتُ اتقلب ليلة الاثنين تلك، على «سطح العالي» . . تأتيني اصوات الطبول من ميدان (بستان كِصَب «قصب») في (جسر العبيد) . . مرة خفيفة بعيدة غامضة، وثانية تهبُّ قريبة جلية الصوت مع ريح الصيف، في اواخر الليل . . كل ذلك، وانا افكر باستيقاظي المبكر صباح الغد، فهو الموعد الاسبوعي مع المقرىء الشيخ (عبد الباسط عبد الصمد) الذي يهمّني وأخي كاظم سماعه صباح الاثنين من كل اسبوع .

. . ودارت بي اصوات الطبول المتموِّجة في هواء ذلك الليل التموزي، لافيق على اول مداعبة من أخي الكبير، وهممت اسعى وراءه، متجهاً الى اعماق البيت البعيدة عن «نومة السطح» اللذيذة في هذا الوقت من الصباح .

رحت اهبط الدرج الاول نحو الطابق الاول، ثم دلفت الى الدرج الثاني نحو عمق البيت الغارق في غبش الصباح، وظلال شجرة البيت، متعقباً خطوات اخي الذي مضى كعادته الى (الديوانية)، وفتح الراديو، وضبطه على (محطة بغداد)، وما هي إلا لحظات، حتى تألق صوت «بلبل الاذاعة» الشجي الحبيب، يفتتح يوم الاثنين المميَّز عندي وعند أخي وأمي التي تكون قد سبقتنا الى الطابق الاسفل، بعد ان صلَّت الفجر ـ ربما ـ في السـطح . . أمي التي يفرحها هذا الايمان الذي يغمرنا ـ في نظرها ـ يوماً في الاسبوع،

* الفصل الثامن عشر من كتاب (البصرة . . جنة البستان) المعد للطبع .

ونحن نطلق صوت «القرآن» ملعلعاً في ارجاء البيت، اذا لا يجرؤ احد على التذمر من ذلك، لانه قرآن كريم بصوت جميل! رغم ان أمي لا تخفي انزعاجها من ضجيج المستمعين، لاسيما تعبيرهم عن الاعجاب بجمال التلاوة، بترديدهم: «الله أكبر!»، فتستعيذ من الشيطان، وتستغفر الرحمن، وربما همست قائلة: «الله أكبر على راسكم»! لانها تعتقد ان عبارة «الله اكبر» لا تقال في غير الآذان، إلا عند نزول المصائب، فكيف يطلقها هؤلاء دون مناسبة توجبها؟!

انه يوم الاثنين المميَّز، الذي سيتألق، بعد قليل، بصوت عبد الباسط المشعْشِع: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصدّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾!

أنهيت خطواتي الناعسة بالجلوس في (الديوانية) على احدى (الكَرَويتات) - الارائك - اصغي الى «بلبل الاذاعة» المكرور، الذي يحيِّر «بلبل البيت» وهو في القفص، فيتوقف عن تغريده لحظات، ثم يعاوده بانفعال واضح.

نَحَلَ الصوت، وراح يتلاشى، حتى انقطع مثل كل يوم.. ثم سمعتُ المذيع يقول: «هنا بغداد»!! انه لم يقل، كما اعتدنا منذ شهور: «هنا اذاعة الاتحاد العربي الهاشمي من بغداد» فاندهشت، وناديت اخي، الذي لبّى ندائي مسرعاً، ويبدو انه سمع - رغم بعده عن الراديو - هذا الجديد الذي طرأ.. ولم يطل انتظارنا لسماع البيان «الهام»، فقد انطلق صوتٌ مصفِّحٌ ساطع بحشرجة ملعلعة وواضحة:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. بعد الاتكال على الله، وبمؤازرة المخلصين من ابناء هذا الـ...»

ظل اخي يتابع البيان باتزان ازعجني بعض الشيء، لاسيما وهو يُسكتُ ضجة فرحي، كي يتابع الصوت المتحمس، حين صحت: «ثورة.. ثورة!».

تناولنا افطاراً سريعاً اكراماً للأم، ثم خرجنا نخترق دروب المحلة، كي نصل الى الشارع الرئيسي الذي يربط بصرتنا القديمة بالعشار،.. صادفنا بائعة الباقلاء (أم خْضَيِّر) تتساءل مندهشة: «شِنو هاي يُمَّة؟!.. شنو كِتْلَوا الملك؟!.. هذا غريب الجِنس!!».

كانت الجموع قد خرجت من بيوتها خروجاً لا يشبه خروجها للكَسْلَة في (نوروز)، أو للاعياد، أو للمواكب الحسينية.. امتلأت الازقة والشوارع والساحات بالناس والاصوات، وهي تتفجَّر بهتافات متشنجة ضد الملكية والاستعمار، على نحو جنوني صاعق وغير مصدِّق، الى درجة ان البعض ممن كان يهتف ضد الملكية، كان لا يغير من ألقاب الملك شيئاً إلا باضافة كلمة «يسقط»!

كان فرحاً جنونياً.. وحقيقياً!

هؤلاء يهتفون، وأولئك يرقصون.. وثمة آخرون وَجلون وسط المعمعة.. والبعض

ألقى بنفسه في النهر، وآخرون تسلقوا الاشجار أو أعمدة الكهرباء، وأسيجة السطوح، ومنهم من وقفوا على تخوت المقاهي أو السيارات الواقفة، ودون تفريق بين حافلة كبيرة أو سيارة (سِتْروين) كالضفدعة.

اكثر الناس كان لا يدري ماذا يفعل، والفرحة كانت اكبر من حجم النفوس التي لم يكن لها حجم.. بل هي احست باتساع الاطار من حولها فجأة، فلم يدفعها ذلك، في تلك اللحظة، الى الانتفاخ كي تتفجر، قدر ما ركز حزنها الى حد اتقاد النار بين الاحشاء، والتهاب الحناجر التي لم تصدِّق صداها بالسقط والبعيش بذلك القدر من الحرية غير المنتظرة، والمنتظرة في الوقت نفسه.. الحرية التي خلطت مكونات تلك النفوس المتوجعة: البكاء بالصياح، بالغضب، بالضحك الهستيري، بالهتاف الشديد، بالفرح الاهوج، بالحزن الراقص، بالحنين الغريب الى شيء غريب، بالالفة الوحشية، بالزعيق، بالنواح.. بكل شيء. الشمس التموزية الحارقة، هي ذاتها كانت نسمة عليلة باردة!! الحفاة الساعون بجنونهم الى لحظة الثورة، مثل من هم في كامل «قيافتهم» يسعون الى مبنى «المتصرفية» رمز الملكية، وهو في الوقت ذاته محط انظار القليل من الناس باعتباره سيكون لهؤلاء الناس.. فهو لم يعد في حوزة الوصي والملك ونوري السعيد والمستعمرين.. غير ان اكثر الناس كانوا لا يجرؤون، بل هم غير قادرين على تصور خروج هذه الاشياء من ايدي الملكية والاستعمار. كان تفكيرهم لا يتعدى امتلاكهم لحق البكاء والصياح والغضب والضحك الهستيري.. الهتاف الشديد والفرح الاهوج، والحزن الراقص والحنين الى شيء غريب.. الالفة الموحشة، والوحشة الاليفة، الزعيق والنواح!!

كان اول موقع مهم صادفنا، قبل وصولنا الى العشار البعيد، هو مبنى المحكمة الكبرى.. تطلعنا اليه، فلم يبدُ عليه ايما تغيير أو مفاجأة.. بل كان ساكناً الى درجة الشعور بالعطف عليه، ينتصب على مدخله شعار العراق الملكي.

ولقد التفتُّ الى المبنى الواقع يمين المحكمة، أي (مديرية تسوية حقوق الاراضي).. كان هو الآخر ساكناً بريئاً، وربما كان خائفاً.. وتذكرت صديقي في المدرسة، ابن (مدير التسوية) وتساءلت هل سيكون ابن هذا المدير عرضة لعصف الثورة.. قلت لنفسي «ولكن خطيّة.. انه طيب ومجتهد»، غير ان احداث ذلك اليوم لم تترك لاحد ان يستغرق التأمل في أية فكرة على الاطلاق.. أية فكرة مهما تكن!

من الصباح الباكر، حتى انتصاف النهار.. كانت الناس تتفنَّن في تفجير فرحها وتفجير نفسها.. ناس يركضون ولا يدرون لماذا ولا الى اين.. اناس يرقصون دون قلق، فيما آخرون ينظرون الى سارية علم لم ينتبه اليها احد.. آخرون يقفون بهدوء يتبادلون حديثاً لا يكاد يُسمَع، عبر كل تلك الضجة التي تأتينا من السماء ومن الهواء.

من الصباح، حتى انتصاف النهار. . حتى تعب الناس وصاروا يعودون الى البيوت، لا يفكرون بالباصات، ولا بأية واسطة للنقل، فالمسافات لم يعد لها وجود في هذا اليوم الذي اختصر أربعين سنة في لحظة!

الكل متعب ويريد الوصول الى البيت كي يرتاح. . يأكل ويشرب ويستعيد هذا الحلم، الذي ربما سيكون بالفعل حلماً، عليك ان تفيق منه، فأين يمكن ان تفيق: في مديرية الأمن؟! أم في دائرة الاستخبارات؟! أم ان نوري السعيد والوصي والملك وكل المستعمرين قد راحوا بضربة واحدة قاصمة؟!

. . في طريق العودة، انظر الى مبنى المحكمة فأرى ان شعار الدولة الملكية قد حُطِّم بفأس، لانه منحوت بالنورة على مدخل المبنى.

في محلتنا (يحيى زكريا) كان صديقنا الحبيب، راوية الافلام الامثل (وصي) ينقذف مرعوباً، راكضاً بسرعة هائلة، رغم جسده الضخم، مستنجداً بكل من يصادفه، لان جموعاً من الصبيان والناس الهائجين كانوا يلاحقونه في الازقة، بسبب اسمه، وهم يتعقّبون فيه شخص (الوصي عبد الاله)!!

. . أعود الى (بيت المدرسة) محملاً بأفراح شتى، عدا فرحي الخاص الذي ظل منقوصاً. فقد تذكرت، وبشكل ملحّ، صورة حبيبة الطفولة التي لم أرها منذ سنين، ولقد كنت طوال ذلك اليوم الحاشد والمتنوع الاحداث والصور. . كنت طواله انتظر وأتلهّف واتمنى رؤيتها، ولكنني لم احظ بشيء من ذلك. . ترى أين مضت؟! أين اختفت؟! أيُعقل أن كل الناس خرجوا عن بكرة أبيهم إلا هي؟!!

عرض مسرحي عراقي في لندن

عودة الى كلكامش بطقس المسرح الشعري

فاطمة المحسن

الاسباب التي حدت بالمخرجة (روناك شوقي) الى العودة لكلكامش الملحمة، كانت رهناً بالحرب الاخيرة. وعلى شيء من العزيمة، بدأت تمرينات هي في واقعها معاركة يطيب لروناك ان تخوضها على المسرح بين آونة واخرى.

اثبات ذات وطنية ـ أو «العودة الى اصول افكارنا وممارساتنا» كما تقول المخرجة في البروشور، هو المقصد من جهد استغرق شهه، أ وبمقومات مسرح هو اقرب الى ما يسمى بالمسرح الفقير.

ان قواعد لعبة المسرح الفقير تربي جمهوراً يعرف كيف يستخدم مخيلة متحركة، تخطو مع خطو الممثل، وتستعيض بالفعل المجرد عن سحر المنظر وابهته. وهكذا بدأت روناك كمخرجة وممثلة مع فلاح هاشم الممثل والمخرج الاذاعي، ليتبادلا الادوار المنوعة لشخصيات الملحمة.

انها لمغامرة دون شك، جازف هذا الثنائي بتقديمها الى الجمهور العربي والعراقي في لندن، وعلى قاعة جرداء موحشة نجحوا بعد لأي في العثور عليها. في كل عمل قدمته (روناك) كانت تبغي تحقيق فكرة الخروج عن التقليد الاكاديمي للعرض، وعلى مبدأ مكره أخاك لا بطل، تلتقي تلك الضرورة الناجمة عن قلة الامكانيات، مع رغبة في الطقس الشعري للمسرح الذي يختلط فيه الرقص بالايماء بالشعر بالتعاويذ. ولان اسلوباً مثل هذا

يحتاج الى اجساد ممثلين راقصة، فهي في الغالب، تجانس بين الامكانية التي يملكها جسدها وبين امكانية الممثلين الآخرين، بادخال طقوس منوعة الى هذا النوع من المسرح.

ملحمة كلكامش التي يهوى العراقيون العودة اليها باستمرار، شعراً وتشكيلاً ومسرحاً، استخدمت، في الغالب، كوسيلة لاستعادة ذات ضائعة في تاريخهم. على هذا يصعب ان نقول انها خضعت في الفن الى ما يمكن ان نسميه معرفة خارج الاعتبار العاطفي أو الوجداني، ذلك الاعتبار الذي يسقط الماضي على الحاضر، ويقيم ما يشبه التناظر المبسط بينهما. ولقد حاولت (روناك)، كما ورد في مقدمة كلمتها ان لا تنغمر في مقصد مثل هذا، بيد انها، في الاعتبار الاخير، كانت لا تنحي هدفاً تعليمياً، ارادت من خلاله ان توصل الى الجمهور العراقي في الغربة ما انقطع عنه من تاريخ وما شطت به الايام عن ارض ووطن.

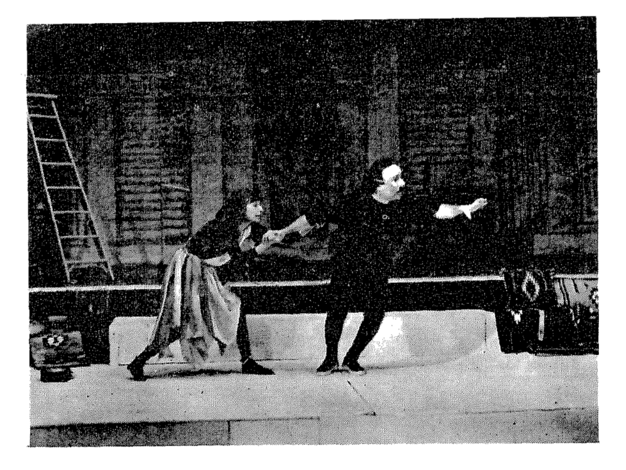
وفي تاريخ المسرح العالمي منذ هوميروس، كانت تعاد الملاحم والاساطير وفق ما وضعته ملحمة كلكامش من اساس اولي للدراما. دراما الفعل الانساني في صراعه مع الطبيعة، ومع الالهة، وبين البشر انفسهم.

هذه التضاريس الجليلة لتلك الملحمة جعلت لها هيبة لا تسمح باللعب على مفرداتها. ولان المسرح التجريبي ارض حرة، يتنقل عليها اناسه وفقما يشاؤون، فان تجاربه تمتد الى ما لا يصلها بسهولة مسرح تقليدي. من خلال هذا الهامش تحركت المخرجة ومعها ممثل وحيد، واستخدمت الاقنعة والملابس والاكسسوارات القليلة، لكي يؤديا كل الشخصيات: كلكامش وانكيدو والغانية وعشتار وام كلكامش والحكيمة وغيرها في شخصيات الملحمة، ان انجاز ذلك وبنجاح ملحوظ يُعدُّ اضافة الى اعمال (روناك) الجيدة.

اختارت المخرجة الجزء الاول من الملحمة، أي الفترة التي يبدأ فيها كلكامش، وهو في اكتمال قوته، بالتململ والاحساس بعبث الحياة وهشاشتها. ويتوج هذه المرحلة ظهور انكيدو ومقتله التراجيدي من قبل الالهة، في حين تركت الجزء الثاني الذي يذهب فيه كلكامش في رحلة البحث عن عشبة الخلود حيث يدخل مملكة اليأس المطلق.

وأياً كانت الاسباب التي دعت المخرجة لاختيار الجزء الاول من الملحمة، فقد حرمت نفسها من مادة ثرة للحوار والفعل المسرحي تبدأ بالجزء الثاني، حيث يصارع كلكامش مصيره ليقف على ما يدفعه الى تأمل اكثر عمقاً بحكمة الحياة وعبثها ولا جدواها، وهي عملياً بداية مرحلة التفكير المركب لدى الانسان العاقل أو مرحلة بداية تفلسفه.

روناك شوقي في مراحل التدريب، كما في بقية اعمالها، قد اتبعت ما يشبه التقليد



في المسرح العراقي، وهو يعود باصوله الى مدرسة ستانسلافسكي التي تأثرت بها مجموعة كبيرة من مخرجي المسرح العراقي، هذا التقليد يبدأ بدراسة روح الدور، وعقد ألفة بين الممثل والشخصية التي ينبغي ان يكونها على المسرح، والالفة تُنسج وتتدرج، حسب ستانسلافسكي من التقنية النفسية الشعورية الواعية للفنان الى الابداع اللاشعوري.
وروناك تقارب هذا الامر بميل ملحوظ الى ان تؤخذ ممهداته باعتبار التشكيل الحركي، الذي يتضمن حركة الممثل وادوات المسرح الاولية، واللغة الشعرية، واذا لم تجد في النص ما يسعفها من شعر ادخلت عليه نصوصاً من الخارج. والطبيعة الشعرية لاعمال روناك شوقي كانت ذات تأثيرين لصالح اعمالها وضدها. فالاستغراق في مسرح من نوع كهذا، قد منعها من محاولة ان تقدم اعمالاً درامية متماسكة ذات بنية مسرحية متكاملة، وبقيت محكومة باطار الشغل على لوحات مترابطة يمكن ان تتفتت عند فقدان عنصر أو عنصرين من مقومات العمل. على ان هذا النوع من المسرح قد اعطاها حرية التجريب والاقتصاد بعدد الممثلين وبعدّة المسرح.

يمكننا تقسيم عملها الاخير الى مقاطع أو لوحات تبدأ بفكرة الخلق واكتشاف الحياة، وهي هنا تستخدم الصمت والرقص الخفيف المتبادل بين الشخصيتين. فرح الاكتشاف ترافقه نقرة الدفوف الاولى. المرأة والرجل يقتسمان المسرح ويدخلان معاً بوابة التاريخ، كراويتين وكممثلين لشخصياته. والتاريخ يبدأ باوروك وملكها، وهنا يتبعثر الفعل المرتب الاول بحركة ضاجة ليقدم الممثلان بافتخار كلكامش ومدينته. بعد هذه اللوحة ينشطر الدوران الى مجموعة ادوار صغيرة تظهر بطش كلكامش وقسوته، لحين ما يطالب

الناس الالهة بصنع خصم له. ويعطي للمرأة في هذا الجزء فسحة اكبر لتقدم ذاتها باعتبارها مانحة الحياة، وهنا تؤدي روناك رقصة هي اقرب الى البانتوميم الحديث مع طقوس التعازيم الافريقية في هذا الجزء يصبح الطرف الآخر، الرجل مجرد شاهد هامشي يكمل اطار اللوحة، لحين ما يدخل في مشهد آخر يستقر له فيه زمام الامر على هيئة كلكامش. وهنا كانت روناك منتبهة الى امر مهم، وهو كيف تشكم ما يحمل الدور من خطابية عالية، فهي ارادت ان تشتغل على بطل دون بطولة، أو بطولته تتبدى في تفتيت افعاله وحيرتها لا في اكتمالها، ان كلكامش هنا سيهمش ويتضاءل لو اخذ بحجم زعيم من زمننا المنكود هذا، حينها ستصبح مزحة كاريكاتورية! . ومع ان ممثلها كان محتجباً وراء الميكرفون فترة طويلة، وجسده منقطع عن المسرح، غير انه استطاع في هذا العمل ان يكون معادلاً مناسباً لاندفاعة روناك التي تجنح، في احيان، الى الافراط في استخدام الحركة، مع انها تملك من مقومات الفعل المسرحي الآخر، من صوت واداء ساكن أو بالايماء ما تملكه من مرونة وقدرة على التحرك.

ظهور انكيدو كشخصية ثالثة مؤثرة حُلت اخراجياً عن طريق استخدام القناع، وهو مَخرج مناسب استطاعت عبره روناك ان تستثمر طاقة الممثل على اداء دورين في آن واحد، اضافة الى اعطاء شخصية كلكامش وفق الملحمة، بعدها الآخر، فانكيدو لم يكن في كل الاحوال خارج سياق كلكامش، بل هو وجهه الآخر ونظيره، لا في القوة فقط، بل في قلق التساؤل عن جدوى الحياة وقيمتها، وبموته يقترب كلكامش من حقيقته الانسانية باكتشافه قيمة الحب والصداقة، وحتمية الموت كمصير.

ان بناء هذه المسرحية يعتمد على التأويل أو مجازات النص، اكثر من اعتماده على حوادث النصّ الاصلي. ومع ان المخرجة لم تكن تملك ادوات مشهدها بأكمله، بمعنى ان ليس لديها رغبة لتكوين سنوغرافيا بصرية جاذبة، فقد استعاضت عنها ببضع لوحات تشكل ما يشبه بؤر الجذب البصري، بينها لقاء كلكامش بأمه، على مرحلتين، وُظف طقسان محليان فيهما، الاول التبصير أو فتح الفال والثاني رقصة الدراويش. ادت فيهما روناك دورين جميلين استكملتهما بدور عشتار، الهة الحب والانتقام.

لقد كان للمرأة في هذه المسرحية حضور فاعل، وهو امر طبيعي، فالمخرجة امرأة وممثلة متميزة، اضافة الى نيتها في ان تكسر اندفاعة كلكامش البطولية. ولكن فلاح هاشم في دوريه كلكامش وانكيدو كان قد قدم عرضاً ناجحاً ادى في خاتمته دور الرجل المفجوع بمقتل حبيبه وخله دون ان يغرق في ميلودرامية يمكن تخيلها بسهولة على المسرح العراقي. وفي صوته تكمن طاقات كثيرة ساعدت على ابرازها الاقنعة رغم ان تلك الاقنعة، على اهمية استخدامها، قد بدت على شيء من الجمود وضعف التعبير، فلا هي اسطورية

ولا هي معـاصـرة. في هذه المسرحية شارك الفنان التشكيلي فيصل لعيبي في تصميم الديكور والملابس والمكياج، وتابع العمل طوال فترة التدريب، وهي تجربة مهمة تتبدى من خلالها قيمة التواصل بين الفنانين، واهمية تطارح الآراء في الحقول المختلفة، وقد رسم خلفية جميلة للمسرح تجمع الى شكل الجدار السومري والكتابة المسمارية، اعمدة اغريقية يتوسطها قوس يذكرنا بمحراب الجامع يعلوه هلال ونجمة عربية، ولكن التفاوت بدا واضحاً بين مكونات ذلك الجدار، وبين مكونات المسرح في الداخل، حيث نشاهد بضع مناضد وكراسي وسلماً وافرشة عربية. فبدا ذلك الجدار بعيداً ومعزولاً.

في كل الاحوال يحتاج هذا العمل الى ان يعرض على قاعة مسرح اخرى وبموسيقى واضاءة مناسبة لكي يظهر جهداً متميزاً ليس من السهولة ان يظهر بمقومات ادوات عرض مغرقة في بساطتها وشحتها.

تصحيح واضاءة

صلاح جياد

اطلعت على المادة الموسومة بـ (ندوة عن الفن والثقافة عموماً والسياسة) المنشورة في العـدد ٢٤٢/ الثقـافـة الجديدة، وبودي ان اسجل هنا تثميناً لهذه المبادرة الحاملة لضرورتها في دراسة ومتابعة الفنون التشكيلية والثقافة بشكل عام، على طريق ايجاد السبل والوسائل الكفيلة بالكشف عن تطور الفن العراقي في حقبته الاخيرة، وبالتحديد الشق المتعلق بفن المنفى. ان توسيع هذه المبادرات والبحث عن الاشكال المناسبة لتطويرها وتعميق مساهمة مصادرها المختلفة كفيل باغناء النتائج التي نحن بأمس الحاجة لها في موقعة نتاجاتنا من حيث اهميتها الفنية ـ التقنية والفكرية وتلمس القواسم المشتركة والفن العراقي بشكل عام.

لقـد احـالـت شروط المنفى الوحدة في قسمات الفن العراقي الى عناصر متباينة ومختلفـة في اشكـال الخبـرة ومضـامينهـا واهـدافهـا، وان أي من الاجراءات التدقيقية لمـوضوعة التواصل والتكامل لا بد ان يحيد عن الموضوعية اذا لم يقترن بدراسة سنين التجوال والترحال والتأقلم ومؤثرات البلد المضيّف.

ان البنى الجديدة لفنان المنفى قد امست عناصر مختلفة ومتباينة تتزاوج بقسرية في وحـدة تحمـل ملامح ومعطيات جديدة، مكونات حري بنا دراستها وفق معايير ومقاييس ظروف المنفى ذاته وتجلياتها في التكوين النفسي الاجتماعي، والفني الثقافي بشكل عام

للفنان المنفي كوحدة اجتماعية قابلة للمؤثرات والتغيير. ان الكم المتنوع النازح يستحيل الى ملامح ظاهرة تتبلور خصائصها بمرور الزمن، وما «التواصل» هذه المفردة شائكة الدلالات إلا حالة من التداعي، هاجس فعله العابر مرتبط بفعل الاستثارة. ولنا من الامثلة ما يكفينا ويزيد. ان هذا الرأي لا يهدف قطعاً تثبيت تعميمية جائرة بقدر ما يحاول تشخيص بعض ملامح ظاهرة تنأى ببطء عن ضرورة التضايف والتزامن مع الفن العراقي والثقافة عموماً.

أما فيما يتعلق بموضوع الندوة والقضايا التي أثيرت فيها في المواضيع المتعددة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والفنية فلي في مجموعها بعض الملاحظات:

١ ـ ان فكرة مشروع الندوة بحد ذاته يعبر عن علاقة صحية، والمساهمة فيها تعني بالضرورة حضور عناصر اساسية، منها فاعلية المساهم في الاعداد والتهيئة والتداخل وفي اساليب المحاججة بالدفاع عن قناعة الافكار والمعتقدات، وهذه المجموعة من الضوابط لا تستوفي شروط فعلها ما لم يتم اسنادها الى حيز مهم وأساسي، ألا وهو الزمن الكافي لتلقيح هذه العناصر مع بعضها بغية الخروج بنتائج تفي الموضوع حقه. وهذا الشق بالذات أثار لديّ تساؤلاً مشروعاً. اقول ما جدوى ترتيبي في قائمة المساهمين وانا لم اكن قد استنفدت بعد، الوقت الكافي لمراسيم شرب قدح الشاي. وسط حديث متشعب اتسم بالعمومية وعدم المركزة.

٢ ـ في سياق تلك العمومية طرحت بعض من افكار وتعقيبات وأمثلة متناثرة في اكثر من حيّز، وملامسة للعديد من المواضيع جاء ترتيبها بعد نشرها مرتبكاً ومتداخلاً يثير بعض الالتباس في المنطق الداخلي لتطور الافكار والمفاهيم. ان الترابط الخلقي التاريخي في سلسلة موضوعات المعرفة لا يلغي خصوصيات كل خلقة داخل حقبتها الزمنية. الامر الذي يفرض علينا التدقيق في هذه الخصوصيات، سماتها، مؤثراتها، تأثيرها اللاحق، قدرتها على التعبير عن سمات مرحلتها، حساب اضافاتها النوعية، تمثلها والاستشهاد بها كأمثلة للمقارنة.

٣ ـ وردت بعض ا المسميات بصيغ طائفة وعامة وابتعدت، وبشيء من الغموض، عن دلالات معانيها. لذا وجدت من الاهمية في مكان ايضاح ما انتابه الغموض والالتباس، والتدقيق بايجاز في الترصيف التاريخي وتتابع الافكار والمفاهيم، وسيرورتها، تبعاً لتغير العصر، وما يعنيني بصورة خاصة الشق المتعلق بالجوانب التشكيلية والمقارنات الواردة في مداخلات القسم الاول من الندوة.

أ ـ في سياق الحديث تم التطرق، وبشكل عابر للنصب الذي اقامه نابليون بونابرت والمقصود هنا نصب الفاندوم (مسلة الفاندوم). ولغرض معاينته عن قرب واستخلاص

الافكار المشتركة و(نصب النصر) بغداد، لا بد من التطرق بايجاز للمكونات السياسية. الاجتماعية والثقافية للحقبة البونابرتية ومقارنتها بالعوامل والظروف التي افضت الى امتهان فظ للثقافة والفن في خدمة اغراض في التوجه السياسي الاعلامي في العراق. ومثلما انخرط العديد من الفنانين في اصول اللعبة التبريرية عن قصد واضح، فان اعداداً اخرى تعيش حالة من الاغتراب في نتاجاتها من ناحية الموضوع والافكار والالتزامات المفروضة عليه، ولا تجد ما يعبر عن مصداقيتها، إلا في حدود المعالجات الاسلوبية والتقنية الضيقة والذاتية.

لقد رسم الاتجاه المعاكس بعضاً من ملامح مرحلة ما بعد الثورة الفرنسية، وخطى بأقلمة القديم بأنظمته واعرافه ومبادىء وشعارات الثورة التي اصبحت يافطات تستتر وراءها ملامح سلطة فردية تبلورت ركائزها لاحقاً باعادة السلطة الاقتصادية والسياسية للشرائح الاجتماعية التي آزرت نظام الملكية المطلقة من نبلاء وارستقراطية مدينية وشرائح من البرجوازية. وبخطى حثيثة تم احياء الدور الكنيسي الذي راح يعيد موقعه ودوره في المجالات المختلفة. وما ان وطدت السلطة المطلقة موقعها، حتى اخذت اتجاهات التراجع تظهر على مسرح الاحداث، معززة تمركزها في القطاعات الحيوية. ومن الطبيعي ان يلاقي هذا التوجه قبولاً، طالما يعبر عن نفسه كاحدى نقاط الاسناد والتعاضد للامبراطورية، وشكل نظامها المطلق، فكان نابليون يستمع باصغاء لا نظير له لقراءة في كتاب (عبقرية المسيحية) لـ (شاتوبريون). ودورها في المجالات المختلفة على امتداد التاريخ الكاثوليكي.

ان اهتمام الامبراطورية بالثقافة والفنون يسجل اعترافاً بدورها الفاعل في البنية العامة للمجتمع. لقد اصبحت المواضيع الاحتفالية والشعارية سمات تعبر عن الفن الرسمي السائد والذي لخصه بأمانة تامة عميدا المدرسة الجديدة (دافيد وكرو) اذ حظى الاول باهتمام كبير من لدن الامبراطورية، واصبح وجوده علامة مميزة للفن الرسمي، بموهبته الفنية العالية، وطرحه لمعطيات جديدة في مفاهيم الفن وتقنياته كذلك بانتهازيته السياسية البارعة.

ان صرامة مقاييسه الفنية، والاعتبارات المختلفة للموضوع، والطرائق التقنية للعمل التشكيلي كذلك سلطة المركز السياسي، أمنّت له وبدون منازع لقب (نابليون التصوير).

ان منحى السلطة في نمطها المطلق يقود الى قضم وهضم حقوق ومكتسبات العامة لصالح الطبقات والفئات الاجتماعية المستفيدة، والتي تدفع باتجاه موقعة نفسها وتأمين مصالحها، من خلال سعيها الى تعضيد مطامح الامبراطور والى ما وراء الحدود بدعوة الاخطار الداهمة، وخلق مجتمع حرب من خلال اشاعة العسكرة وروح الغزو والسيطرة.

ان هذا التوجه قاد الى اشعال فتيل الحرب. فكانت معركة (استرليتز) ١٨٠٥ أو معركة الاباطرة الثلاثة (تعبيراً عن اباطرة فرنسا وروسيا والنمسا).

لقد جمع نابليون (١٢٠٠) مدفعاً من مخلفات الجيوش الروسية والنمساوية في المعركة، ومن منطلق التوسع والسيطرة أمر بصهر هذه المدافع باعتبارها وسائل عسكرية تعبر عن مفهوم دفاعي لشرف الامة أو الشعب في عامود بارتفاع ٤٣,٥ متراً وعلى شاكلة الاعمدة الرومانية، مزين بأفاريز راوية يعتليها تمثال الامبراطور في هيئة قيصر نفذه النحات (شوديه) احد اعمدة المدرسة الكلاسيكية الجديدة في الفن (هناك رأي يقول ان التمثال نفذ بارشادات نابليون) وتم وضع المسلة كاملة في المكان الذي كان يتربع عليه تمثال لويس الرابع عشر (ساحة الفاندوم).

ان هذا الايجاز في بلورة الفكرة يقودنا للبحث في عناصر النظائر التاريخية، في جوهر الافكار والاهداف... هناك بعض من سمات تماثلية مبنية على اسس المفاهيم الشوفينية بمعناها المعاصر، احتقار فظ للامم والشعوب. تعبير عن رغبة بسط السيطرة، تمجيد لارادة القوة بالمفهوم الفلسفي (لنيتشه) حب للذات واشاعة القسوة، موقعة مبدأ القوة فوق أي من الاعتبارات القيمية الاخرى، نزوع للانا المطلق، وتصور قدرات خارقة لا تستوي وسلم الاسوياء.

ومثلما تترابط عناصر نصب الفاندوم في سياق المعنى العام، ووفق تتابع ملحمي متدرج، تتخذ مفردات نصب (قوس النصر) بغداد الوحدة الرمزية كمفتاح لتجسيد الفكرة العامة، وترتقي كل حلقة من مفردات التكوين في حركة هرمية متناظرة، لتصل الى حد الاختزال في قيمتها، مترشحة في جوهر الموضوع (دلالته الرمزية) بخشوع توّتمي يلغي أي تسلسل عقلي لدور العناصر الفنية في مكونات النصب، وما دور الوحدات الفنية بقوانينها، إلا وسيط طيّع بين المشاهد وخلاصة الفكرة باهدافها العامة واغراضها المتعددة. وبينما يتميز نصب الفاندوم بمعمارية رياضية لا تلغي حضور العناصر الستاتيكية، بل تجعلها وحدة أساسية في بنية الموضوع، يلغي نصب (قوس النصر) الاعتبارات الجمالية، دع عنك الشروط المعمارية وعلاقتها بالمحيط.

ب ـ مع تداخل الحديث وتفرعه جرت الاشارة لمدرسة (الباوهاوس) في سياق التطرق (للفن الشعبي) الدعائي، وما تم ايجازه حد الاقتضاب، حسبما جاءت الصياغة، يقع ضمن حيز الملاحظات التي ذكرتها، ولغرض استدراك ما قد يحيد عن فجاجة الموضوع، أرى من الضروري توضيح المساند الاساسية لهذه المدرسة، كما هو شأن كافة المدارس الفنية على امتداد تاريخ الفن، عبرت حركة الباوهاوس عن ناقوس وضرورات عصرها ذي التطور المتسارع والمتشابك، ولم تكن البحوث المتعددة وتراكمات الخبر

للعديد من الفنانين الرواد (كلي . كاندينسكي فرانك مارك) في الميادين الفكرية لعملية الخلق الفني الجديد إلا تعبيراً عن الومضات الاولى لعالم يستحيل فيه المرئي الى شيء ثانوي في الموضوع تتستر به منظومة من العمليات، تتناقض عناصرها وتتحد. عالم متحرك لا يرتكز للسكون في وحدة متماسكة لا تعبر عنه المدركات المرئية والمحسوسة بقدر ما تمثله الرموز واسرارها. ما هي الكيفية التي يمكن ان تعلو بها منظومة الانشطة الانسانية لعملياتها الداخلية المختلفة الى حالة من الصفاء الخالص لشاعرية التجريد في الموسيقى. لقد عبرت اوراق كاندينسكي (الفكر في الفن) ومجمل بحوثه اللاحقة في حقل الاشكال المجردة وعلاقاتها الرياضية والهندسية عن الارق الدائم، وعن تلك الهواجس في اكتشاف اضافات جديدة في الفن شأنها شأن بحوث (كلي) في التاريخ التشكيلي لطرفي المعادلة، مادية الاشكال المرئية ـ الذات المتأملة الفاحصة الخالقة لرموز الصفات الداخلية للاشياء.

لقد قادت تجاربهما وبحوثهما النظرية الى القناعة الراسخة بشأن وحدة الجذر لفروع الانشطة الانسانية، وتأثير بعضها ببعض في سلم عملية الخلق. ومثلما وجدت افكار البروفيسور (والتر كريبيوس) وبحوث كل من (شلوتير). (مولي ناكي). (كلي). (كاندنسكي) تماثلاً في التصور والمفاهيم فان الضرورة حتمت ولادة حركة جديدة بمقدورها التعبير عن علاقة التفاعل بين لاعقلانية الفن والاشياء المحفزة اليومية، البحث عن الطرائق المختلفة للخلق الجديد، في الشكل الفني، فن يتأثر بدوره الوظيفي. له القدرة على ان يحيل حالة الفوضى والاضطراب في حياة الناس الى علاقة تذوق جمالي مع الاشياء اليومية.

انها دعوة صريحة بضرورة انتشار الذوق الفني بين الناس، وتفحص محطات الراحة والتأمل التي احالتها كثافة الانتاج تحت ضغط الارباح الى علاقة وظيفية عادية، محاولة لتثبيت قيم جديدة في الفن، ذات منحى انساني، واحالت الغريزة النفعية المادية والعقل المتصلب لرجل الاعمال الى فضاءات الانسنة، وايجاد المشترك بين الهموم التشكيلية ومبتكرات التكنولوجيا في مجالات الهندسة المعمارية، والديكور الداخلي للوحدات السكنية، والحاجيات الوظيفية في حياة الناس، اضف الى ذلك البحوث الطباعية والتصاميم المتواضعة الاسعار، بغية كسر حلقة الاحتكار الفني من قبل الفئات الاجتماعية الميسورة، ومضاربات صالونات العرض الضيقة.

ومن (فالمار) مرحلة التأسيس الى (دوسو) خاضت مؤسسة البارهاوس صراعاً من اجل تثبيت القيم والمفاهيم الجديدة وتعميم التذوق الفني. فمنذ سنة ١٩١٩ وحتى انتقال المعهد الى (دوسو) لم تكف قائمة الاحتجاجات ضد الخط الذي رسمته لها هذه

المدرسة، وتأثير افكارها في الذوق العام. وفي الاعوام الاخيرة من وجودها انسحب العديد من كوادرهـا التعليمية، ممـا ساهم بشكـل واضـح في تدني فاعليتها الانتاجية والفنية. وباستلام هتلر مقاليد السلطة، بعد هيمنته على البرلمان، حوصرت هذه المدرسة حتى الغاءها سنة ١٩٣٣.

ومثلما تتصل المدارس الفنية ببعضها في سلسلة التطور الفني على امتداد تاريخ الفن العام، نجد ان اشكال الاستعارة تتجدد وسمات المرحلة الخاصة بها بخط صاعد. والحديث عن المشتركات بين حركة البوب وبين البارهاوس لا تتمثل إلا في القضايا التي تخص الاعـلان (مشغل فن الاعلان) في النواحي التقنية والتركيبية. في حين اننا نجد وشـائج العلاقة التشكيلية اكثر وضوحاً بين مدرسة (البوب ارت) وبين بحوث وطروحات الحركة (الدادائية)، وبشكل اكثر تجسيداً عن الافكار التي طرحها (مارسيل دوشامبا) في موضوع الاشياء الجاهزة والمهملة في الحياة اليومية. ان درجة تركيز البشاعة في الاشكال يثير من عوامل الاستفزاز ويحفز الاشارة للتذوق الفني. وما الحاجيات التافهة التي تألفها العين المجردة يومياً، إلا تجليات فنية بعد ان مستها اصابع الفنان الذهبية، ترتقي بها من حالتها الدونية الساكنة الى عناصر متحركة ومتفاعلة في نفس المشاهد. كمغنية كافكا التي ترفع المستمع الى عوالم نائية من المتعة والخيال، دون ان تغني. دون ان تتحرك. دون ان تعمل شيئاً يذكر. ما هو سر هذا العالم المتألق بالابهة والاحتفالية؟!

لقد أحالت الدادائية الشيء الى وحدة ساكنة بعد ان فصلته عن رحمه الوظيفي، قيمته ضامرة في اشكال عرضه الاجتماعية، في حين ان حركة البوب استعارت الاشياء الجاهـزة كوحـدات تشكيلية قيمتهـا تتمحـور في فعـل مدلـولاتها داخل مجتمع عالي الاستهلاكية في نظامه ذي الحركة المتسارعة. مجتمع تستحيل فيه الخلية الاجتماعية الى رقم يتحرك بحسابات دقيقة داخل الحيز الزمني.

باريس ٩/ ٢/ ١٩٩٢

رد على نقد

جان دوست

اني لاغبط الناقد الغيور (بافي لورين) على غيرته الشديدة، وانتصاره للادب الكردي، ومنافحته عن الصحيح، وتعامله النقدي مع ما يقرؤه من كتب جديدة تصدر بين الحين والآخر، كما اشكره جزيل الشكر على شكره لمجهودي المتواضع الذي صدر بعنوان (شعر وشعراء ـ مختارات من الشعر الكردي القديم والمعاصر).

بطبيعة الحال، لا يخلو أي كتاب وضعه انسان، من اخطاء وهنات، فلكل جواد كبوة، ولكل سيف نبوة وبناء على الاخطاء التي ارتكبها الكتاب والادباء، ظهر النقد والصراع الادبي، وتعددت المذاهب الادبية وتشعبت الآراء وتناقضت.

لن اسهب في المقدمة، بل سأدخل الموضوع واحاول ان اجيب قدر الامكان على تساؤلات الاخ الناقد وأرجو ان اكون مقنعاً في جوابي.

لقد كان جوهر الموضوع هو (هل الشاعر بابا طاهر الهمداني، شاعر كردي أم فارسي، بل بعبارة ادق هل رباعياتة فارسية أم كردية. ؟)، وانا جزمت في مقدمة كتابي سالف الذكر، ان الشاعر فارسي وقلت ان هذه حقيقة واضحة ولا تقبل الجدل. !!).

اعترف هنا بارتكابي خطأ «الجزم والتأكيد واغلاق المناقشة والجدال»، وهذا ما يقع فيه كل مبتدىء في مجال البحوث، فيرى آراءه صحيحة قاطعة، ويخطّىء معارضيه مهما اوتوا من حجج وبراهين.

* مقالة الكاتب (بافي لورين) ـ الثقافة الجديدة ـ العدد ٢٤٠.

ان الصراع الادبي حول الطبيعة اللغوية لاشعار بابا طاهر قديمة نوعاً ما. ولسنا اول من يتجادل حول هذه الطبيعة، ولا آخرهم.

لقد التبس الامر على الباحثين في لغة بابا طاهر، بسبب وجود كلمات غريبة عن اللغة الفارسية، وسأورد هنا جدولاً صغيراً ببعض تلك الكلمات.

الكلمة الفارسية	مرادفتها عند بابا طاهر	معناها بالعربية
من	مو	أنا
بود	بي	اصبح
ندانند	نزونند	لا يعرفون
آنانكه	آنونكه	أولئك الذين
بازكرد	وانهم	فتح

ولهذا قال بعض الباحثين الفرس، ان لهجة (بابا طاهر) هي اللهجة الراجية، وقال آخـرون، وفي مقـدمتهم (ذبيح الله صفـا) انهـا اللهجـة اللورية، في حين رأى بعض المستشرقين اناشعار بابا طاهر منظومة باللهجة البهلوية وسماها المستشرق «كليمان اويار» باللهجة البهلوية الاسلامية.

وترى الدكتورة (اسعاد قنديل) في كتابها (فنون الشعر الفارسي) ان لغة الرباعيات خليط من لهجات متقاربة سادت في عصر بابا طاهر.

أما لماذا قلت انا ان اشعاره فارسية، فمن قراءتي لرباعيات هذا الشاعر، ومقارنتها باللغـة الفارسية، اذ اعرف هذه اللغة معرفة لا بأس بها، فلم اجدها تختلف إلا قليلاً، فالقواعد نفس القواعد، ادوات الربط نفسها، وحتى افعال الكون هي نفسها في الفارسية. ولنرجع الى الرباعية التي استشهد بها الاخ الناقد، فهي رباعية لغتها فارسية محض، وليس فيهـا كلمة غريبة واحدة. وان كان الناقد كتبها حسب الهجاء السوراني المعمول به في كردستان العراق وايران.

أنا لا اعرف شيئاً من اللهجة اللورية، ولكنني افهم واستسيغ رباعيات بابا طاهر، لانها مكتوبة بلغة اعرفها، ولو كانت غير ذلك لما فهمتها، أو لصعب علي فهمها، واذا كانت اللهجة اللورية قريبة الى هذا الحد من اللغة الفارسية، فهذا شيء آخر، وموضوع للبحث مستقـل عن موضـوعنا. كنت اتمنى لو استشهد الناقد برباعية واحدة فقط كتبها الشاعر باللورية، صحيح ان هناك رباعيات فيها كلمات بعيدة قليلاً عن اللغة الفارسية،

إلا ان ذلك ليس معناه ان الرباعية كلها ليست فارسية.
ولنقرأ مثلاً هذه الرباعية:

خوشا آنونكه أز پا سر نذونند
ميان شعله خشك و تر نذونند
كنشت وكعبۀ وپتخانۀ و دير
سرائى خالي أز دلبر نذونند

والمعنى:

هنيئاً لاولئك الذين لا يعرفون القدم من الرأس
ولا يعرفون الرطب من اليابس وهم يحترقون
ولا يرون الكنيسة والكعبة وبيت الاوثان والدير
داراً خالية من الحبسة

نلاحظ في هذه الرباعية ان ثمة كلمتين فقط تختلفان عن مرادفتيهما في الفارسية وهما (آنونكه) بمعنى اولئك و(نذونند) بمعنى لا يعرفون، وقد ورد بيان بهما في الجدول الصغير السابق في هذا المقال.

لقد تم طبع الرباعيات مرات عديدة في ايران، وبلغ عدد طبعات مؤسسة طباعية واحدة تسع طبعات حتى عام ١٩٧٠ م، واذا كان الفرس مولعين الى هذا الحد بأشعار بابا طاهر ويفهمونها بسهولة، فكيف سنجعله نحن شاعراً كردياً في حال لا يفهمه سوى اللور من الاكراد؟!

اننا نعتبر (احمد خاني) شاعراً كردياً ولا شك في كرديته بالرغم من انه اتخم قصائده بالكلمات والتعابير الفارسية والعربية، وخاصة في ملحمته الرائعة (مم وزين) بحيث لا يفهمها من لم يكن ملماً باللغتين المذكورتين وهاك عينة عشوائية من الملحمة:

(نور ست حديقۀ الفؤاد معصومه عفيفه خانه زاده)
(غصن طري من حديقة الفؤاد بريئة عفيفة، تربّت في البيوت)

ان ثلثي كلمات هذا البيت عربي. والثلث فارسي، ولكنه بيت شعر كردي، بسبب افعال الكون التي تختص بها اللهجة الكرمانجية والسورانية ايضاً، وهي حرف الهاء في نهاية الكلمات (معصومه - عفيفه.. الخ) وهي فعل الكون الخاص بالمفرد والغائب.

اخيراً، ألا ترى معي ايها الناقد الغيور ان علينا - قبل ان نتجادل حول لغة (بابا طاهر)

ان نرجع الى تراثنا الذي لا ريبة في كرديته، علينا ان نرجع الى تلك المنابع الاصيلة. تلك القصائد التي نظمها شعراؤنا الكبار امثال (حريري ـ جزري ـ خانى طيران ـ سياه بوش ـ مينا ـ نالي ـ حاجي قادر ـ بيكه س ـ وغيرهم). ان معظم اشعار هؤلاء غير مفهوم لدى اكثر الناس، فلماذا لا ننكب على دراستها وشرحها، وبالتالي نتمكن من حل عقدة اللهجات المتباعدة، نقربها من بعضها وقد يكون هذا تمهيداً لمشروع توحيد اللغة الكردية؟!.

حلب ـ نوروز ١٩٩٢

ابراهيم احمد

صفارات الانذار



صدرت في نهاية عام ۱۹۹۱ المجموعة القصصية الثالثة للقاص ابراهيم احمد، بعد مجموعتيه (عشرون قصة قصيرة جداً) ۱۹۷۷ و (زهور في يد المومياء) ۱۹۷۹. والمجموعة الجديدة صادرة عن (صحارى للصحافة والنشر).. الاشراف الفني: انتشال هادي، ولوحة الغلاف للفنان فؤاد الطائي.

وقد تصدرت المجموعة الاضاءة التالية:

«طبعت وزارة الاعلام العراقية هذا الكتاب في بغداد عام ۱۹۷۹، بعد خروج المؤلف من العراق، تحت عنوان (زهور في يد المومياء)، وقد حذفت منه قصص: صفارات الانذار، مطاردة، اودع حبيبته، والقسم الاول من قصة) (أمواج) وجمل وكلمات معينة.. اضيفت لهذا الكتاب القصص الممنوعة مع قصص اخرى».

تقع المجموعة في ١٥٣ صفحة من القطع المتوسط، وتضم اربع عشرة قصة قصيرة.

من كلمة الناشر على الغلاف الاخير نختار الفقرة التالية:

«عرف المؤلف بصورة خاصة بما طرحه من نتاج وفير ونماذج مؤثرة في القصة القصيرة جداً، في اعوام السبعينات والى اليوم. وقد تبلورت في تجربته لهذا النمط من القصة اسس ومفاهيم تجاوزت نماذجها الاولى، ولم تلبث ان تحولت وبسرعة الى تيار كبير في القصة العراقية.

جمال مصطفى

اطلس البارحة



بعد مجموعته الاولى (امطار بدون سبب - دانمارك ۱۹۸۸) صدرت المجموعة الشعرية الثانية للشاعر (جمال مصطفى) المقيم في الدانمارك، تحمل عنوان (اطلس البارحة)، وتقع في ست وتسعين صفحة من القطع المتوسط، منضدة من (صحارى للصحافة والنشر)، والاشراف الفني لانتشال هادي.

تستغرق المجموعة الجديدة هموم وفواجع جماعية وذاتية تتضافر على نحو يجعلها تهمس بالهم تارة، وتارة تصرخ به أو

تتهكم. . وثمة صوت الوطن البعيد كالطفولة البعيدة، والطفولة البعيدة مثل الوطن البعيد:

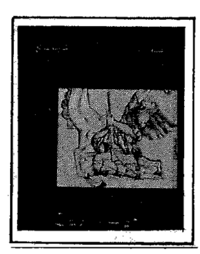
مَنْ سمّاكِ البَمْبَر؟
هل جاءوا بنواتِكِ من كلكتا
من كشمير؟
أما زلتِ هنالك بين النخل
وفي الحوش؟
وهل. . . .
يا غصناً من ورقة أسئلة
ليفيء السائل تحتكِ
أم ليقيكِ من الفأس؟
كم فأساً يا بَمبرتي
كم فأس

وتتوزع المجموعة ستة عناوين: (كم قوسُها سَعَفاً - والجماعة - وسابق امرىء القيس - مسبحة الهندي الاحمر - ترجيعات - طواسين الغجر).

غريب صالح

خيّالة الرياح

صدرت عن مطابع (دار العلم) في دمشق مؤخراً المجموعة الشعرية الرابعة للشاعر غريب صالح (مصطفى محمد غريب) بعد مجموعاته: سر الرحلات ١٩٨٩، بلدي



كردستان ١٩٩٠، سندخل مع القمر ١٩٩٠.
تصميم الغلاف والاخراج: سعد جابر.

تقع المجموعة في ١١٦ صفحة من القطع المتوسط، وتضم ٢٨ قصيدة، يتصدرها الاهداء التالي: «الى ولدي ظافر هاجس فقدانك لازمني اربعة عشر عاماً».

من القصيدة الاولى (الطين) نختار المقطع الاول:

هل لهذا الطين صوت ساحرٌ؟
أم لهذا الطين عينٌ ساحرة؟
أو لهذا الطين صمتٌ قاهرٌ؟
هل لهذا الطين نفسٌ قاهرة؟
أم لهذا الطين تاريخ من الأفواه تصرخ؟
يا لشفاه الصابرة
فأجاب الطين سراً
إننا في الصبر حتماً نتجمعْ
إنها لب الحقيقة
فأنا الطين أُصَنعْ
للمرايا للخصور اليانعهْ

لفتة بنيّان

ما أنت إياك!



تحت عنوان (ما أنت إياك) صدرت المجموعة الشعرية الاولى للشاعر (لفتة بنيان) الذي اهدى المجموعة «الى كل القلوب التي تهجس دوماً بالشوق الى انسانية الانسان».

نضدت المجموعة وصممت وطبعت في (دار الشعب للطباعة في امريكا). وتقع المجموعة في ٩٢ صفحة من القطع المتوسط وتحوي ٢٨ قصيدة.

من القصيدة التي تسمَّتْ بها المجموعة نختار مطلعها:

لقد كنت قبلاً
فما صرت بعدُ؟!
واقفاً كنت فانحنيت؟!
تتعزى بيباس الخريف
تتغنى بخشخشة الانكسار
تبدد في صدياتِ السنين العجاف؟!
بساتينك الخضر
خلّفتها في الضياع
علاماتِ ذكراكَ سطراً
محته الرياح
أرويتُكَ الحانية
قلعتْها المسافاتُ فانفرطتْ
شظاياك نابتةٌ في الحنايا
أيقظتها كوالحُك الباردات جراحاً؟!
سنانُ الرماح تغور
تحاول إطفاء نيرانها بالتهام المرار؟!

علي ناصر كنانة

تراتيل لوعة الزنبق



صدرت مؤخراً في السويد المجموعة الشعرية الاولى للشاعر العراقي (علي ناصر كنانة) تحت عنوان (تراتيل لوعة الزنبق)، وقد صمم الغلاف واللوحات الداخلية الفنان هاني نصرالله.

تقع المجموعة في ١١٤ صفحة من القطع المتوسط، وتضم عشر قصائد تنتظمها هموم الوطن والمنفى.

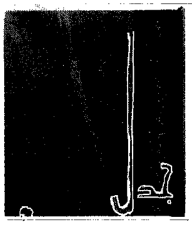
من اجواء المجموعة اخترنا قصيدة (الغرّاف):

رافقتُ «الغرّاف» لبغدادَ
وبغدادُ عروسٌ حسناءُ
تحنّي ضفيرتها بالآس
وبالمِسكِ تضوع ثناياها
فهام غراماً قلبي
وحيَّرني الوجدُ:
بأي قصيدةِ حلمٍ
أخرج للناسٍ؟

جدل

الكتاب الثاني

صدر الكتاب الثاني من (جدل) سلسلة كتب مختصة في العلوم الاجتماعية شعارها (العقلانية، المعاصرة، الديمقراطية)، ويشرف على تحريرها الباحث العراقي (عصام الخفاجي) في هذا الجزء من (جدل)، تفرد صفحاتها لمحور «العرب في عالم احادي القطب» تركزت مباحث سمير امين وروبن بلاكيرن حول نقد القطب



الآخر، أي الاشتراكية قبل انهيارها، فيما تركزت ابحاث عدد من الكتاب العرب على نقد آراء (فرانسيس فوكوياما) المتعلقة بنهاية التاريخ (ميشيل كيلو، محمد كامل الخطيب، ابراهيم محمود).

وتناول عدد آخر من الباحثين المحور الذي يتصدر غلاف الكتاب «العرب والقطب الواحد» (عصام الخفاجي، د. رزق الله هيلان، نعوم تشومسكي. د. نبيل مرزوق. د. محمد عبد الشفيع عيسى).

وفي باب قراءة: يتناول (هاني عياد) كتاب (مستقبل الامة العربية: التحديات والخيارات)، كذلك استعرض (كامل شياع) كتاب (العقد العربي القادم) الذي اشرف على تحريره هشام شرابي. أما (سلامة كيله) فقد ركز قراءته النقدية على مقدمة كتاب جدل الاول وعنوان قراءته بـ «ممكنات الخيار الرأسمالي وأزمة الماركسية العربية» واعقبه توضيح من محرر الكتاب.

العالم والمنطقة: تحولات ومهام

بين ٢٢ ـ ٢٤ ايار الماضي عقد في اثينا الاجتماع الرابع للاحزاب الشيوعية والاشتراكية والعمالية في شرقي البحر الابيض والشرقين الادنى والاوسط والبحر الميت. ونشرت «طريق الشعب» البلاغ الختامي للاجتماع ومقاطع من كلمة ممثل حزبنا فيه. وفيما يلي الوثيقة الختامية الصادرة عن الاجتماع :

ان مسيرة الخروج من الحرب الباردة، والتي جاءت بمبادرة من الاتحاد السوفييتي في منتصف الثمانينات بواسطة التفكير الجديد، قد انتهت بطريقة مخالفة لتوقعات الشعوب وللقوى المحبة للسلام. فالحرب الباردة بين الكتلتين العسكريتين في اوروبا لم تنته من خلال اتفاقات مشتركة ومقبولة تقضي بتخفيض وتصفية الترسانات العسكرية واقامة التعاون السلمي، وإنما بتصفية حلف وارشو والاستمرار في تقوية حلف الاطلسي وتوسيع دائرة عملياته وتعديل استراتيجيته وتكوين «قوات الردع السريع» في ذات الوقت. وتم تنشيط اتحاد غرب اوروبا كمتمم عسكري لحلف الناتو تحت قيادة بريطانيا وفرنسا والمانيا. واما اليابان فقد خطت بالفعل خطواتها الاولى، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، نحو تواجد عسكري لها خارج حدودها.

ان تقوية حلف الاطلسي وتنشيط اتحاد غرب اوروبا يتجاوزان حدود المنطق، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار تصفية القوة المضادة لهما.

ورغم انحسار خطر الترسانة النووية، إلا ان حرب الخليج قد اندلعت واوقعت، ولازالت توقع آلاف الضحايا البشرية البريئة، وتسببت بخسائر هائلة مادية وبيئية. وتسفك الدماء الآن في يوغسلافيا وبعض جمهوريات الاتحاد السوفييتي سابقاً وتستمر التدخلات العسكرية والصراعات الدموية الاخرى.

وبرغم مختلف التخفيضات التي اجريت على الاسلحة النووية، تستمر عملية تطوير التكنولوجيا النووية العسكرية، خصوصاً من قبل الولايات المتحدة في نطاق «حرب النجوم». كما يستمر تطوير ما يسمى بالاسلحة الذكية التي قد تكون انسب للوضع العالمي الجديد الذي هو في طريق التشكل.

وتمر حركة عدم الانحياز في مرحلة حرجة من تاريخها، وتحاول من خلال تناقضاتها والتناقضات الجنينية للنظام العالمي الجديد ان تحدد دورها في الدفاع عن شعوب الدول النامية في الاوضاع الراهنة.

وتواجه الدول النامية، الحكومات الوطنية وحركات التحرر، من مواقع اضعف، الهجوم السياسي والاقتصادي من قبل الدول الغربية الرئيسية والرجعية، ويضطر معظمها الى التراجع. وتؤدي الضغوط التي يمارسها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وغيرها من مؤسسات الائتمان والتجارة المتعددة الجنسية، الى تكثيف استغلال العالم الثالث وتوسيع الفجوة بين الشمال والجنوب وتصعيد المجابهة بينهما. وتتزايد الديون الخارجية للبلدان النامية وتصبح خدمتها قضية لا تطاق. وفي ذات الوقت يتزايد التواجد والتدخل العسكري الاجنبي المباشر ويستمر تسليح مختلف الانظمة الموالية للغرب.

ورغم ذلك تصر شعوب البلدان النامية على ايجاد تسوية عادلة للديون والغاء العلاقات الاقتصادية المجحفة التي تولدها. ويتواصل النضال من اجل اقامة نظام اقتصادي دولي عادل.

وتتعرض الحركات الشعبية، والتي تشمل حركة السلام والديمقراطية والتقدم والحركة النقابية، الى هجوم رجعي غير مسبوق من قبل القوى المحافظة الجديدة من اجل اخضاعها، وفي محاولة لتجريدها من المكاسب والحقوق التي تم تحقيقها خلال نضال شاق. ويتم في ذات الوقت تصعيد معاداة الشيوعية وتشويه مثل الاشتراكية، وتقوية وتنمية كافة اشكال الحركات الفاشية الجديدة والشوفينية والعنصرية والرجعية وحتى التعصب الديني والطائفي.

وفي اطار التناقض الاساسي الذي يحكم عالمنا المعاصر، أي التناقض بين العمل ورأس المال، اختل ميزان القوى لصالح الرأسمال. ويتأكد اكثر فأكثر ان النظام الدولي الجديد، الذي تبشر به الولايات المتحدة هو نظام لخدمة مصالحها اكثر من كونه يعتمد ويدعم القانون الدولي.

وتحاول رأسمالية الدولة الاحتكارية في الدول الرأسمالية المتقدمة ان تتحكم بشكل كامل في عملية التدويل المتسارعة وفي تقسيم العمل الدولي بما لذلك من عواقب وخيمة على الدول النامية ومتوسطة النمو. وتظل النزعة العسكرية واللجوء الى القوة العسكرية من

الوسائل الرئيسية لتحقيق هذه الغاية، في حين يتم تكثيف التضليل الاعلامي من خلال وسائل الاعلام المحتكرة وتأجيج النزاعات والصراعات الاثنية والاقليمية والدينية.

وفي ذات الوقت اخذت التناقضات بين الولايات المتحدة الامريكية واليابان والمجموعة الاوروبية، وداخل مكونات الاخيرة، تطفو على السطح بقوة وتميل الى الاحتدام، وتتحول الى عامل حاسم في التطورات الدولية والاقليمية وحتى في بعض البلدان المنفردة. وتنتعش من جديد لعبة مناطق النفوذ الامبريالية القديمة. واخذت المانيا تساهم في نشاط بهذه اللعبة حيث تتحول تدريجياً الى قوة سياسية واقتصادية وعسكرية ليس فقد على النطاق الاوروبي بل كذلك على النطاق العالمي مع ميل واضح لتجاوز المجموعة التي تنتمي اليها. ويبرز السعي للحصول على مناطق النفوذ بوجه خاص في دول اوروبا الشرقية وجمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق.

وتهدد هذه التناقضات، والمساعي من اجل مناطق النفوذ، السلام والامن العالمي والتطور المستقل لمختلف البلدان. وأما تكلفة هذه التناقضات فستتحملها الاغلبية الساحقة من شعوب البلدان المتطورة والنامية على حد سواء.

وفي بعض الاحيان، تطمح بعض الدول الرأسمالية القوية نسبياً، ودون الخروج من اطار التبعية، الى ان تلعب دور القوة الاقليمية على حساب الدول المجاورة مما يؤدي الى احتدام النزاعات الاقليمية القائمة ويزيد احتمالات نشوب نزاعات اخرى جديدة. ومن الامثلة البارزة على ذلك، في منطقتنا، تركيا التي تُقدَم كنموذج يمكن ان تحتذي به جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز. وبتشجيع ودعم من الولايات الامريكية يتم تكبير دورها وتتحول الى عامل هام في الجهود المبذولة لتوسيع نفوذ الولايات المتحدة في منطقتنا.

وبالرغم من اختلال موازين القوى على النطاق العالمي لصالحه، واستثماره لمنجزات التقدم العلمي والتكنولوجي وتحقيق التقدم في العديد من المؤشرات الاقتصادية، إلا ان العالم الرأسمالي لا ينفك يواجه اوضاعاً متأزمة (على وجه الخصوص في الحقول الاجتماعية والثقافية والبيئية) تمثل حالة من التدهور المستمر. ولا يعد انهيار المحاولة الملموسة لبناء الاشتراكية في اوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي سابقاً، بأي حال من الاحوال، تزكية للرأسمالية، التي بالرغم من التغييرات التي ادخلتها على نفسها عبر مسيرتها التاريخية، إلا انها لم تغير وليست قادرة على تغيير جوهرها، اذ تظل نظاماً استغلالياً يتصف بالظلم الاجتماعي. واذا كان يجري الحديث حالياً في الدول الرأسمالية المتطورة منفردة عن مجتمع الثلثين فانه يمكننا ان نتحدث في العالم الرأسمالي ككل عن مجتمع السُدس ان لم يكن اقل.

وكجميع المجتمعات الطبقية التي سبقته، فان التناقضات تحتدم في النظام

الرأسمالي خاصة التناقضات الطبقية التناحرية، والتي تشكل الشرط الموضوعي لاتساع وحدة القوى المناضلة من اجل الافق الاشتراكي.

لقد شكل انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى بداية لعصر جديد في تاريخ البشرية. وخلال صعوبات هائلة في الاتحاد السوفييتي أولاً وفي بلدان اخرى ثانياً تم شق طرق غير مطروقة لتطور اقتصادي واجتماعي وعلمي وثقافي لا مثيل له.

وبغض النظر عن أية تقييمات أو افتراضات لمسيرة بناء الاشتراكية خلال السبعين عاماً المنصرمة، إلا ان الحقيقة التي لا جدال فيها هي ان البلدان الاشتراكية مجتمعة ومنفردة اسهمت بصورة حاسمة في تركيز اهتمام العالم على المثل العليا للسلام والتضامن والتضحية بالذات من اجل المصلحة المشتركة والامل في مجتمع يخلو من استغلال الانسان للانسان وساهمت بشكل بارز في تطوير نضال الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتطورة وحركات التحرر الوطني في المستعمرات السابقة. واسهمت بذلك في تحقيق التنازلات التي قدمتها الرأسمالية للشعوب في الحقوق الديمقراطية والاجتماعية وفي إلغاء النظام الكولونيالي للامبريالية.

ولا يمكن نسيان هذه الحقائق أو تجاهلها. ولكن رغم كل النجاحات المشار اليها اعلاه للنموذج الملموس لبناء الاشتراكية، فانه قد اخذ ببعض الخيارات في المجالين النظري والعملي ادت الى تشويهات في المفهوم اللينيني للاشتراكية. وقاد الفشل الذي حصل الى الضرورة التاريخية الماسة لتجديد الاشتراكية باتجاه استعادة المثل الاشتراكية الحقيقية واشاعة الديمقراطية في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولسوء الحظ، فان المحاولة لتحقيق هذه الضرورة لم تعط النتائج المتوخاة وانتهت الى الفشل. وبدلاً من المزيد من الاشتراكية والمزيد من الديمقراطية اتت بالفوضى والتشوش الكامل وبداية السير على طريق اعادة الرأسمالية مع التدخل الفعال من قبل قوى الامبريالية والصهيونية، والتي لم تتخل ابداً عن هدف القضاء على الاشتراكية.

ويتعين ان يكون تاريخ الاشتراكية الذي تجاوز السبعين عاماً، بكل ايجابياته وسلبياته، منذ ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وحتى زوال الاتحاد السوفييتي، موضع دراسة وتحليل علمي بهدف الوصول الى تقييم شامل، وقبل كل شيء لاستخلاص النتائج الضرورية من اجل التقدم اللاحق لقوى الاشتراكية والتقدم.

اننا على ثقة راسخة بان تراجع الاشتراكية لا يعني افلاس الاشتراكية العلمية ومثلها. وعلى العكس تماماً فاننا نعتقد بان الاشتراكية، بالعدل الاجتماعي والديمقراطية وحقوق الانسان كمكونات اساسية لها، تقدم البديل الوحيد لتقدم الانسانية.

ويتواصل نضال الطبقة العاملة وكل الشغيلة وكل الشعوب من اجل الديمقراطية

والتقـدم الاقتصـادي والاجتماعي والبيئي لمصلحة المجتمع ككل وبأفق اشتراكي. انه نضال شاق وطويل ويتطلب الاصرار والصبر والشجاعة والتفاؤل والواقعية في آن واحد.

لقد اسهمت مساهمة كبرى الجهود الجبارة والنضالات القاسية التي قدمتها الدول الاشتراكية والحركة الشيوعية، على مدى ما يزيد عن سبعين عاماً من وجودها، في اكساب البشرية رصيداً ثميناً في هذا النضال العظيم.

وهذا الرصيد على وجه التحديد، بالاضافة الى التقدم الذي احرزته البشرية، يجعل توازن القوى الجديد المختل يتفاعل في ظل اوضاع تختلف نوعياً عن تلك التي كانت سائدة قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى. واليوم يقع على عاتق الشيوعيين وغيرهم من القوى التقدمية والاشتراكية والديمقراطية ان تستثمر هذا الرصيد وتطوره بفعالية.

وبـالـرغم من وجود جهود فردية بارزة في مجالات البحث والتحليل والنظرية بغية استغلال هذا الرصيد، وبرغم ان التطوير الخلاق للتفكير الاشتراكي ضروري في الاوضاع الراهنة لكل بلد، فمن الضروري في ظل اوضاع التدويل المتسارع بذل جهود جماعية في هذه الحقول من قبل فصائل الحركة الشيوعية وعلى نطاق أوسع من قبل الحركة الاشتراكية التقدمية وذلك ليس بسبب ترابط وتفاعل المشاكل التي تواجه عالمنا المعاصر فحسب، بل كذلك بسبب ابعاد هذه المشاكل وتعقيداتها.

واليوم، فان الحاجة تستلزم وجود مقاربات ومعالجات جديدة ليس فقط فيما يتعلق بالمشاكل الكونية والمشاكل المشتركة التي تواجه الشعوب والانسانية بل كذلك فيما يخص المشاكل القائمة منذ وقت بعيد. ولذلك فاننا نحتاج الى تبادل الخبرات بخصوص النضال الاجتماعي ـ السياسي، والى التحليل والتفكير المشترك، والى تنسيق النشاطات وتعميق التضامن، بل وحتى الى المعالجات الجماعية للبحوث المشتركة اذا امكن.

وطبيعي اننا لا نتكلم عن اعادة بناء مركز اممي جديد أو مركز توجيه جديد، الامر الذي يمثل خطأ تاريخياً لو حصل. فانطلاقاً من الاحترام التام لاستقلالية الاحزاب، ومن الادراك العميق بان كل حزب مسؤول امـام شعبـه وطبقتـه العاملة، نرى الحاجة لتقوية الروابط والتعاون الثنائي ومتعدد الاطراف فيما بين فصائل الحركة الشيوعية وعلى نطاق اوسع فيما بين فصائل الحركة الاشتراكية التقدمية، وكذلك مع سائر قوى السلام والتحرر والديمقراطية والدفاع عن البيئة والتقدم وحركات النساء والشباب، بغية الحيلولة دون فرض النـظام العـالمي الجديد للامبريالية، والدفع الى الامام بقضية اقامة سلام عالمي وامن جماعي عادل وقابل للبقاء، واقامة تعاون مثمر ومتكافيء، بين الدول والشعوب، ومن اجل دفع قضية التقدم الاجتماعي ذي الافق الاشتراكي.

وفي الشـرق الاوسط، وبغض النـظر عن حقيقـة تقديم النظام العراقي الذريعة عن طريق

غزوه الكارثي للكويت، فقد تجلت مجتمعة في حرب الخليج جميع التبدلات والاتجاهات السلبية في الوضع الدولي. وبسبب الاهمية الاستراتيجية الكبرى للمنطقة، وخاصة ثروتها النفطية والتعبئة الهائلة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً من قبل جميع القوى الغربية وحلفائها تحت القيادة المباشرة للولايات المتحدة الامريكية، اتخذت النتائج المأساوية للحرب وآثارها على الشعوب والحركات الشعبية ابعاداً اقليمية وعالمية في ذات الوقت، وقامت القيادة المركزية الامريكية «قوات التدخل السريع» بتنفيذ مهمات الاحتلال والتوسع التي انشئت من اجلها، كاشفة في الوقت ذاته عن الدور المناط «بقوات الردع السريع» التابعة لحلف الاطلسي وقوات الاتحاد الاوروبي الغربي الذي اعيد تنشيطه مؤخراً. واعيد نشر القواعد العسكرية الامريكية والوحدات العسكرية في دول مجلس التعاون الخليجي.

وتستخدم الولايات المتحدة تفوقها العسكري وتحكمها في موارد النفط الهائلة ليس فقط في ابتزاز شعوب المنطقة والعالم بل كذلك شركائها وحلفائها. وتقوت النزعة العدوانية والاتجاهات التوسعية للفئات الحاكمة في كل من تركيا واسرائيل. ويتجلى التغير والاتجاه السلبي على نطاق اصغر، ولكنه مهم، في احداث البلقان، وخصوصاً في يوغسلافيا الاتحادية اهم الدول غير المنحازة في اوروبا والبحر المتوسط.

فالمجموعة الاقتصادية الاوروبية، وخصوصاً المانيا التي تلعب الدور الرئيسي، متجاهلة عشرات الدول الاعضاء في الامم المتحدة ومبادىء ميثاقها وقواعد القانون الدولي، قدمت من خلال التدخل المباشر مساعدة للقوى الانفصالية ولتأجيج النزعات الشوفينية والتعصب الاقليمي وساعدت على تفكيك يوغسلافيا مع ما يترتب على ذلك من اخطار على المنطقة بأسرها.

ويستلزم الوضع الدولي الجديد بصورة ملحة ايجاد انظمة أمن جماعي اقليمية. وتقضي مصلحة الشعوب ان تؤسس مثل هذه الانظمة على ايجاد حلول عادلة ومستديمة للمشاكل القائمة بين الدول وغيرها من المشاكل على اساس مبادىء ميثاق الامم المتحدة وقواعد القانون الدولي، وان تحول المناطق المعنية الى مناطق خالية من اسلحة الدمار الشامل وبالدرجة الاولى من الاسلحة النووية، وان تعتمد على الاحترام الصارم للاستقلال والسيادة الوطنية لكل دولة وحرمة حدودها المعترف بها دولياً وسلامة اراضيها، وعلى عدم استخدام القوة أو التهديد باستخدامها، والتعاون المتكافيء القائم على المنفعة المتبادلة، واحترام حق كل شعب في ان يقرر مستقبله وطريق تطور بلاده بحرية، وان تُنمّى الصداقة والتعاون الاخوي بين شعوب المناطق المعنية بعيداً عن أي وصاية أو املاء أو تواجد عسكري اجنبي، وان تسهم في بناء نظام امن جماعي وعالمي متكافيء وقابل للبقاء.

ويجب تعميق الديمقراطية في منظمة الامم المتحدة وتقويتها كضامن للسلام والامن الجماعي لجميع الدول والشعوب. ولكي تتمكن من تلبية آمال وتوقعات الشعوب في نظام دولي جديد عادل، فانه يتوجب التمسك الحازم بمبادىء ميثاق الامم المتحدة، ويجب ان تعتمد قراراتها استخدام معيار واحد لا معيارين.

ولا تختلف المشاكل البالغة الخطورة التي برزت في منطقتنا جراء تغير توازن القوى العالمي وحرب الخليج، من حيث الجوهر، عن تلك القائمة منذ وقت بعيد، إلا ان الوضع العالمي والاقليمي الجديد يفترض تغيير اسلوب معالجة هذه المشاكل. ومهما تكن تلك الطرق والاساليب، بما فيها اية تنازلات اضطرارية، فلا بد ان تكون الحلول التي يتم التوصل اليها قابلة للبقاء وتتجاوب مع ارادة الشعوب المعنية وألا تكون دون حد ادنى معين وإلا تحولت الى بداية مشاكل جديدة.

اننا ندين استمرار الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية بما في ذلك القدس الشرقية، وقطاع غزة وجنوب لبنان ومرتفعات الجولان السورية، وبشكل عام ندين السياسة التوسعية الكولونيالية للدوائر الاسرائيلة الحاكمة. وندين كذلك الاضطهاد غير الانساني الموجه ضد السكان المدنيين في المناطق الفلسطينية المحتلة والهجمات المتوالية ضد الاراضي اللبنانية. وندعم الجهود المبذولة لتحقيق حل سلمي مشترك شامل وعادل لقضية الشرق الاوسط، بالاستناد الى قرارات الامم المتحدة لاسيما قراري ٢٤٢ و٣٣٨ والتي ستؤدي الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وإزالة كافة المستوطنات الاسرائيلية وتأمين قيام دولة فلسطينية مستقلة بجانب اسرائيل وتأمين التعايش السلمي لجميع دول المنطقة، من إجل تحويل المنطقة الى منطقة منزوعة من الاسلحة النووية واسلحة الدمار الشامل، وعلى وجه التحديد تدمير الترسانة النووية والصاروخية الاسرائيلية.

نعبر عن تضامننا ومساندتنا للنضال الذي يخوضه الشعب الفلسطيني في هذا الاتجاه، ومع انتفاضته الباسلة في الاراضي المحتلة، تحت قيادة م.ت.ف ممثله الشرعي والوحيد. ونعبر عن تضامننا ودعمنا لكفاح الشعب والحكومة السورية لاسترداد اراضي الجولان المحتلة وكفاح الشعب اللبناني وكل قواه الوطنية لتحرير ارضه المحتلة. ونعرب عن تضامننا مع الحزب الشيوعي في اسرائيل وكل القوى الاخرى المحبة للسلام في اسرائيل والتي تستنكر الاضطهاد القومي ضد المواطنين العرب ونطالب بتحقيق مساواتهم الكاملة دون تمييز.

اننا نشجب استمرار تركيا في احتلال جزء من الاراضي القبرصية، ونشجب بشكل عام السياسة التوسعية الاستعمارية التركية التي تهدف الى توطين مواطنين اتراك في

قبرص. ونعبر عن تضامننا مع كفاح الشعب القبرصي من اجل حل عادل ودائم للقضية القبرصية بموجب قرارات الامم المتحدة. ويجب ان يوفر هذا الحل الحفاظ على قبرص واعادة حقوق الانسان والحفاظ عليها للشعب القبرصي. ويجب ان يؤدي الى قبرص مستقلة، موحدة فيدرالية، غير منحازة ومنزوعة السلاح.

اننا نشجب وضع وحدات من قوات التدخل السريع الامريكية واقامة القواعد العسكرية في بعض البلدان العربية وبعض دول الشرق الاوسط الاخرى. ونعبر عن تضامننا مع نضال شعوب هذه البلدان وقواها الوطنية من اجل اجلاء القوات الاجنبية وتحرير بلدانها من قيود ما يسمى بالاحلاف الامنية واستعادة استقلالها وسيادتها التامة.

ونعبر عن قلقنا ازاء المجاعة التي تفرض على الشعب العراقي البريء بحجة معاقبة نظام صدام حسين، ونطالب باتخاذ اجراءات سريعة من اجل استيراد المواد الغذائية والدواء، وتأمين حسن توزيعها تحت اشراف الامم المتحدة، كما نطالب الحكومة العراقية بانهاء الحصار الذي تفرضه على كردستان.

كما ندين العمليات العسكرية التركية ضد كردستان العراق ونطالب بايقافها الفوري.

ونعبر عن قلقنا بسبب معاناة الشعب الصومالي وشعوب القرن الافريقي الاخرى جراء الحرب والجفاف والمجاعة. وندعو الاطراف المعنية في الصومال ان تضع حداً للاشتباكات لحماية الناس من كارثة الحرب والمجاعة. ونتوجه الى الرأي العام العالمي لتقديم المساعدة المادية لهذه المنطقة المنكوبة.

ونعبر عن قلقنا لاستمرار سفك الدماء في افغانستان رغم إعلان العفو العام بواسطة الحكومة الجديدة، ونطالب الامم المتحدة ان تضمن الالتزام التام بالمعايير المعترف بها عالمياً الخاصة بحقوق الانسان لجميع مواطني افغانستان بغض النظر عن انتسابهم العرقي والديني.

اننا نشجب التدخل الاجنبي في بلدان البلقان، ونطالب بوضع حد لتشجيع الميول الشوفينية والقومية التعصبية كشرط لا بد منه لانهاء الحرب الاهلية في جمهوريات يوغسلافيا السابقة. ونطالب بعقد مؤتمر لدول البلقان تحت اشراف الامم المتحدة بهدف تأمين الهدوء والاستقرار في هذه المنطقة وعدم المساس بالحدود المعترف بها لهذه الدول وتأمين التعايش السلمي والتعاون بين هذه الدول.

ان الحوار بين اليونان وتركيا ضروري لضمان الاستقرار في هذه المنطقة، ولكي يكون هذا الحوار مثمراً يتوجب على الطرفين اعلان التزامهما للاحترام المتبادل لوحدة وسيادة اراضي كل من الدولتين في اطار احترام مبادىء وثيقة هلسنكي، ووفقاً لاحكام

القانون الدولي والممارسة الدولية.

اننا اذ نعلن رفضنا القاطع لكل اشكال الارهاب، وخاصة ارهاب الدولة، فاننا ندين الضغوط والتهديد باستخدام القوة ضد ليبيا من قبل الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا، ونطالب بالوقف الفوري لهذه التهديدات والوصول الى حل سلمي، يستند الى احكام القانون الدولي.

اننا نؤكد مجدداً دعوتنا من اجل تحويل منطقة البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر الى منطقة خالية من السلاح النووي، وانسحاب جميع الاساطيل الاجنبية، وخاصة الاسطول السادس الامريكي وبالدرجة الاولى حاملات الاسلحة النووية، واخلاء المنطقة من كافة الاسلحة النووية والقواعد العسكرية وتحويلها الى منطقة سلام وتعاون بين بلدانها وشعوبها.

ان الدول الغربية ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية، التي تدعي انها تحمي الديمقراطية وحقوق الانسان، تقوم بدعم اسرائيل، التي بدورها تنتهك علناً حقوق الانسان الفلسطيني، وفي ذات الوقت تدعم الانظمة غير الديمقراطية في منطقة الخليج التي تدوس الحريات والديمقراطية وحقوق الانسان.

تحتل الديمقراطية مكاناً هاماً في نضال الشعوب كهدف ووسيلة من اجل الانتصار النهائي للحفاظ على سيادتها في اوطانها، بوصفها النقيض المطلق لكل اشكال الحكم الاستبدادي العسكري والديني والشوفيني والعنصري ولاي تدخل اجنبي. فالديمقراطية تضمن وتصون السيادة الوطنية، والمساواة، والحقوق المدنية دون تمييز على اساس الجنس أو العرق أو القومية أو المعتقد مع الاحترام الصارم لحقوق الانسان والحريات الشخصية والسياسية والنقابية وحرية الفكر والتعبير والعقيدة وكذلك التعددية وفصل الدين عن الدولة. كما ان الديمقراطية تضع قواعد مؤسسية لتمثيل الاغلبية والاقلية دون تشويه النظم الانتخابية.

اننا نعبر عن تضامننا مع نضال كل من:

- الشعب العراقي لانهاء الحكم الشمولي ومن اجل بناء الديمقراطية واحترام حقوق الانسان.

- الشعب الايراني والقوى الديمقراطية في ايران لوضع حد للحكم الثيوقراطي وارساء ديمقراطية حقيقية في ايران.

- الشعب الكردي ضد كل اشكال الاضطهاد القومي ومن اجل حقوقه القومية، في اطار النضال الديمقراطي لشعوب البلدان التي يتواجد فيها.

- شعوب دول الخليج وخاصة الكويت، البحرين، عمان، السعودية، ونضال القوى

الديمقراطية فيها من اجل اقامة ديمقراطية برلمانية.

ـ شعب السودان وقواه الديمقراطية من اجل انهاء النظام العسكري الاصولي واستعادة الحياة الديمقراطية البرلمانية المستندة الى التعددية والعدالة.

ـ الشعوب الاخرى في المنطقة وقواها الديمقراطية ضد كل اشكال الاستبداد والاضطهاد ومنع الحريات الديمقراطية وحقوق الانسان، ومن اجل اقامة المؤسسات الديمقراطية.

اننا نعبر عن تضامننا مع كفاح:

ـ شعب كوبا ضد تدخل الولايات المتحدة الامريكية ومن اجل انهاء الحصار المفروض على بلاده واحترام حقه في الاختيار الحر لطريق تطور بلاده.

ـ شعب جنوب افريقيا بقيادة المؤتمر الوطني الافريقي من اجل إلغاء نظام التفرقة العنصرية واقامة مساواة تامة في الحقوق المدنية.

ـ القوى في البلدان الاشتراكية السابقة التي تقاوم استعادة الرأسمالية والتي تناضل من اجل حماية الحريات الديمقراطية وحقوق الانسان والمكاسب الاشتراكية.

واننا على قناعة بان درء المخاطر الناجمة عن التطورات السلبية على صعيد العالم والمنطقة يقلق اوسع اوساط الجماهير، لذا نعرب عن استعدادنالإقامةتعاون وعمل مشترك مع جميع قوى السلام والتحرر والديمقراطية وحماية البيئة والتقدم في المنطقة وحتى على اساس موضوعات محددة بشكل مشترك.



مقتطفات ومعالجات

ما لكم كيف تحكمون

■ اذا قُدر لمتابع منصف لمسيرة العمل العراقي الاسلامي المعارض اكتشاف اهم الخصوصيات السلبية التي مكنت الخصوم على استعادة العافية والتندر على الاسلاميين العراقيين بشكل لم يسبق له نظير في تجارب الحركات السياسية فانه سيلحظ بدون شك، غياب الإخلاقية الرسالية العالية التي تنطوي على ابداء اقصى مستويات التواضع للانسجام والتعاون والتنسيق ضمن الدائرة المشتركة التي تحكم الاسلاميين.

فغياب الاخلاقية في التعامل السياسي الاسلامي، فسح المجال واسعاً للسلبيات، والخلل والخلاف والنظر الضيق للاتجاهات السياسية الاسلامية. وبتنا نشهد طرقاً ومذاهب واخلاقيات ونظريات لم نقرأ عنها حتى في مناهج المدارس والمذاهب الاستبدادية في التاريخ فكل فريق سياسي يحاول ان يجمع ما يستطيع من اوراق وادلة ووثائق من اجل اثبات مصداقيته السياسية والفكرية والجهادية بينما يتمدد فريق آخر على مساحة عريضة من الوثائق والادلة والبراهين «العقلية» و«النقلية» لاثبات كذب توجهات ونظريات وادعاءات الفريق الآخر، أما الملاحظة الاساسية الاخرى هي ان بعض الاتجاهات السياسية الاسلامية العراقية مارست ولسنوات طويلة من عمر العمل، سياسة الغاء الآخر، واعتباره استثناء لا يمكن بأي حال التعامل والتنسيق معه. انطلاقاً من مقولات «التاريخ» و«عرق المسيرة»، وريادة العمل الاسلامي العراقي، ان التجاوز والالغاء والترفع عن التنسيق، وعدم الاعتراف باخوة المسيرة ممن شاركوا بقدر وبآخر في عملية انقاذ البلد من عذاباته. والاصرار على وحدانية المشروع أو البرنامج السياسي الذي يكتبه هذا الطرف أو ذاك، لا يوجد لها أي مصداق في قاموس العمل الاسلامي السياسي، ولا تدعمها سنن واخلاقيات الاسلام، الذي اثرى عبر نماذجه القرآنية والحديثية وتجربته السياسية في الدولة والحكم هذا الجانب، وانار السبيل الصحيح امام العاملين.

وهنا يكمن الخلل؟

فمـا بين ان تكـون اسلامياً تتحرك لتنير الواقع عبر الفهم والوعي بطبيعة الاسلام واخلاقياته في العمل الرسالي، وبين ان تكون اسلامياً بغياب الاخلاقية . . . فرق كبير.

والمـطلوب من المتصـدين والـرياديين في مسيرة العمل الاسلامي، وقادة العمل العراقي المعارض، تلافي خلل غياب الاخلاقية، بالتواضع بعضهم للبعض الآخر وطرح مبدأ الشك في المبادرات والمشاريع والنوايا جانباً، والتعاطي الايجابي عبر منهج يحترم الجميع ولا يهـدر أية قابلية وقـدرة وامكانية في الساحة لان التنكر لاية حركة سياسية أو جهادية ضمن اطار العمل العراقي هو خطوة سلبية مدمرة، واتجاه استبدادي اذا لم نتلافاه في مرحلة المـواجهـة والثـورة فمن الصعب تلافيه في مرحلة الـدولـة، هذا اذا قدر لنا كإسلاميين المشاركة في الحكم رغم ان صدام يعيش الآن على تناقضات المسيرة وشتات وتمزق احزابها فتعالوا نبحر في بحر لجي من العواطف والمشاعر التي تزيد من سخونة الاخوة والتعاطي الايجابي المرن ولنجرب اذن.

عمار البغدادي

عن (الموقف الاسلامي) ٢٨/ ٥

حركة المهجرين العراقيين

الغد الديمقراطي . . وصحيفة «نداء الرافدين» الاسلامية . . !

نشرت صحيفة «نداء الرافدين» الاسلامية في عدد ٣٢ المؤرخ في ١٤ أيار ١٩٩٢ مقالة بعنوان «لجنـة العمـل المشـترك وأزمـة التيارات» كتبهـا المهنـدس بيان جبر ممثـل المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق في لجنة العمل المشترك في سورية. وبما ان المقالة عرضت دونما مبرر او وجه حق بالتجمع الديمقراطي العراقي فقد بعث الاستاذ صالح مهدي دكله سكرتير اللجنة المركزية للتجمـع الـديمقـراطي العراقي برد الى صحيفة نداء الرافدين بتاريخ ٥/٢٠ يدعوها فيه عملاً بحرمة النشر ومقتضيات الحور الديمقراطي نشره في اول اصدار للصحيفة.

وفيما يلي نص رد الاستاذ صالح دكله المنشور في «نداء الرافدين»:

الاستاذ عادل رؤوف رئيس تحرير جريدة نداء الرافدين الغراء

تحية وبعد.

عمـلاً بحـرية النشر ومقتضيات الحـوار الـديمقـراطي بين قوى المعارضة العراقية، نرجو ان تتفضلوا بنشر ردنـا على مقـالة الاخ المهندس بيان جبر ممثل المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في

العـراق في لجنـة العمـل المشـترك في سوريا، المـوسـومة بـ «لجنة العمل المشترك وأزمة التيارات» والمنشورة في العدد ٣٢ ليوم ١٤ أيار ١٩٩٢ من جريدة نداء الرافدين.

كان بودنا لو ان الاخ المهندس بدأ حواره بطريقة اخرى وبلغة لا تمت بصلة الى لغة الاتهامات والتهـديد بتهـديم لجنة العمل المشترك. ولكن هذه الامنية لم تتحقق، فماذا نفعل؟ لابد لنا من مواجهـة الامـر الـواقع والدخول في حوار لم نكن نريده مع الاخ بيان جبر، بل اضطرنا هو إليه اضـطراراً مصرين من جانبنـا على استبعـاد لغـة الاتهام والتهديد والابتزاز، اذ انها اللغة الاكثر اضراراً بمجمـوع الحركة السياسية العراقية. وهي بعد ذلك لغة لا تستجيب بحال من الاحول لتطورات الواقع العراقي وحاجاته، وهي بالتالي من الموروث السلبي الذي دفعت ثمنه غالياً كل الاحـزاب العـراقية في فترات لم يكن فيه للاسـلام السياسي من احـزاب ذات وزن في السـاحة العراقية. واليوم اذ تحاول بعض الاحزاب والمؤسسات الاسلامية ـ الشيعية ان تتصدر المعركة من اجل الوصول الى كرسي الحكم مستفيدة من التراث السلبي الطائفي لزمرة صدام حسين، يلجأ بعض ممثـلي اطـرافهـا كما فعـل السيد بيان جبر الى اسلوب من شأنه اثارة الحساسيات في وسط العـاملين من اجل تخليص شعبنا من كارثة الحكم الدكتاتوري الدموي في بغداد واقامة البديل الديمقراطي. ونحن اذ نأسف عميق الاسف لمثل هذا الموقف، نتساءل عما اذا كان المهندس جبر يعبر فعلاً، فيما يطرحه من آراء، عن سياسة المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق، الذي نحمل لرئيسه سماحة السيد الحكيم كل احترام وتقدير؟

هذه مسألة ليست شكلية ولا هي من قبيل الايقاع بين السيد جبر والمجلس، بل هي ضرورية جداً لتحديد المواقع وللتعرف على المواقف الحقيقية ازاء الاطراف الاخرى في المعارضة العراقية. ودلالة ذلك عميقة بالنسبة لنا، نحن الديمقراطيين العراقيين، منتظمين وغير منتظمين. فالاخوة الاسـلاميون لم يصلوا بعـد الى «كراسي الحكم» غير ان البعض منهم يحاول بأساليب مختلفة من بينها التهويل والابتزاز ان يملي سياسته على المعارضة العراقية وهو في ذلك يستخدم أساليب بالية لم تعد مقبولة بين رفاق الطريق الواحد مثل مبدأ «فرق تسد».

اننـا نقـر ان التيار الديمقراطي شأنه شأن التيارات الاخرى يعاني ازمة نابعة اصلاً من عدم اتاحة الفرصة له، داخل العراق خاصة للتعبير عن نفسه وفي التبلور في احزاب ومنظمات سياسية تعلن برامجها الواضحة والصريحة فيما يتعلق بنظام الحكم وآليات عمله وكذلك في صدد القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ولذا فان ممثلي هذا التيار في اللحظة التاريخية الراهنة، وفي لجنة العمل المشترك بشكل خاص، لا يحتكرون تمثيل هذا التيار، كما نعتقد، وهم مستعدون للتعامل بروح ايجابية مع كل الظواهر التي نشأت او تنشأ في الوسط الديمقراطي العراقي مستقبلاً. والاولى بأطراف هذا التيار مناقشة الوضع داخل التيار، فهم أهل البيت العارفون بما يجري فيه. واذا كان للاطـراف الاخـرى ان تنـاقش الـوضع داخل التيار الديمقراطي فان الشرط الاول والاخير ان

تنطلق المعالجة من أرضية ديمقراطية ومن الايمان بالديمقراطية كمفهوم سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي، يقر بالتعددية في الميادين المذكورة، وكنظام حكم برلماني يستند الى هذه التعددية ويجسدها ويؤكد مبدأ تداول السلطة، وكون الشعب مصدر السلطات، وينص في دستوره على الفصل بين السلطات الثلاث: التنفيذية والتشريعية والقضائية، ويصون حقوق الانسان ـ حقوق الجماعات والافراد ـ كما هي واردة في كل المواثيق والعهود الدولية بدءاً بالاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عن الامم المتحدة عام ١٩٤٨.

أما أن تتصدى قوى لا تؤمن بالديمقراطية أصلاً ويرى بعضها في الديمقراطية «كفراً والحاداً» لمناقشة أزمة التيار الديمقراطي فهذا منتهى «العبث» في رأينا. اننا نتساءل ما هو برنامج المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق بصدد مسألتين اساسيتين من المسائل التي يدور حولها الجدل في أوساط المعارضة العراقية وهما مسألة الديمقراطية والنظام الديمقراطي في العراق؟ ونحن في التجمع الديمقراطي العراقي نعتبر ان هذه المسألة لا يمكن ان تخضع للاستفتاء، اذ ان المطروح امام الشعب العراقي بعربه وكرده وأقلياته القومية وأديانه ومذاهبه ليس هو الخيار بين دكتاتورية فردية دموية قائمة حتى الآن في بغداد، وبين دكتاتورية دينية تقوم على ذريعة الحاكمية لله، كما اننا لا نتفق مع الرأي الذي يرى في الديمقراطية وسيلة للوصول الى الحكم ومن ثم يمكن التخلي عنها.

أما المسألة الثانية فهي الموقف من القضية القومية في العراق وحق الشعب الكردي في تقرير مصيره وادارة شؤونه بنفسه وتحديد شكل العلاقة بالقسم العربي من العراق والحكم المركزي ضمن جمهورية عراقية ديمقراطية.

هذا من حيث المبدأ، اما اذا انتقلنا الى التخصيص فان السيد المهندس سمح لنفسه بأن يعتبر التجمع الديمقراطي العراقي واجهة للحزب الشيوعي العراقي، وقال بالحرف الواحد: «بل انه رشح (يقصد الحزب الشيوعي ـ ص.د) واجهات للحزب الشيوعي مثل التجمع الديمقراطي العراقي و...!» متجاوزاً بذلك حقيقة أولية هي اننا نمارس عملنا السياسي المستقل منذ عشر سنوات ونصدر صحيفة معروفة في أوساط المعارضة العراقية هي «الغد الديمقراطي» ولنا برنامج ديمقراطي واضح المعالم منذ البداية وقد كنا أعضاء في الجبهة الوطنية الديمقراطية العراقية (جود) قبل ان نشارك في الحوار من اجل اقامة «لجنة العمل المشترك» وبذلك نعتبر انفسنا من المؤسسين لهذه اللجنة ولم يرشحنا اي حزب من الاحزاب للدخول في قوامها. ونحن لا نعرف المقياس الذي لجأ إليه السيد بيان جبر لاعتبارنا واجهة للحزب الشيوعي، فاذا كان يقصد ان بعض رموز التجمع كانوا اعضاء في الحزب الشيوعي، فان ساحة المعارضة العراقية تزخر بالرموز الذين كانوا اعضاء في هذا الحزب، ومن بين هؤلاء، رموز في الحركة الاسلامية. وهذا في تقديرنا ليس عيباً، وانما يعكس حجم الدور الذي اضطلع به هذا الحزب في الحركة الوطنية العراقية.

واذا جارينا السيد بيان جبر في منطقه، وهو منطق ظالم، فاننا نقول له ان ثمة الكثيرين في الوسط العراقي ممن يعتبرون جهات اسلامية معينة، واجهات لجهات اجنبية.

لذا نأمل في ان يكون هذا التنويه كافياً لمن يريدون مواصلة الحوار في هذا الاتجاه بحيث يجعلهم يعدلون عنه.

لقد كتب احد الكتاب دراسة بيّن فيها ان المسيح كان شيوعياً في افكاره، فهل مثل هذه الدراسة كافية لاتهام يسوع بالشيوعية وحرقه على خوازيق محاكم التفتيش؟!

انا حريصون على تطوير العمل المشترك وجعله في المستوى الذي يؤهلنا جميعاً لتحمل مسؤولية تصفية الدكتاتورية الدموية في العراق، لا أن يكون جسراً الى نظام دكتاتوري جديد من اي نوع كان.

وهكذا فان العمل المشترك مطلوب لغاية نبيلة كما نرى، هي اقامة البديل الديمقراطي في العراق الذي يمكن له وحده تجنيب البلاد الهزات السياسية والاحترابات الدموية.

ان تفجير لجنة العمل المشترك بحجة تقول بانه: «ليس معقولاً ان تستسلم المعارضة العراقية بكاملها لارادة الحزب الشيوعي العراقي» انما هو عمل لا يتسم بروح المسؤولية ازاء وحدة صفوف المعارضة العراقية واهميتها في تحقيق اهدافها المنشودة. كما ان قول السيد بيان جبر «بأن هذا الاصرار يدفع بالآخرين دفعاً قسرياً الى تهديم لجنة العمل المشترك، او انه يراد للآخرين من خلاله ان يخطوا مثل هذه الخطوة..» محاولة لوضع القضايا الخلافية بين اطراف لجنة العمل المشترك، وهي موجودة دائماً، في المرتبة الاولى بدلاً من الاهداف والقواسم المشتركة، وتلك مسألة تلحق الضرر بالمساعي الموحدة لكل تيارات الحركة السياسية العراقية وتضع العقبات في طريق وصولها الى اهدافها.

وان على من يناقش حول النسبة المتميزة التي يتمتع بها التيار الاسلامي «وهي الخمسان» داخل لجنة العمل المشترك زاعماً انها نسبة غير واقعية فرضتها ظروف خاصة لابد من زيادتها، ان يستدل بالمغزى الذي كشفت عنه الانتخابات البرلمانية في كردستان حيث لم تنل القائمة الاسلامية نسبة ٧٪ للدخول في البرلمان مما يبين عدم شعبية الاسلام السياسي.

فالاستناد الى حقيقة أولية هي ان الاغلبية من الشعب العراقي مسلمة، لا يبرر للاسلام السياسي محاولة الظهور بمظهر السيادة او احتكار الساحة. فكلنا مسلم، ولكننا متفرقون شيعاً واحزاب، «وكل حزب بما لديهم فرحون» كما تقول الآية الكريمة.

وأخيراً ما كان بودنا ان نتطرق لهذه الامور لولا التقديرات والآراء التي نرى انها خاطئة وضارة

في مقـالـة الأخ المهنـدس بيان جبر متمنين ان يلتزم الجميع بروح الحوار الديمقراطي بعيداً عن التشنج ولغة الاتهام والتهويل والابتزاز.
والله من وراء القصد.

صالح مهدي دكله
سكرتير اللجنة المركزية للتجمع الديمقراطي العراقي

عن (الغد الديمقراطي)

العـدد ١٠١/ ١٠٢
حزيـران (يـونيو) ـ تموز (يوليو)

لكي تصل مطبوعاتنا بأقل من ثلث كلفتها الى القارىء المكتوي بنار التضخم الرهيب وتستطيع المضي في نضالها من اجل حريات العقيدة والانتماء والرأي، ندعوكم الى التبرع لحزبنا.

(يمكن تسليم المبلغ الى منظمة الحزب أو تحويله الى حساب مجلتنا الجديد).

الاشتراك السنوي

٣٦ دولاراً أو ما يعادلها

يدفع مقدماً بشيك أو حوالة مصرفية الى رقم الحساب

4666184 / 12

Banque Libano - Francaise

Bar Elias - Lebanon

المراسلات:

الثقا[illegible]

سوريا ـ دمشق

ص. ب ٧١٢٢

تلفون: ٧٧٧٤٩٧

فاكس: ٧٧٣٩٩٢


فكر علمي
ثقافة تقدمية